

قضية لومبروزو

اسم الكتاب: قضية لومبروزو

اسم الكاتب: عادل سلامة

تدقيق لغوي: مصطفى حسين

تصميم الغلاف: مروة صلاح

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى – 2020 م

رقم الإيداع: 22500 / 2020

الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6852 – 26 – 6



arabiclibrary2017@gmail.com

almaktaba79@gmail.com

facebook

Facebook.com/arabiclibrary2017



01030365801 – 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

قضية لومبروزو

رواية

عادل سلامة



تجاوز البوابة الحديدية هائلة الحجم أخيراً، دقات قلبه تتسارع شيئاً فشيئاً، ويشعر بمستوى الأدرينالين في دمه يتضاعف، رأسه يكاد ينفجر بسبب استيقاظه المتواصل ليلاً، وعدم قدرته على النوم ولو لدقيقة واحدة، وشعور عارم بالقلق ينهش قلبه بوحشية ويدفعه إلى التفكير جدياً في الفرار، سيل من الأسئلة التي لا إجابة لها تعصف بذهنه وتكاد تُفقد صوابه، كيف يمكن لشخصية مسالمة مثله أن تتحمل موقفاً بهذه الخطورة؟ وأي ذنب اقترفه وأدّى به في النهاية إلى ذلك المأزق؟

أخذ يسترق النظر إلى أمين الشرطة المرافق له، فبعثت تلك الملامح الصارمة قدراً إضافياً من الانزعاج في نفسه، تابع سيره مرغماً حتى وصل أخيراً إلى المكان المنشود، إلى حجرة مكتب السيد رئيس مباحث العاصمة. دلف مرافقه إلى الحجرة وتركه خارجها قرابة الدقيقة، دقيقة مرّت وكأنها دهور، ثم لمحّه يفتح الباب ويشير إليه بالدخول وعلى شفّته ابتسامة عريضة، ابتسامة بدت غير متناسقة على الإطلاق مع تلك الملامح.

بخطوات بطيئة مضطربة يدخل إلى الحجرة المهيبة شديدة الفخامة والاتساع، تقع عيناه مباشرة على ذلك الشخص النحيف الوقور الجالس خلف المكتب، فترسم على وجه الأخير ابتسامة ودودة ويشير إليه بالجلوس..

- أهلاً وسهلاً.. اتفضل يا دكتور عمرو.

- أهلاً بحضرتك

خرجت كلماته بصوت غريب متحشرج قليلا، ثم جلس متوجسا بانتظار الخطوة التالية.. لم يدم انتظاره طويلا:

- تشرب إيه؟

- ولا أي حاجة.. شكراً

لم يلح عليه في الطلب، بدا واضحاً أنها (عزومة مراكية) كما يقولون.

- مبدئياً، أنا متأسف على الطريقة التي استدعيناك بيها، أنا عارف إن

جواب الاستدعاء التي اتبعتك على الكلية كان بالنسباك مفاجأة غير سعيدة،

بس أحب أطمئك، مفيش أي سبب للفضة التي أنت فيها دي.

بداية جيدة ومريحة إلى حد ما، شعور بسيط بالاطمئنان يتسرب إلى نفسه..

- احنا بس محتاجين مساعدتك مش أكثر..

جملة بدت شديدة الغرابة دفعته إلى الابتسام تعجباً:

- مساعدتي أنا؟

- أيوة.. احنا عملنا تحريات مفصلة عنك، والتحريات دي أكدت لنا

إنك الشخص الذي بندور عليه.

أخذ يحدق في وجهه بوجوم وبداخله شعور عابر بأنه (رأفت

الهبجان) الجديد.. يتلعب ريقه بصوت مسموع..

لحظات من الصمت يتأمله فيها رئيس المباحث، عيناه الواسعتان ونظراته

(الميري) الحادة تبدو مربكة لأقصى حد، ودخان سيجارته الخانق يملأ المكان

ضباباً، يسترسل في الحديث بعد وهلة من الصمت:

- المعلومات الي جمعناها بتأكد إنك أكفأ أساتذة علم النفس الجنائي في مصر بدون منازع، وإنك واحد من القليلين الي قدروا يحطوا بصمتهم في المجال دة من خلال دراساتهم وأبحاثهم، أعتقد إن خبرة زي خبرتك دي لازم تُستغل كويس، خصوصاً في حالات الجرائم المستعصية الي بتفتقر لأي دليل مادي.

سكتَ للحظة ثم أردف:

- زي الجريمة الي هاعرضها عليك دلوقتي..

تنبّهت كافة حواسه فجأة، وتلاشى خوفه تماماً ليحل محله الفضول والتركيز، الأمر لا يعدو مجرد استشارة مهنية، فلم يعد هناك أي داعٍ للاضطراب.

- اتفضل يا فندم، أنا سامع حضرتك كويس..

قالها بمزيج من الجدية والشغف.

استنشق الرجل نفساً عميقاً من سيجارته ولم ينفثه، ليزداد وجهه احتقاناً ويحمرّ بياض عينيه على نحو ملحوظ.

- الموضوع بدأ من أسبوعين بالظبط، لما وصلنا بلاغ من صاحب استراحة (الأمل) الموجودة على طريق مصر إسكندرية الصحراوي، البلاغ بيفيد بإنه في أثناء قيام أحد عمال الاستراحة بتنظيف دورات المياه حوالي الساعة 10 مساءً، عُثر على جثة بنت في أوائل العشرينات مصابة بجرح قطعي في الرقبة.

توقف للحظة عن الحديث ليستشف تأثير كلماته، إلى الآن لا يوجد شيء خارج عن المؤلف، مجرد جريمة قتل عادية.

- البنت ما كانش معاها أي إثبات شخصية، فبدأ فريق البحث يتحرى عنها من عمال الاستراحة، محدش كان عارفها بالاسم، لكن أقوالهم كانت تقريبا متطابقة، كلهم أجمعوا إنها بدأت تتردد على الاستراحة من قبل الجريمة بحوالي شهر، كل يوم في نفس الميعاد تقريبا، وكان بيظهر معاها دايا خمس أشخاص، كان واضح جدا من طريقة حوارهم ومن المواضيع اللي بيتكلموا فيها إنهم زمايل شغل، في البداية شكينا في كلام عمال الاستراحة، خصوصا إن مفيش أي دليل مادي بيؤيده، لكن لحسن الحظ إن الجنائي بتاع الاستراحة كان حافظ نمر الميكروباص اللي بيوصلهم، لأنه بيركن قدامه كل يوم، وبالبحث في إدارة المرور تبين إن الميكروباص تابع للبنك الوطني - فرع إسكندرية، بديهيّا قدرنا نستنتج إنه بيستخدم لتوصيل موظفين البنك اللي ساكنين في أماكن بعيدة عن مقر عملهم.

توقف الرجل عن الحديث عندما لاحظ أن سيجارته قد أوشكت على الانطفاء، فسحب النّفس الأخير منها ببرود واستمتع غير مبالٍ بنظرات الفضول التي تحدّق في وجهه، ثم أطفأها وأشعل الأخرى سريعا مواصلا الاستطراد..

- كانت المفاجأة الكبيرة أن الميكروباص عمل حادثة في نفس اليوم اللي حصلت فيه الجريمة، الحادثة حصلت حوالي الساعة 6 يعني بعد ما الميكروباص طلع من الاستراحة بحوالي نص ساعة، واضح إن السواق كان

مسرّع جداً، واختل توازنه أو اتفاجئ بأي حاجة قدامه واتصرف بغباء،
الخلاصة إن الميكروباص اتقلب 4 مرات ورا بعض وبقى خردة طبعاً.

- والركاب؟؟

ابتسم الرجل بتهكم ولم يرد..

- ماتوا؟؟

قالها الدكتور عمرو بصوت منزعج.

- ياريت..

رد رئيس المباحث بعفوية.. ثم استدرك بحرج:

- أنا مش بتمنى موتهم طبعاً، الأعمار بيد الله، أنا أقصد إن موتهم كان

ممكن يقفل القضية والكل يرتاح، لكن الي حصل لهم فعلاً كان شيء أغرب
من الخيال.

لم ينتظر الاستفهام من الدكتور عمرو وتابع سريعاً:

- ثلاثة منهم أصيبوا بغيبوبة كاملة، الإصابات ما كانتش سهلة وأثرت

على أعضاء كثير في جسمهم، الثلاثة دول بالذات عشان يعيشوا محتاجين شبه
معجزة.

- والأتنين التانيين؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجه رئيس المباحث، ثم هز كتفيه دلالةً على

قلة الحيلة وأردف:

- فقدوا الذاكرة.

اتسعت عينا الدكتور عمرو من غرابة الموقف، وأطرق برأسه قليلا وظهرت ابتسامة تعجب ممتزجة بالأسف على وجهه، ثم لاحظ أن الرجل يهم بالحديث فرفع وجهه إليه سريعا:

- الاتنين دول بصراحة أغرب ما في الموضوع، إصابتين بفقدان الذاكرة في حادثة واحدة أمر مش بيتكرر كل يوم، بس احنا اتأكدنا كويس إن الإصابات حقيقية وما فيهاش أي تمثيل أو ادعاء.

- بعد إذن حضرتك، يعني أنا ملاحظ انكم مركزين أوي مع زمايل الضحية وكأنكم متأكدين إن القاتل منهم، ليه عمال الاستراحة مش داخلين في دايرة الاتهام دي، وليه مش طرف تالت أصلا؟

- لسببين، السبب الأول اللي ممكن يكون مش كافي لكنه يظل علامة استفهام، المجموعة دي اتعودت تروح وتيجي من الشغل كل يوم مع بعض، إيه اللي يخليهم في اليوم دة بالذات يمشوا ويسيبوا زميلتهم لوحدها في الاستراحة؟ يعني لو ملهمش علاقة بالموضوع، فالطبعي إنهم يستنوا لحد ما تروح معاهم زي كل يوم.

- ممكن يكونوا تعرضوا لأي تهديد مثلا؟

- ساعتها كان التصرف الطبيعي إنهم يتصلوا يستنجدوا بأي حد، الشرطة مثلا أو أهل البنت، احنا راجعنا موبايلاتهم ما لقيناش ولا واحد فيهم عمل أي مكالمة في التوقيت ده.

همّ الدكتور عمرو بالحديث مرة أخرى لولا أن رفع الرجل يده بملل وبشيء من ضيق الصدر لمنعه من الاسترسال:

- أنا قلت من الأول إن السبب ده ممكن يكون مش كافي، فبلاش نطول في الكلام عنه أكثر من كدة..

أوما الدكتور عمرو برأسه بشيء من الحرج وابتلع أسئلته بصعوبة ثم تابع:

- والسبب الثاني؟

- الشهود، ودي أكثر نقطة محيرة في الموضوع كله، وبصراحة دي النقطة اللي خلطنا نفكر نستعين بيك.

شعر الدكتور عمرو بالتوتر حينما شعر أن دوره قد حان، وتذكر فجأة أن بحوزته مفكرة صغيرة يستخدمها أحيانا لتدوين ملاحظاته، فأخرجها من جيبه بسرعة وبدأ ينصت بشيء من التحفّز.

- الشهود اللي كانوا موجودين وقت الحادثة كانوا معروفين بالاسم بالنسبة لعمال الاستراحة لأنهم بيترددوا على المكان من سنين، هما خمس أفراد برضو بيشتغلوا موظفين في الهيئة العامة للآثار، وساكنين في أماكن مختلفة على الطريق بين القاهرة وإسكندرية، ومواعيد انصرافهم من شغلهم هي نفس مواعيد انصراف المشتبه فيهم ودة اللي بيخليهم متواجدين معاهم في الاستراحة في نفس التوقيت تقريبا..

- معلش يا فندم من غير ما أقاطع حضرتك بس فيه جزئية معينة عايز أتكلم فيها قبل ما انسى.

- اتفضل

- إيه اللي يخلي موظفين البنك اللي ساكنين في القاهرة يشتغلوا في إسكندرية أصلاً؟ مش شايف حضرتك إنها حاجة مريبة شوية؟
- مط الرجل شفتيه بعدم اكتر اثار ثم أردف:
- لأ دي مسألة عادية، البنوك في أحيان كتير بتتدب موظفين ليها في أماكن بعيدة عشان عندهم خبرة، وطبعاً بتصرفلهم بدلات محترمة.
- تمام.
- رد الدكتور عمرو بشيء من الاقتضاب. بدا أن الرجل لم يعط اهتماماً للاستفسار السابق وأكمل حديثه:
- بدأنا نستدعي الشهود وناخد أقوالهم، كلهم ادّعوا أنهم ميعرفوش حاجة عن الجريمة، لكنهم أجمعوا إنهم شافوا البنت وهي بتدخل الصالة اللي في آخرها دورات المياه، صالة صغيرة مساحتها متتعداش 6 مترو متعلق على مدخلها ستارة قماش، بس طبعاً محدش شافها بتخرج بعد كدة ولا حد فكر أصلاً في سبب تأخيرها، سألناهم عن أول واحد شافوه بيدخل صالة الحمام بعدها، والإجابات كانت مفاجأة..
- ابتلع الرجل ريقه للحظة وأخذ يتأمل الدكتور عمرو المنهمك في الكتابة، حتى انتهى الأخير من تدوين ملاحظاته ورفع بصره إليه.. فأكمل:
- عرضنا صور الخمس أفراد المشتبه فيهم على كل واحد من الشهود الخمسة على انفراد، وكانت النتيجة المذهلة إننا سمعنا خمس إجابات مختلفة، كل شاهد قال اسم مختلف تماماً عن الثاني، وبكدة بقى كل واحد من الخمسة المشتبه فيهم قصاده شاهد يقول إنه أول حد دخل صالة الحمام بعد البنت على

طول، إجابات كلها مؤكدة ومافيهاش أي نوع من التردد، لدرجة إننا واجهنا الشهود ببعض على أمل إن أي حد فيهم يفكر الثاني بأي علامة تخليه يغير رأيه، لكن النتيجة سلبية، كل شاهد مصمم على رأيه ومعدوش أي استعداد للنقاش أو التفاهم.

أنهى الرجل حديثه، فساد الصمت المشوب بالخير قرابة الدقيقة، ثم بادر الدكتور عمرو بالكلام:

- طيب بعد إذن حضرتك.. أنا عندي أسئلة كثير.

تراجع الرجل في مقعده ثم قال:

- ممكن أجابوك عليها من غير ما تسأل على فكرة.

لم ينتظر الرجل رد الدكتور عمرو واستطرد سريعاً:

- واحد، مفيش أي علاقة تربط بين الشهود والمشتبه فيهم، عمال الاستراحة أكدوا إن التعامل بين الطرفين كان في أضيق الحدود وماكانش بيحصل بينهم حوار إلا نادراً.

اتنين، عشان قلبك يرتاح بس، عمال الاستراحة مش خارج نطاق الاتهام ولا حاجة، احنا حطيناهم تحت عيننا كويس وعيننا مراقبة مشددة على كل واحد منهم. والشهود نفسهم داخل دائرة الشك.

تلاتة، مفيش أي دليل مادي، مفيش أي بصمات في مسرح الجريمة وسلاح الجريمة نفسه مختفي وكذلك شنطة البنت، اللي غالباً كانت سيباها في الميكروباص وحد سرقها بعد الحادثة. وبالمناسبة السواق مالوش دعوة بأي حاجة ومعدوش أي معلومات، لأنه اتعود إنه يرتاح من الطريق في

الميكروباص وما كانش بيدخل الاستراحة أصلاً.

أربعة، الشهود، والمشتبه فيهم، وعمال الاستراحة، الثلاث أطراف دول
مفيش حد فيهم عنده سابقة واحدة بل بالعكس، دول ناس مشهود لهم
بالسمعة الطيبة والسيرة الحسنة جداً.

خسة، علاقة البنت بزمايلها، وهل حصل بينها وبينهم أي مشاكل أو
خلافات قبل الحادثة؟ الإجابة الظاهرة لأ، عمال الاستراحة والشهود أكدوا
إنهم كانوا بيتكلموا وبيضحكوا بصورة طبيعية جداً ومحصلش بينهم أي
مشادات.

- ما سألتوش أي حد من زمايلهم في البنك عن طبيعة علاقتهم ببعض؟
- لأ، الموضوع يعتبر سري إلى حد ما وهاعرفك سبب السرية دي..

خلصت أسئلتك؟

- لأ.. لسة فيه سؤالين..

- اتفضل.

- ليه ما تكونش الجريمة دي حصلت بعد ما المشتبه فيهم والشهود
روحوا؟ يعني ممكن تكون البنت معرفة زمايلها إنها مش هتروح معاهم
وبالتالي زمايلها سابوها لوحدها ومشوا، ولما دخلت الحمام اتأخرت شوية
وخرجت منه والاستراحة فاضية وبعد فترة دخلت تاني، ساعتها القاتل
هيكون طرف غير معروف.

- الإجابة سهلة جداً، صاحب الاستراحة مركب كاميرات على مدخلها
كنوع من الاحتياط، عشان لو حد فكر يسرقه بالإكراه أو يعتدي عليه،

بمراجعة الكاميرات دي تبين إن مفيش أي حد دخل الاستراحة بعد الشهود والمشتبه فيهم، اليوم ده كان يوم ثلاث مش خميس ولا جمعة وحركة السفر كانت ضعيفة والضغط على الاستراحة مكانش كبير، عمال الاستراحة نفسهم أكدوا الكلام ده، مع ملاحظة إنهم مشافوش البنـت بعد ما زمايلها مشيوا وكانوا مفكرين إنها روت معاـهم.

حاول الدكتور عمرو أن يهضم تلك الإجابة، ثم أغمض عينيه في محاولة لاستعادة صفاء ذهنه بعد كل هذا الكم من المعلومات المركبة.

- والسؤال الثاني..

سأله الرجل بصوت حازم.

استفاق الدكتور عمرو سريعا من محاولة الاسترخاء الفاشلة ثم أردف:

- ليه افترضتوا إن الجاني هو أول حد دخل صالة الحمام بعد القتيـلة

مباشرة؟ ليه مش أي حد دخل ثاني بعد كدة؟

تنهد الرجل بصبر قبل أن يرد:

- الطبيعي إن البنـت هتفضل في الحمام من خمس لعشر دقائق تقريبا وبعد

كدة هتخرج، ولو فيه أي حد دخل الحمام الرجالي بعد كدة فده معناه إنه

هيقضي نفس الوقت تقريبا، في الحالة دي مستحيل الجاني يخاطر وينفذ جريمته

لسببين، لأنه ه يخاف إن الشخص اللي في الحمام الرجالي يخرج فجأة فيشوفه

وهو داخل للبنـت، وه يخاف كمان إن البنـت تصرخ أو تعمل أي صوت

فيسمعه الشخص ده، خصوصا إن الحمايين لازقين في بعض، وده المعتاد في

الأماكن اللي زي دي، يبقى السيناريو المنطقي إن القاتل يدخل ورا البنـت

- وينفذ جريمته بس بعد أما يتأكد إن مفيش حد في الحمام الرجالي.
- بس ممكن أي حد يدخل الحمام الحريمي بعد المجني عليها علطول ويكتشف الي حصل، ازاي الجاني ما فكرش في النقطة دي؟ خصوصاً إنه هيكون أول المشتبه فيهم؟
- أمر مستبعد شوية، لاحظ إن مفيش أي ستات في الاستراحة، وعدد الرجالة الموجودين مش كبير لدرجة إنهم يدخلوا حمام الستات عشان يخففوا الزحمة.
- الإجابة تبدو مقنعة إلى حد ما.. ولكن الأمر يخضع لعدد لا نهائي من الاحتمالات.. يعود الدكتور عمرو مرة أخرى للسؤال بتردد:
- بس ايه الي يخلي زمايل البنت يمشوا ويسيبوها وهية لسة ما خرجتش من الحمام؟ يعني المفروض يستنوها عشان يعرفوها إنهم ماشيين مثلاً.
- احنا منعرفش إيه الي حصل بالظبط، لكن كل شيء ممكن، ممكن تكون البنت قايلاهم إنها مش هتروح معاهم وفيه حد تاني هيجي ياخذها مثلاً، وممكن الجاني بعد ما قتلها قال لزميله إنها مش هتروح معاهم لأي سبب، كلها احتمالات قابلة للصواب أو الخطأ، لكن عمرنا ما هنقدر نعرف الحقيقة بالظبط إلا لو حد فيهم فاق أو رجعتله ذاكرته.
- الصمت المعتاد يسود، يفتح الدكتور عمرو صفحة بيضاء جديدة من مفكرته الصغيرة، ويراوده شعور قوي بالإرهاق بعد أحداث هذا اليوم الطويل ولكن يبقى ذهنه متقدّماً..
- ممكن أعرف إيه المطلوب مني بالظبط؟

- باختصار، مساعدتنا في الوصول للجاني، بالطريقة الي تناسبك أنت والي هتشوف إنها هتفيدك في شغلك و هتتحقق نتيجة إيجابية، متهيا لي جه الوقت الي ممكن تطبق فيه كل معلوماتك وخبرتك الأكاديمية في التحليل الجنائي على أرض الواقع، أنا شرحتك الموضوع بالتفصيل، وأظن إنه بقي واضح جدا إنها جريمة مش عادية، احنا بندور على إبرة في كومة قش، وأنا مش بطلب منك إنك تلاقي الإبرة دي، بس على الأقل مساعدتك ممكن تخلينا نقلل الخيارات المتاحة قدامنا أو ندور في اتجاه معين، أنت معاك كل الصلاحيات الممكنة وتقدر تستعين بأي حد متخصص بشرط تكون واثق فيه، لأن زي ما قلت لك الموضوع حيوي وبالغ السرية.

- بس حضرتك ما قلتش سبب السرية المبالغ فيها دي؟
قطب الرجل حاجبيه بشدة حتى كادا يلتقيان ثم أطرق برأسه لعدة ثوان، لحظات مرت بطيئة للغاية على الدكتور عمرو الذي شعر بالندم من إلقاء هذا السؤال.

رفع الرجل بصره بعد فترة لينظر في عيني الدكتور عمرو مباشرة ويواصل الحديث:

- البنت الي اتقتلت دي مش مجرد موظفة بنك، دي تبقى بنت السيد مساعد وزير الداخلية، يعني فيه احتمال قوي إن هوه الي يكون مقصود بالجريمة دي، عشان كدة الموضوع اتحول لمباحث أمن الدولة للتحقيق فيه، وهو بصفته رئيسي وصديق شخصي ليا طلب مني إني أتولى التحقيقات بنفسي، والسرية دي طبعا كانت بناءً على رغبة معاليه، يعني الصحافة والإعلام

معندهمش أي فكرة عن الي حصل، وطبعاً مفيش أي حد من زمايل الضحية في البنك يعرف حاجة، ولما سألوا عنها بلغناهم إنها سافرت تتعالج برا. سكت الرجل للحظة ليبتلع ريقه ثم أضاف:

- أما بخصوص المشتبه فيهم، فمفيش أي تهم اتوجهت ليهم لحد دلوقتي بسبب التناقض الواضح في شهادة الشهود، وهما حالياً محتجزين في المستشفى بسبب حالتهم الصحية السيئة، لكن لو حالتهم استقرت هتتعقد الأمور أكثر لأنهم هيطالبوا بالخروج، وهيبقى صعب إننا نمنع أي حد من الخروج طالما مفيش دليل مادي يخلينا نتهمه.

أنهى الرجل حديثه ونظر إلى ساعته، ورفع حاجبيه كدلالة على تأخر الوقت، فمد يده سريعاً في درج مكتبه وأخرج "دوسيه" مليئاً بالمستندات ووضعها على الطاولة أمام الدكتور عمرو مباشرة.

- دة ملف القضية، فيه كل المعلومات الي شرحتهالك، لكن بتفصيل واستفاضة، تقدر تاخده معاك لأن كل الأوراق الي فيه دي صور طبعاً مش أصول، وهستاك تبلغني باقتراحاتك خلال 24 ساعة.

نهض الرجل من مقعده بدون أن ينتظر رد الدكتور عمرو أو يسمع مزيداً من استفهاماته، ثم مد يده إليه مصافحاً وعلى وجهه شبح ابتسامة.

- بالتوفيق إن شاء الله.

وكانت هذه الجملة تعني أن الاجتماع قد انتهى.

عاد إلى منزله أخيراً، ليجد زوجته غافية على الأريكة بالصالة، من الواضح أنها ظلت تنتظره بقلق حتى غلبها النعاس، كاد يهم بإيقاظها ثم تراجع لكيلا يزعجها، ولكيلا تزعجه هي بمزيد من الأسئلة عن سبب استدعائه، بدّل ملابسه ثم ذهب إلى فراشه بإنهاك، وبمجرد أن وضع رأسه على الوسادة أيقن تماماً أنه لن يستطيع النوم بسهولة، ولن يتمكن حتى من الاسترخاء مع كل ما يدور بذهنه من أسئلة وما يعصف بقلبه من توتر وانفعال، نهض من فراشه بعد فترة قصيرة من الاستلقاء واتجه نحو حجرة المكتب، أضاء نور الأباجورة الخافت، وبدأ يفتح ملف الجريمة باحثاً عن مزيد من المعلومات.

الملف كان يحوي صوراً وبيانات مفصلة عن المشتبه فيهم، بالإضافة لمحاضر استجواب الشهود وعمال الاستراحة وبعض البيانات الروتينية الأخرى، شعر بالفضول لمعرفة مزيد عن المشتبه فيهم، ولاحظ أن لكل منهم صفحة خاصة به تحوي صورته الشخصية وبياناته الأساسية وتقرير طبي مختصر عن إصابته، فبدأ الاطلاع على تلك المعلومات بشيء من التروي.

الصفحة الأولى: الصورة لرجل عريض الوجه حاد الملامح، واسع العينين، لديه بروز واضح في عظام الجبهة والوجه وحواجب غزيرة تميل للالتقاء، شفتاه ممتلئتان إلى حد ما، ولديه أنف طويل وأذنان كبيرتان بشكل واضح.

البيانات الأساسية: محمد ناجح - موظف ائتمان - 43 سنة - متزوج ولديه طفلة عمرها تسع سنوات.

التقرير الطبي: كسر في الحوض - كدمات بأجزاء متفرقة من الجسم - نزيف شديد في البطن استدعى تدخلاً جراحياً عاجلاً واستئصالاً للطحال - سبب الغيبوبة حدوث عدوى مفاجئة وتسمم في الدم بعد إجراء العملية.

الصفحة الثانية: الصورة لرجل أصلع مستدير الوجه، له ذقن صغيرة وفم كبير وعينان خضراء ولحية خفيفة.

البيانات الأساسية: إبراهيم مغاوري - مسئول خدمة عملاء - 36 سنة - أعزب.

التقرير الطبي: جروح وكدمات، خلع في الكتف الأيمن، إصابة مباشرة في الفص الأمامي للمخ أدت إلى فقدان الذاكرة.

الصفحة الثالثة: صورة رجل كثيف الشعر، له وجه طويل نحيف وجبهة صغيرة منحدرية، ولديه بعض البثور في الوجه والجبهة، قمحي اللون.

البيانات الأساسية: أحمد الدالي - صراف - 28 سنة - أعزب.

التقرير الطبي: كسر في الذراع الأيسر، كدمات وجروح بالجسم والوجه، كسر بالجمجمة ونزيف بالمخ أدى إلى حدوث غيبوبة تامة.

الصفحة الرابعة: صورة لرجل أشيب الشعر - كبير الأذن - جاحظ العينين - مجعد الوجه - له شارب كثيف.

البيانات الأساسية: هاني الشربيني - رئيس قسم - 58 سنة - متزوج ولديه بتان وولد.

التقرير الطبي: كسر في الأنف - جرح قطعي غائر في الصدر - شرخ في الساق اليسرى - كدمات بالنصف العلوي من الجسم - سكتة قلبية استمرت

لمدة 20 دقيقة قبل الإنعاش مما سبب حدوث تلفيات في خلايا المخ أدت إلى غيبوبة.

الصفحة الخامسة: صورة رجل نحيف الوجه، لديه صلع خفيف في مقدمة رأسه، يرتدي نظارة طبية سميكة، غائر العينين، صغير الفم والأنف، أبيض البشرة.

البيانات الأساسية: مجدي الهندي - صراف - 40 سنة - متزوج ولا يعول.

التقرير الطبي: إصابات بالفقرة الرابعة والخامسة بالعمود الفقري - كسر في الكاحل - جروح في الوجه والذراعين - كدمات - ارتجاج بالمدى أدى إلى تكوّن تجمعات دموية على الأعصاب ومن ثم فقدان الذاكرة.

الصفحة السادسة: عبارة عن صورة لقطعة حديدية كبيرة الحجم غريبة الشكل، استغرق الأمر منه قرابة الدقيقة حتى يستوعب أن هذه هي صورة (الميكروباص) بعد الحادث.

تابع التصفح متجاهلا بعض الأوراق الأخرى مثل البلاغ المقدم من صاحب الاستراحة ومحاضر الانتقال إلى مكان الجريمة وصور القتيلة وخلافه، حتى وصل إلى الجزء الخاص باستجواب الشهود، توقف كثيرا عند هذه الجزئية، مازال لم يهضم بعد ذلك التضارب النادر في شهادة الشهود وإصرارهم على أقوالهم، حاول أن يبحث بشيء من التأني في شهادة عمّال الاستراحة، فلم يجد ما يبحث فيه أصلا لكونهم يزعمون أنهم لم يلاحظوا واقعة دخول الفتاة إلى دورة المياه من الأساس.

أغلق الملف ثم أغمض عينيه وأخذ يفكر بعمق، أصبحت كل خيوط القضية واضحة أمامه الآن، وأمامه أربع وعشرون ساعة لوضع خطة ما، تحوم برأسه بعض الأفكار العشوائية التي لا يمكن أن يطلق عليها خطة عمل، لكنها تبدو جيدة إلى حد ما كبداية، ذلك الطالب النابغ الشغوف بداخله يعود للحياة مرة أخرى بقدر كبير من التحدي وإصرار على تقديم النفع للغير بما يحمله من علم، تذكر أن رئيس المباحث قد أعطاه إمكانية الاستعانة بأي زميل بشرط السرية، لم يفكر كثيرا في اختيار الأسماء، بل كان الأمر محسوما بالنسبة له تقريبا، راوده شعور بقليل من الارتياح عندما أدرك أن المسؤولية لن تُلقى بكاملها على كاهله، وعقد العزم على عرض الأمر عليهم في الصباح الباكر، أما الآن فقد حان الوقت للدخول في سبات عميق.

- إن الجريمة بمفهومها القانوني والاجتماعي، هي حصيلة عوامل فردية واجتماعية، بمعنى أن من يرتكب الجريمة هو الفرد، ولكنه لا يعبر في هذا الفعل عن فرديته فحسب، بل عن بناء شخصيته المتكونة من امتزاج المؤثرات الاجتماعية بهذه الفردية.

سكت للحظة كي يستجمع أفكاره ويتابع تأثير كلماته على الطلبة الحاضرين الذين بدأ الملل يكسو ملامحهم، ثم أردف:

- لذلك، فإن الاتجاه السليم في دراسة ظاهرة الجريمة، لا يجوز أن يقتصر على بحث العامل البيولوجي أو الاجتماعي أو النفسي، وإنما يجب اتباع المنهج التكاملي الشامل للثلاثة أبعاد السابقة، وعليه فإن علم الإجرام يتفرع وفق ما سبق إلى ثلاثة علوم..

- علم البيولوجيا الجنائية المختص بدراسة العوامل البيولوجية.
 - علم النفس الجنائي المنطوي على دراسة العلوم النفسية.
 - علم الاجتماع الجنائي الذي يشمل دراسة العوامل الاجتماعية.
- توقف عن الحديث ونظر إلى ساعته ثم ابتسم ابتسامة قصيرة وتابع:
- ودة الى هنتكلم عنه بالتفصيل في السيكنشن الجاي إن شاء الله.
- نهضوا جميعاً من أماكنهم وبدءوا بالخروج تباعاً، وظل منتظراً للنهاية كعادته حتى يتأكد من خروجهم جميعاً ومن عدم رغبة أي طالب في سؤاله عن أية جزئية غير مفهومة في الشرح، لم تمر سوى ثوانٍ معدودة حتى وجد نفسه وحيداً في القاعة فأسرع يغادر المكان، وبمجرد خروجه من القاعة رآها.

ياسمين، زميلته المعيدة في القسم نفسه، وزميلته السابقة في الدفعة نفسها، يعرفها منذ عدة سنوات تقريبا، ويراها عدة مرات في اليوم الواحد، وكلما رآها شعر أنها المرة الأولى التي يقع بصره عليها، تتسارع دقات قلبه بصورة مفاجئة، وتتصلب عيناه على ملامحها الجميلة الهادئة لتروي ظمئا لا ينتهي، مشاعره الحبيسة تتحرك، بل تفور كبركان ثائر، ولكنه ذلك الخجل اللعين الذي منعه فيما مضى من مصارحتها ومازال يمنعه الآن، حتى بعدما تم تعيينها معه في القسم نفسه وأصبحت تجمعها حجرة مكتب مشتركة، مازالت مشاعره تجاهها تقف أمامه كحاجز يمنعه من التعامل معها بصورة طبيعية، وتجعل لسانه يتلجم كلما همَّ بإلقاء السلام عليها، ووجهه يصير كألوان الطيف إذا حادثته صدفة، ونظراته تنبطح أرضا إذا التقت عينه بعينها.

أهو يحلم الآن أم يتخيل، أم أنها حقا تأتي نحوه مبتسمة..

- إزيك يا أستاذ أحمد.

- أهلا وسهلا.

الرد التلقائي الطبيعي الذي تبادر إلى ذهنه.

- كنت عايزاك في موضوع يخصنا احنا الاثنين.

قالتها بشيء من الصراحة فتوقف قلبه عن الخفقان، كان أول ما فكر فيه أن يكون هناك من لاحظ نظراته المختلطة إليها وأخبرها بذلك، فقررت هي أن تضع لذلك حداً وأن تلقي على مسامعه بعض الكلمات المحرجة، يبدو الموقف ثقيلا سخيلا لأقصى درجة، قطع استرسالها في الكلام حبل أفكاره..

- الدكتور عمرو حلمي اتصل بيا النهاردة الصبح، وطلب مني إني أروحله البيت ضروري وبأقصى سرعة ووصفلي العنوان، وقاللي إنه عايزك تيجي معايا.
- تنفّس الصُّعداء بصوت مسموع، ثم ما لبث أن شعر بشيء من الاستغراب، للمرة الأولى يطغى إحساسه بالفضول والاهتمام على خجله.
- ما تعرفيش إيه السبب؟
- لا، بس كان واضح إنه مستعجل وإن الموضوع مهم جدًّا، دة كان طلب مني إن محدش يعرف حاجة عن المقابلة دي.
- قطب حاجبيه بقلق، ما ذلك الأمر الذي يرغب الدكتور عمرو في إخفائه؟ أهو موضوع شخصي أم مهني؟
- أنت معاك عريية مش كدة؟
- أيوة معايا.
- معلش بقى هتوصلني معاك..
- قالتها بلهجة يشوبها المرح.
- معلش؟ ترددت الكلمة في أذنيه كثيرا، عَلامَ تعتذر؟ على منحه تلك اللحظة التي حلم بها دهرًا؟ لحظة الاقتراب منها أكثر، أم على إعطائه فرصة لا تعوض للانفراد بها بدون وجود متطفلين؟
- لا أبدًا، تحت أمرك، أنتِ خلصتي سكاشن النهاردة؟
- آه خلصت من بدري.
- وأنا كان.

رافقته إلى السيارة بعدما وصفت له العنوان بالتفصيل، أخذ يحسب المسافة المحتملة في ذهنه للوصول لوجهته فقدرها بحوالي ساعة، أكثر الساعات أهمية في حياته على الإطلاق، بدأ يجوب الشوارع المزدهمة إلى حد ما، عيناه تركزان في تفاصيل الطريق وعقله يبحث كالحاسوب عن سؤال يصلح لفتح حديث معها، من غير المعقول أن يظل صامتا طوال هذه المدة.

- تفتكري إيه الموضوع الطارئ الي عايزنا فيه الدكتور عمرو؟

بدا هو السؤال الوحيد المناسب في هذه اللحظة.

- مش عارفة، أنا الحقيقة مستغربة جدًّا، بس إحساسي إنها حاجة ملهاش علاقة بالشغل، يا خبر بفلوس.

هز رأسه موافقا، وبدأ البحث المريع مرة أخرى عن موضوع صالح للمناقشة..

- آآآ.. وأنت أخبار الماجستير بتاعك ايه؟

- تمام الحمد لله.

ردّت باقتضاب مصحوب بابتسامة مصطنعة. لم يشجعه ردها الجاف على الاستمرار في الحديث، من المؤكد أنها تشعر ببعض الحرج لوجودها معه بدون مرافق، هو لن يرهق نفسه ويرهقها بمزيد من الأسئلة بعد الآن، ربما عليه أن يستمتع بقربها منه فحسب. الدقائق تمر جميلة، لا يمكن وصفها سوى بتلك الصفة، يشوبها قليل من التهديدات بصبر من جانبها، وكثير من اختلاس النظر بمهارة من جانبها، الصراع يحدث بداخله بين الرغبة العارمة في تبادل الحوار معها وبين عدم قدرته على ذلك من جهة، والخوف من عدم تقبلها لذلك من

جهة أخرى، كمادة الأوقات السعيدة مرت الساعة سريعاً، ووصلاً أخيراً إلى المكان المنشود.

استقبلها الدكتور عمرو بابتسامته الأبوية المحببة..

- يا أهلاً بالشباب.
- أهلاً بحضرتك يا دكتور..
- قالها بصوت واحد تقريباً.
- اتفضلوا في أوضة المكتب.

انتهى الدكتور عمرو من شرح كافة تفاصيل الحادث، ثم أخذ يتأمل تلك العيون التي تحرق فيه بحيرة غير فاهمة طبيعة دورها.

- كنت حبيب أعرف رأيكم في اللي سمعته، اتفضل يا أحمد.
تنحى أحمد الذي اندمج في أحداث الجريمة تماما ونسي مشاعره الجياشة مؤقتاً:

- جريمة غريبة فعلاً، أول مرة أسمع عن جريمة ما فيها دليل مادي واحد أو حتى طرف خيط، أكثر حاجة مستغربها إن كل الشهود لمحو البنت وهي داخله الحمام ودي حاجة مريبة شوية، لكن ممكن يبقى تفسيرها إنها بنت واحدة وسط أكثر من عشر رجالة؛ فأكد حركتها باينة وملفتة للنظر. عموماً أنا شايف إن التحليل النفسي ممكن يساعد في استبعاد بعض المشتبه فيهم، لكن مينفعش إني أوجه الاتهام لحد بناء على نظريات علمية، أقصد إننا في كل الأحوال هنحتاج دليل مادي عشان نثبت التهمة على المجرم.

قطب الدكتور عمرو حاجبيه، يبدو كلام أحمد منطقياً إلى حد كبير.
- يعني أنت شايف إن التحليل النفسي لأطراف الجريمة مجرد خطوة؟
طيب بفرض إننا وصلنا للجاني فعلاً، لكن ما لقيناش الدليل؟
ابتسم أحمد بتهكم ثم أردف:

- ساعتها هيكون من الأفضل عدم الإعلان عن اسم المتهم، لأن المتهم دة لو وُكِّل أصغر محامي في مصر هيجيله البراءة من أول جلسة، ولو عرف ن حضرتك اتهمته ببناء على تحليلات نفسية احتمال يطالبك بتعويض.

ابتسم الدكتور عمرو رغما عنه، تدخلت ياسمين للمرة الأولى في الحوار بدون أن تبسم:

- بعد إذنكم يا جماعة أنا ليا رأي، حضرتك يا دكتور لو قدرت تستبعد أي مشتبه فيه، فدة يعتبر إنجاز كويس، لأنك هتضيق نطاق البحث بالنسبة للجهات الأمنية وهتسهل مهمتها، وفي كل الحالات هما المسئولين في الأول والآخر إنهم يلاقوا الأدلة مش حضرتك.

همّ أحمد بالرد لولا أن تدخل الدكتور عمرو بسرعة ليمنع مزيداً من الجدل في تلك النقطة:

- أنا في كل الحالات معنديش رفاية الرفض، أنا قبلت المهمة ولازم أكمل فيها حتى لو نتايحها ما كانتش مرضية.

سكتوا جميعاً، فالتفت الدكتور عمرو نحو أحمد مرة أخرى..

- طيب لو فرضنا يا أحمد إنك اتكلفتم بالمهمة دي، هتبدأ مين؟
- أكيد أول حاجة هاعملها هي إعادة استجواب الشهود وعمال الاستراحة، طبعا حالة المشتبه فيهم الصحية ما تسمحش بأي استجواب، لكن ممكن إعادة استجواب الشهود بشكل علمي يخليني أعرف مين منهم صادق في كلامه ومين بيكذب، ومين فيهم أقدر أعتمد على شهادته أو أستبعدها.

هز الدكتور عمرو رأسه موافقا، ثم حول بصره باتجاه ياسمين التي كانت مستغرقة في متابعة الحوار باهتمام..

- وأنت يا ياسمين؟
- أكيد موافقة على اللي قاله أحمد، لكن فيه حاجة كمان ممكن أضيفها.

تركزت العيون عليها بتساؤل، فاستطردت بحماسة:

- ممكن أجمع بيانات أكثر عن بيئة المشتبه فيهم ونشأتهم، سلوكهم في مرحلة الدراسة وأحوالهم المادية، علاقتهم بجيرانهم ..
رفع الدكتور عمرو يده بحزم فتوقفت ياسمين عن الحديث بقليل من الحرج:

- واضح إنك نسيتي شرط السرية، كدة الموضوع هيتعرف ولو ما اتعرفش هيعمل بلبله كبيرة، إنت مش بتعملي فيلم تسجيلي عن قصة حياة ممثل، والناس اللي هتعملي تحرياتك معاهم عمرها ما هتفهم طبيعة شغللك وأكيد هتفسره غلط، ومش بعيد أبداً إن الشخص اللي بيعمل التحريات يتعرض للخطر.

خفضت ياسمين بصرها بخيبة أمل، فابتسم الدكتور عمرو بحنان ثم تابع:

- أنا فاهم طبعاً دور البيئة الاجتماعية في تشكيل شخصية المجرم، وعارف كويس إيه هي الصفات اللي بتدوري عليها في المشتبه فيهم، الصفات دي هتقدري توصلي ليها فعلاً لو فكرتي تسألني الناس اللي حواليلهم، واللي بتختلط بيهم بشكل مستمر، لكن احنا محكومين بشروط معينة في عملية التحقيق ومش عايزين نخل بيها.

استغرق الدكتور عمرو في حديثه، بينما كان أحمد يثبت بصره على ياسمين بإعجاب، يشعر أنه يرى فيها جمالاً من نوع آخر، جمال العقل، تلك الجدية

وتلك الحماسة تضيفان إلى شخصيتها الجذابة كثيراً. يرفع الدكتور عمرو نبرة حديثه ليخرجه مرغماً من شروده ..

- على فكرة يا ياسمين، أنا ممكن أستفيد من فكرتك، فكرتك أساسها إني أجمع معلومات عن شخصية المشتبه فيهم عشان أعرف مين فيهم عنده الاستعداد الأكبر لارتكاب أفعال إجرامية، المعلومات دي أنا ممكن أوصل لها بطريق غير مباشر.

- ازاي يعني؟

قالتها ياسمين بتساؤل.

- أنا ممكن أعمل استبيان يشارك فيه كل زميل المشتبه فيهم في البنك، استبيان تقليدي زي اللي بنعمله في رسائل الماجستير والدكتوراة، الاستبيان ده هيبقى مذكور فيه جميع أسماء الموظفين بما فيهم طبعا المشتبه فيهم، هيبقى مطلوب من كل موظف يقول إيه هي أسوأ صفة بيشفها في كل زميل من زميله بالإضافة لـأسوأ صفة موجودة فيه هوه شخصياً، ودة طبعا من غير ما الموظف دة يكتب اسمه عشان نحافظ على شرط الشفافية، ولو اجتمعت أغلب الآراء على صفة معينة في نفس الشخص، فدة معناه إن الصفة دي موجودة فيه فعلاً، اللفة دي كلها عشان أشوف مين أكثر واحد من المشتبه فيهم عنده صفة أو أكثر من صفات الشخصية السيكوباتية، وبمقارنة نتائج الاستبيان دة مع شهادة الشهود بعد استجوابهم مرة ثانية ممكن أوصل لحاجة.

ظهرت علامات الاستحسان على وجه ياسمين وكذلك على ملامح أحمد

الذي أضاف:

- اقترح ممتاز فعلا، بالشكل دة ممكن حضرتك تعرفهم كويس وبأقل مجهود.

سكت الدكتور عمرو للحظة ثم رفع وجهه مبتسما ابتسامة هادئة، وأخذ ينقل بصره بين ياسمين وأحمد اللذين شعرا بأنه يرغب في الحديث عن أمر ما ولكنه يشعر بقليل من التردد.

- طيب، فيه نقطة أنا ما قلتهاش لسه، العميد مُحسن رئيس المباحث سمحلي بتكوين فريق عمل بشرط المحافظة على السرية، وأنا بصراحة اخترتكم، أنا ثقتي فيكم من الناحية الشخصية والعلمية مالهش حدود، لكن الموضوع مفيش فيه أي إجبار طبعا، تقدرُوا تعتذروا واعتذاركم هيكُون مقبول.

لمعت عينا ياسمين بسعادة ممتزجة بقدر وافر من الشغف، بينما أطرق أحمد برأسه بشيء من التجهم، رفعت ياسمين يديها الاثنتين بحماسة وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة..

- أنا موافقة طبعا.

ظهرت نظرة امتنان في عين الدكتور عمرو، ثم التفت إلى أحمد الذي لم يُبد القدر نفسه من الحماسة:

- وأنت يا أبو حميد؟

لم يرد أحمد، ولم يخرج عن صمته وعبوسه، تبدو تجربة جديدة بالنسبة له، قد يحتاج قبولها أو رفضها قدرًا من التفكير، هو مجرد شخص عادي يحاول أن يرتدي عباءة العلم، ولم يكن يتخيل أنه سيحقق في جريمة حقيقية يوما ما،

يراوده شعور بالرهبة من المجهول والخوف من الفشل، فيرفع رأسه ويكاد يهم بالاعتذار لولا أن التقت عيناه بعيني ياسمين المثبتة عليه بتحفظ، هل سيقبل حقا أن يبدو جبانًا أمامها إلى هذا الحد؟

- هنبداً امتى يا دكتور؟

لم يشعر بنفسه عندما قالها فجأة بشجاعة مفتعلة نوعاً ما، نظرة الارتياح في عيني ياسمين تعطيه شعوراً أنه قد اتخذ القرار الصحيح.

اتسعت ابتسامة الدكتور عمرو وربّت على ذراع أحمد بودّ:

- قريب جداً إن شاء الله، أنا هاتصل بالعميد محسن وأبلغه بالخطوات الي اتفقنا عليها، وبالنسبة لتوزيع العمل، أنا هاعيد استجواب الشهود مرة ثانية، وأنت يا أحمد هتأخذ أقوال عمال الاستراحة بنفسك وتحاول تحللها، وياسمين هتكون مسئولة عن الاستبيان، وهنبلي بعض بالنتائج الي تخلص أول بأول.

ظهر الاستعداد على الوجوه، فأردف الدكتور عمرو بأمل:

- توكلنا على الله، أنا متأكد إنكم هتشفوني.

بنظرة خاوية خالية من أي تعبير، أخذ الدكتور عمرو يجول ببصره في أرجاء تلك الغرفة الضيقة كثيبة المنظر، والتي سيتم بداخلها إعادة استجواب الشهود، حجرة كافية جدا لبعث الشعور بالرهبة وعدم الارتياح لدى أي شخص، بضيقها الشديد وطلائها الرمادي المقيت وأثاثها المتهاالك نوعا ما، من المؤكد أن الشهود لم يكونوا سعداء تماما بإدلاء شهادتهم في تلك الأجواء، خاصة مع وجود ذلك الطابط الذي استقبله والمدعو بالنقيب طارق بنظراته المخيفة الصارمة ولهجته العدائية غير المبررة، لحسن الحظ أنه لن يحضر الاستجواب هذه المرة بسبب تكليفه بمأمورية ما.

أخرج مفكرته الصغيرة المعهودة من جيب بنطاله، ثم استنشق نفساً عميقاً وأشار لأمين الشرطة الواقف أمام الباب بالسماح لأول شاهد بالدخول. بخطوات مترددة بطيئة، دلف الشاهد الأول إلى حجرة الاستجواب، رجل أشيب الشعر تملأ التجاعيد وجهه، يبدو من مظهره العام أنه رقيق الحال، ويغطي عينه اليسرى بضماطات طبية.

- أهلا وسهلا يا حاج.. اتفضل.

قالها الدكتور عمرو ومد يده مصافحا، فابتسم الرجل ابتسامة بسيطة وصافحه بيد هزيلة.

- أهلا بيك يا أستاذ.

- قالها ثم جلس بترؤ على المقعد المقابل للدكتور عمرو، أخذ الأخير يتأمله لثوانٍ وبدخله إحساس بأن المهمة لن تكون سهلة كما تبدو.
- ممكن أعرف بيانات حضرتك؟ الاسم والسن والوظيفة؟
 - محمد عبده الإتربي، 68 سنة، بشتغل في البوفيه بتاع الهيئة.
 - أوماً الدكتور عمرو برأسه متفهّمًا، الرجل مجرد عامل بالأجر وليس موظفًا، وهذا هو سبب عدم إحالته للتقاعد حتى الآن.
 - كاد أن يلقي عليه سؤالاً آخر، ولكنه لاحظ أن الرجل يعاني من ألم في عينه السليمة يجعله يغمضها لثوانٍ ثم يُعيد فتحها كل فترة..
 - خير يا حاج محمد؟ سلامة عينيك.
 - الحمد لله على كل حال، العين الثانية كانت راحت خالص من المية البيضاء وعملت فيها عملية، بس من يوم ما عملتها والعين دي مغششة وبتوجعني، شكلها كدة هتحتاج عملية برضو.
 - أنت عملت العملية امتى؟
 - لسة أول امبارح، اتكلّفت 3000 جنيه والله يا أستاذ.
 - معلش يا حاج صحتك أهم، أنت عندك أي أمراض تانية؟
 - آه عندي الضغط والسكر، السكر هو اللي كان مأخربي ومخليني ما اعملش العملية، لأن الدكاترة قالوا مينفعش أعملها والسكر عالي، بس ربك ستر واتظبط.

- طيب يا حاج، أنا مش عايز أطول عليك، أنت طبعا كنت موجود يوم الحادثة، وقلت إنك شفت الي دخل صالة الحمام بعد القتيلة علطول، ولما اتعرضت عليك الصور اتعرفت على الموظف الي اسمه محمد ناجح، تمام كدة؟
- أيوة صح، لما وروني صورته أنا عرفته علطول، وما نسيتهوش مع إن أنا آخر واحد سألوه.

- وإيه الي خلاك متأكد للدرجادي؟ أنا راجعت الأسئلة الي النقيب طارق سألهالك قبل ما يعرض صور المشتبه فيهم عليك، ولقيت إنك ما كنتش فاكرا المتهم كان لابس إيه بالضبط.

- أيوة يا بيه أنا ما كنتش فاكرا فعلا، بس ربك بقى بسبب الأسباب، الحاجة الي خدت بالي منها وخليتني متأكد إنه هو هه هي تسريحة شعره، كان حالق حلقة من بتاعت اليومين دول كدة مش فاكرا اسمها إيه، مطول شعر من ناحية ومقصره م الناحية الثانية.

- يعني أنت ما أخذتش بالك من ملامح وشه؟؟
سكت الرجل للحظة بدا عليه فيها مزيج من التوتر والقلق، ثم حسم أمره وقال بلهجة قاطعة:

- بص يا بيه أنا قلت الي أنا فاكراه، أنا راجل كبير ونظري على قدّي زي ما أنت شايف، والموضوع كله حصل في ثانية، واللقطة دي هي الي لازقة في دماغي وفاكرها كويس، وأنا لو أعرف إن كل ده يحصل كنت دققت، بصراحة أنا مش فاكرا غير شعره، لكن الوش لا، بس مادام هو الي عامل التسريحة دي يبقى مفيش غيره.

- معلش أنا مش فاهم النقطة دي، إزاي فاكّر شكل شعره بس؟
تنهد الرجل بصبر ثم تابع:
- يا بيه أنا راجل في أواخر عمري، ما استحملش إني أشيل ذنب شهادة زور ومش هاقول غير اللي أنا متأكد منه، أنا مش شغلتي إني أراقب اللي داخل والي خارج من الحمام، أنا كنت بتكلم مع زميلي وبعدين شفت البنت وهي داخلة، بعدها دورت وشي وكملت كلام، ولما عيني جت على صالة الحمام تاني لمحتة وهو داخل بسرعة وشعره هو الحاجة اللي متأكد منها.
- أخذ الدكتور عمرو يتفحصه بنظرات كاشفة، ف شعر بأنه صادق في حديثه إلى أقصى درجة..
- وما شفتوش لما خرج من الحمام بعد كدة؟
- لا يا ابني والله، لو كنت شفت كنت قلت، ساعتها كان وقت صلاة المغرب وأنا صليت وبعدين مشينا علطول، وما كنتش مركز مع الناس الثانية دي.
- بدا للدكتور عمرو أنه لم يعد هناك مجال للإلقاء مزيدٍ من الأسئلة، فاستعرض في ذهنه تفاصيل الحوار مرة أخرى، تذكر فجأة شيئاً ما فاستدرك سريعاً:
- صحيح يا حاج محمد، أنت قلتلي إنك آخر واحد استجوبوه، إيه السبب؟

- أصلي ماكتش قاعد في بيتي، أنا سافرت تاني يوم الحادثة لنسايبي في البلد، مراقي يعني كانت عايزة تشوف اخواتها، بس الحكومة عرفت مكاني وجابوني على ملا وشي.
- طيب يا حاج محمد.. تقدر تتفضل.
- شكرا يا ابني ربنا يكرمك.

انصرف الرجل خارجا، وانتهى الدكتور عمرو من تدوين كافة ملاحظاته والنقاط التي يراها هامة لتحديد مدى دقة الشهادة وإمكانية الاعتماد عليها، ثم هز رأسه موافقاً لأمين الشرطة فأشار الأخير للشاهد الثاني بالدخول.

رجل في منتصف الأربعينيات، طويل الذقن والشعر، مظهره غير مهندم على الإطلاق ويظهر على ملامحه الارتباك الشديد.

- أهلا بحضرتك.. اتفضل.

لم يرد الرجل التحية، وجلس أمام الدكتور عمرو بشيء من التذمر، شعر الدكتور عمرو بتوتره المبالغ فيه فحاول أن يلطّف الأجواء قليلاً..
- معلى احنا آسفين إننا استدعيناك مرة ثانية.

نظر الرجل إليه بحدة.. ثم نطق للمرة الأولى:

- أنا الحقيقة مش عارف أنا هنا ليه؟ أنا قلت كل اللي أعرفه في أول مرة.
بصوت مرتعش قليلاً ونظرات زائغة، وانفعال عارم لا يتماشى أبداً مع بساطة الموقف، رد الرجل هذا الرد العدائي الذي بعث قليلاً من الشك في نفس الدكتور عمرو.

- بيانات حضرتك؟

- إسماعيل عبد الهادي، 47 سنة، محاسب بهيئة الآثار.

يدقق الدكتور عمرو النظر إليه، احمرار وجهه الشديد وتسارع أنفاسه، كلها أمور تدفعه إلى السؤال بعفوية:

- حضرتك بتعاني من أي أمراض مزمنة، ضغط مثلاً أو سكر؟

- لا.
- طيب بعد إذنك ثانية واحدة.
- نهض الدكتور عمرو فجأة وأسرع يغادر الغرفة تاركًا الرجل يتابعه ببصره باستغراب، ثم أخرج هاتفه المحمول من جيبه واتصل برقم ما، رنة واحدة ثم أتى الجواب:
- السلام عليكم، أهلا يا دكتور.
- سيادة العميد، أنا آسف إني بتصل بحضرتك في مواعيد العمل، بس أنا كنت محتاج شوية حاجات كدة، يا ريت حضرتك تبعتھالي بسرعة على أوضة التحقيق.
- خير؟
- كنت محتاج جهاز قياس ضغط ضروري جدا، وآآآ..
- سكت للحظة قبل أن يلقي قنبلة..
- وكنت عايز لبانة بعد إذنك.
- نعم؟ أنت بتهزر يا دكتور؟
- إطلاقا يا فندم، بعد إذن حضرتك ما تتأخرش عليا، وأكيد أنا هاشرح لك كل حاجة بعدين.
- مرت لحظات من الصمت كتم خلالها الدكتور عمرو ابتسامته وهو يتخيل شكل ملامح العميد محسن الغاضبة وإحساسه بالندم لكونه قد استعان بمخبول.
- حاضر.

قالها العميد محسن بشيء من الضيق ثم أغلق الخط. لم تمر أكثر من خمس دقائق، حتى حضر أحد الأمناء حاملاً بيده جهاز قياس الضغط وقطعة العلكة المشودة، ناولهم للدكتور عمرو ثم ابتسم في وجهه ابتسامة ساخرة بلهاء. عاد الدكتور عمرو إلى الحجرة مرة أخرى حاملاً معدّاته، ثم جلس أمام الشاهد وابتسم في وجهه ابتسامة مصطنعة:

- ها يا سيدي، احكي لنا بقى إيه الي حصل.
عاد التوتّر إلى وجه الشاهد مرة أخرى، ثم بدأ الحديث:
- آآآ مفيش.. أنا كنت قاعد بشرب شاي مع زميلي، وبعدين شفت البنت وهي رايحة الحمام..
- استنى استنى..

أوقفه الدكتور عمرو عن الكلام بغتة. رمقه الرجل بنظرة تساؤل ممتزج بالحنق، فرفع الدكتور عمرو حاجبيه ثم قطبهما بشدة، أداء تمثيلي حاول قدر الإمكان أن يبدو مقنعا، ثم أردف:

- إيه دة؟ أنت شكلك تعبان جدا وشك أحمر ومحتقن، حاسس بإيه؟
تسرب الخوف إلى نفس الرجل وبدأ يتحسس وجهه بهلع، فتابع الدكتور عمرو:

- أنت لازم تقيس الضغط.
لم ينتظر الدكتور عمرو ردّ الرجل، بل كشف ذراعه بسرعة وبدأ يقوم بعمله، حتى انتهى منه بعد دقيقة واحدة فعاد إلى مقعده بهدوء، نظر الشاهد إليه بلهفة ثم سأله:

- إيه الأخبار؟
- قالها الرجل بانزعاج.
- لا مفيش حاجة إن شاء الله، الأمور كلها تمام.
- رد الدكتور عمرو باهتمام ثم تابع:
- امضغ اللبانة دي، اللبان هسياعدك على الاسترخاء وتأثيره ممتاز في تخفيف الضغط والتوتر، ثانية واحدة هاقيس نبضك.
- مد يده ليضعها على معصم الرجل لثوانٍ قليلة، ثم سحبها وابتسم مرة أخرى في وجه الرجل الذي بدا عليه الارتياح.
- نرجع لموضوعنا بقى، إيه اللي حصل يوم الحادثة؟
- أجاب الرجل وهو يمضغ العلكة بعصبية:
- أنا كنت بشرب شاي مع زمايلي في الاستراحة، زي كل يوم في الميعاد دة، شفت البنت داخلة الحمام ودخل وراها بسرعة زميلها اللي اسمه إبراهيم، أنا متأكد من أقوالي بنسبة 100٪.
- مش غريبة إنك عارف اسم زميلها؟
- بدا أن الرجل قد تفاجأ بالسؤال تماماً ولم يكن يتوقعه، فرد بشيء من الارتباك:
- آآ ما أنا عرفت اسمه لما وروني صورته، لما استجوبونا بعد كدة يعني.
- مम्मم وبعدين، كمل.
- بعدها بحوالي خمس دقائق شفت إبراهيم وهو خارج من صالة الحمام، كان باين إنه فيه حاجة مش طبيعية، وكان عمال يتلفت وراه كأنه عامل عملة.

- وأنت ساعتها ما شكّيتش ف حاجة؟
- لا، شكّيت، بس مكنتش أتخيل طبعاً إن ممكن تحصل حاجة زي دي،
وبعدين زمايلي كانوا قايمين علشان يمشوا فقامت معاهم.
- طيب، تقدر تقول لي إبراهيم كان لابس إيه في اليوم ده؟
- أيوة طبعاً، كان لابس قميص نبيتي وكرافة سودا وبنطلون إسود.
- هز الدكتور عمرو رأسه متابعاً، وكتب بعض الملاحظات في مدونته ثم
أطرق برأسه مفكراً لبرهة، رفع بعدها وجهه نحو الرجل وبعينه نظرة غامضة
لم يفهمها الأخير.
- شكراً على مساعدتك يا أستاذ إسماعيل.
- وأشار بيده للرجل ليسمح له بالخروج، بدا الارتياح على وجه الشاهد
ونفض من مكانه، فاستدرك الدكتور عمرو سريعاً:
- أستاذ إسماعيل!
- التفت الرجل إليه بحيرة، فمدّ الدكتور عمرو يده إليه حاملاً بها منفضة
السجائر ثم تابع:
- تقدر تتف اللبانة دلوقتي، متهيألي ضغطك بقى طبيعي.
- تُبّت الرجل بصره عليه للحظات غير فاهم مقصده، ثم هزّ كتفيه بعدم
اكتراث وأخرج العلكة من فمه ووضعها بالمنفضة وهرولاً خارجاً.
- قَرَّب الدكتور عمرو المنفضة إلى وجهه، أمعن النظر بالعلكة الممضوغة،
ثم اتسعت ابتسامته.

دخل الشاهد الثالث إلى حجرة الاستجواب، بابتسامة عريضة واثقة تعلو وجهه، وبدون أن يبدو على ملامحه أي قدر من القلق أو الانفعال، ثم مدّ يده مصافحاً الدكتور عمرو بترحاب.

- أهلاً يا فندم.

صافحه الدكتور عمرو وهو ينظر إليه باستغراب.

جلس الرجل بطريقة يظهر فيها الارتياح الكامل وعدم الإحساس بأي ضغط، تفحصه الدكتور عمرو للحظة، يبدو شديد الثقة من نفسه ومن شهادته.

- بيانات حضرتك؟

- سامح سالم، موظف إداري بهيئة الآثار، 40 سنة.

- أستاذ سامح حضرتك شهدت على الموظف الي اسمه أحمد الدالي،

مضبوط؟

- أيوة يا فندم صح.

- حضرتك متأكد من شهادتك؟

- بنسبة 100٪ يا فندم، بدون أدنى نسبة شك.

اتسعت عينا الدكتور عمرو باهتمام، أول شاهد تدل تعبيرات وجهه ولغة

جسده على الصدق والثبات.

- يعني أنت لمحتة بيدخل صالة الحمام بعد القتيلة عطلول؟

- أيوة بالظبط، لحسن الحظ إني كنت باصص ناحية الولد اللي بيعمل الطلبات لأنني كنت محتاج معلقة سكر زيادة على الشاي، فشفت البنت وهي رايجة ناحية الحمام، بعدها بثواني شفت أحمد دة بيدخل صالة الحمام وراها علطول.

سكت الدكتور عمرو قرابة النصف دقيقة، قبل أن ينظر في عيني الشاهد مباشرة ويردف:

- أستاذ سامح، أنا هاعيد السؤال على حضرتك تاني، وخللي بالك إن شهادتك دي لو مش دقيقة ممكن تلف حبل المشنقة على رقبة إنسان بريء، حضرتك متأكد من شهادتك؟؟

علت وجه الشاهد ابتسامة هادئة ثم قال:

- يا فندم مفيش حاجة تجبرني أقول إني واثق في أقوالي لو أنا مش كدة فعلا، أنا لو ما شفتش هاقول ما شفتش بكل بساطة، ولو عندي ذرة شك واحدة كنت هاسهل الأمور على نفسي وأقول إني مش فاكروالواقعة أصلا، أنا مجرد شاهد وفي كل الأحوال محدش هيتهمني بحاجة، لكن أنا براعي ضميري قدام ربنا أولا وأخيرا، وربنا بيقول في القرآن (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) صح ولا إيه؟

- صدق الله العظيم..

تتم الدكتور عمرو مؤيداً.

يبدو أن اللغز في طريقه للحل، هكذا حدث الدكتور عمرو نفسه بعد هذه الإجابة المقنعة من الشاهد وهذا القدر الكافي جداً من اليقين.

- طيب يا أستاذ سامح، بما إنك متأكد من أقوالك بالشكل دة يبقى أنت أكيد فاكرا المتهم كان لابس إيه؟
- أيوة طبعا فاكرا، كان لابس قميص بيج وبنطلون بني وكرافتة بني، وعلشان حضرتك تتظمن أكثر هاقولك البنت نفسها كانت لابسة إيه، كانت لابسة بلوزة رمادي وجيبة سودا، أنا فاكرا الطقم دة كويس لأن مراقي كان عندها واحد زيه.

ابتسم الدكتور عمرو بشيء من المكر قبل أن يقول:
- مش ملاحظ إنك مركز معاهم زيادة عن اللزوم؟
لم يتبسم الرجل، بل قطب حاجبيه بجدية، ثم ردَّ بلهجة عدائية:
- مش فاهم حضرتك تقصد إيه بالظبط؟
- أقصد إن الجريمة حصلت من أكثر من أسبوعين، معقولة أنت لسة فاكرا كل التفاصيل الصغيرة دي؟

نظر الشاهد إلى الدكتور عمرو بشيء من السخرية، ثم أردف بتهكم:
- هو حضرتك ناسي إن المباحث استجوبت كل الشهود قبل كدة؟ احنا تم استجوابنا بعد الحادثة بحوالي 3 أيام، وقتها طبعا أنا كنت فاكرا كل حاجة، وأكيد بعد ما عرفت بأهمية شهادتي وخطورة الموضوع ما نسيتش أي كلمة من اللي قلتها في الشهادة الأولانية.

رمقه الدكتور عمرو للحظات بنظرة متفحصة، ثم تراجع في مقعده قبل أن يقول:

- أنا بشكرک علی شهادتک یا أستاذ سامح، وعلى صراحتک ونزاهتک
کمان.
- العفو یا فندم دة واجبی.
- مع السلامة.

شعر الدكتور عمرو بكثير من التعجب تجاه ذلك الشاهد الرابع بسبب تصرفاته الغريبة، فقد ظل واقفاً أمام الباب لفترة طويلة مترهباً من الدخول، وحتى عندما بدأ الدخول إلى الغرفة، كانت خطواته بطيئة متثاقلة وكأن قدميه لا تقويان على حمله، ونظراته تبدو شاخصة متجهة متحفظة إلى حد كبير، خطر للدكتور عمرو أن يسأله عن ذلك بصورة مباشرة..

- خير يا أستاذ؟ مالك؟
 - أنا؟ مالي؟ رد الرجل بانزعاج وهلع.
 - مفيش، بس شكلك خايف من حاجة يعني.
 - لا إله إلا الله.. ضرب الرجل كفا بكف ثم أردف:
 - أنت عايز تلبسني التهمة ولا إيه يا باشا؟
- ظهرت علامات الذهول واضحة على وجه الدكتور عمرو، كيف فكر الرجل بهذه الطريقة؟؟

- تهمة إيه بس يا أستاذ، أنا بسألك مالك؟
- احتد الرجل فجأة واحمرت عيناه، ثم قال بصوت يرتعش انفعالاً:
- لا، أنت قلت لي أنت خايف من إيه، قصدك إيه يعني؟ إن أنا المجرم مش كدة؟؟

لم يستطع الدكتور عمرو أن يمنع تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهه والتي تحولت بعد ذلك لضحكة قصيرة.

- المجرم مرة واحدة؟ أنا ما قصدتش أي حاجة من الكلام دة.
- رمقه الرجل بنظرة يملؤها الشك، فتابع الدكتور عمرو حديثه..
- إيه الي خلاك تقول الكلام دة، ومين الي فهمك إنك متهم أصلا؟
- هدأ الرجل قليلا، ثم بدأ بالحديث بنبرة مهتزة:
- بصراحة، والدتي هي الي قالتلي كدة، أنا بثق في كلامها يعني، قالت لي أنكم مادام طلبتوني تاني تبقوا عايزين أي حد تلبسوه التهمة وخلاص.
- وأنت ازاى تصدق حاجة زي دي، المفروض إنك إنسان متعلم يعني.
- هز الرجل كتفيه ثم تابع الحديث متحاشياً النظر إلى الدكتور عمرو:
- أنا ما كنتش خايف من حاجة وكنت عارف إنها شهادة وخلاص، بس لما الحجة عرفت إني هاشهد تاني قالت الكلام دة، وأنا من ساعتها وأنا مش قادر أتلم على نفسي.
- حضرتك عندك كام سنة؟
- 43 سنة.
- ممكن أعرف اسمك؟
- طاهر عبد العليم.
- طيب يا أستاذ طاهر، ممكن تحكي لنا شفت إيه بالظبط يوم الحادثة؟؟
- أنا شفت البنت الي اتقتلت وهي داخله الحمام، وبعد ما دخلت دخل وراها علطول واحد من زميلها، أنا اتعرفت عليه لما شهدت قبل كدة.
- آه، هاني الشربيني، كمل.
- أكمل إيه يا أستاذ، خلاص كدة.

- أيوة يعني إيه الي خلاك فاكر الي حصل دة كويس، مش ممكن تكون غلطان؟

عادت نظرة الخوف إلى عين الرجل.. ثم أردف:

- أنت عايزني أقول إيه يا باشا؟

- عايزك تقول الحقيقة طبعاً.

- ما أنا قلت الحقيقة والله.

لم يشعر الدكتور عمرو بالارتياح تجاه هذه الشهادة، تلك النبذة المذعورة تخفي وراءها شيئاً ما.

- ماشي يا طاهر، طيب فاكر الهدوم الي الجاني كان لابسها؟

بدا هذا السؤال على الرغم من بساطته مفاجئاً جداً لطاهر الذي ظهر مرتبكاً جداً وكأنه وقع في مأزق.

- مش فاكر

رد الشاهد باقتضاب وأشاح ببصره.

شعر الدكتور عمرو في هذه اللحظة أن قليلاً من الخزم سيفي بالغرض ويكشف كل الأمور المخفية، فتابع:

- اسمع يا طاهر، احنا مش بنهزر هنا، وأنت أكيد مش متهم لكن لو شهادتك غلط ممكن يبقى فيه مسئولية عليك.

انهار الشاهد تماماً في هذه اللحظة، وتجمعت الدموع في عينيه ثم قال:

- بص يا باشا أنا هاحكي لك كل حاجة، بصراحة أنا كنت شاكك في كذا واحد، ولما كانوا هيسألوني أول مرة كنت هاقوللهم معرفش وخلاص، لكن ربنا أراد تحصل حاجة كدة تخليني أفكر كل الي حصل.

هز الدكتور عمرو رأسه للرجل يشجّعه على الاستمرار في الحديث، فاستطرد الرجل بصوت خفيض وبلهجة بطيئة كدلالة على أن ما يقوله شديد الأهمية:

- أنا سمعت الطباط الي كان بيحقق معايا وهو بيتكلم في التلفون قبل ما يستجوبني، كان بيتكلم مع واحد كدة شكله زميله أو بيشتغل معاه، سمعته يقول إنه شاكك في الراجل الي اسمه هاني دة، وبيقول إنه شافه قبل كدة وحاسس إن وشه مش غريب عليه، وأنا من ساعة ما سمعت الكلام دة وأنا افكرت علطول إن هاني دة هو الي دخل ورا البنت وبقيت متأكد من الموضوع دة.

ظل الدكتور عمرو ينظر إليه للحظات بثبات بعد أن انتهى من حديثه، ثم رفع حاجبيه مفكرا.

- أنا كدة تمام يا باشا؟

- آه.. تمام

رد الدكتور عمرو ثم استدرك سريعا:

- كدة الشهادة خلصت خلاص، بس خليك قاعد معانا شوية يا عم طاهر، أنت مستعجل على إيه.

ظهر القلق مرة أخرى على ملامح الشاهد وتعبيرات وجهه المترددة، بينما أخذ الدكتور عمرو يفكر في أي حوار يفتحه مع الرجل لكي يتأكد من تلك الخواطر التي جالت برأسه، وقع بصره فجأة على قدمي الشاهد اللتين ترتجفان بردًا فنظر إليه بشيء من الشفقة.

- أنت مش لابس تقيل ليه؟
- ما أنا متقل من فوق أهو والله ولا بس بلوفرين.
- المفروض تلبس بنطلون تقيل برضو، جينز مثلاً.
- هز طاهر يديه بعنف ثم أردف:
- لا لا يا باشا، جينز إيه بس، أنا واحد صاحبي قال لي إنه بيعجيب عقم، وأنا من ساعتها ما بقربلوش.
- سكت الدكتور عمرو ولم يردّ، وظل صامتا لفترة ثم نظر فجأة للرجل وقال بتلقائية وكأنه يحدث صديقا:
- والله يا طاهر الواحد مختار في القضية دي، بس أعمل إيه، جايلي تكليف بيها من رئيس الجمهورية نفسه.
- اتسعت عينا طاهر للحظة ثم قال:
- ياه، الرئيس مرة واحدة، وأنت تعرفه من قريب يا باشا؟؟
- آه طبعا، اتقابلنا كذا مرة قبل كدة، وأنا بصراحة ما أقدرش أرد له طلب.
- أوماً طاهر برأسه بشدة متفهماً وظهرت على وجهه علامات التعاطف..
- الله يعينك يا باشا والله، دي مسئولية كبيرة أوي.

- ماشي يا طاهر، أنا عايزك تخليك قاعد بس خمس دقائق، لأن الجو هنا دفا جداً وبرّا برد، لو خرجت علطول هيجيلك إنفلونزا.
- ماشي يا باشا تسلم.
- الدقائق تمر واحدة تلو الأخرى، وتتلاشى تماماً تلك الرجفة التي كانت تعصف بقدمي الشاهد، ثم يقف ليلقي التحية على الدكتور عمرو بصوت خفيض ويغادر المكان.
- يبدأ الدكتور عمرو في كتابة ملاحظاته التي تبدو كثيرة هذه المرة، لدرجة أن المفكرة الصغيرة قد امتلأت كل صفحاتها تقريباً، ثم ينتهي من الكتابة ويستدعي الشاهد الأخير.

لم يشعر الدكتور عمرو بالارتياح إطلاقاً لم رأى ذلك الشاهد، ولا لرؤية حاجبه الأيسر المرفوع دوماً مع تلك الابتسامة الساخرة التي لا تفارق شفثيه، وتلك النظرة المعهودة المقيمة، نظرة الشخص (الفهلوي) الذي يعتقد أنه يعرف بواطن الأمور ويثق بذلك تماماً.

مع ما يشعر به من الإرهاق بعد الاستجوابات الأربعة السابقة، لم يكن الدكتور عمرو ليحتمل مزيداً من الاستظراف أو التعليقات السخيفة، فرسم على وجهه قدر من الصرامة والحزم منذ البداية..

- اسم حضرتك وسنك ووظيفتك؟
- مصطفى مؤمن، 37 سنة، بشتغل حارس أمن في الهيئة العامة للآثار.
- تمام، تقدر تعيد شهادتك تاني بعد إذنك؟؟
- هز الرجل رأسه هزة خفيفة ثم أردف:
- بس كدة يا بيه، أنت تؤمر.
- قالها كأنه يسدي صنيعا للدكتور عمرو بشهادته، فرمقه الأخير باستخفاف..

- بص يا بيه، أنا لمحت البنت لما قامت تروح الحمام، وبعد شوية لقيت الموظف الي شهدت عليه دة قايم يدخل وراها وزى ما يكون بيجري..
- ثانية واحدة!

قاطعہ الدكتور عمرو فنظر الرجل إليه بتساؤل:

- يعني إيه بعد شوية؟؟ أنت فضلت باصص بعد ما البنت دخلت الحمام ولا دورت وشك؟

- لا يا بيه، وأنا إيه الي هخليني أفضل باصص؟ أنا شفتها بتدخل وبعدين التفتت الناحية الثانية بقى، وأول واحد شفته بيدخل بعد كدة هوه الراجل الي اسمه مجدي دة.

- بس ممكن يكون فيه حد دخل وراها علطول وأنت ما شفتوش؟
ارتسمت الابتسامة الساخرة إياها على وجه الرجل، ثم مال برأسه ناحية الدكتور عمرو ونظر في عينيه مباشرة ثم قال بلهجة واثقة:

- متعش نفسك يا بيه، الي أنا بقولهولك هو الصح، متدورش كثير بقى.

رمقه الدكتور عمرو بنظرة خالية من أي معنى، ثم قرر أن يجاريه في الحديث لكي يجعله يفصح أكثر عن مصدر معلوماته، فرسم في عينيه نظرة اهتمام لكي يشجعه على مزيد من الاستطراء.

- يا مصطفى، أنا متأكد طبعا إنك بتقول الحقيقة، بس مينفعش الكلام يتقال كدة بدون دليل.

بدا على الرجل قليل من الضيق وازدادت لهجته تصميما:

- يا باشا اسمع الي بقولك عليه، الراجل دة بالذات أنا متابعه من زمان لأنه مفضوح، وواحد بالي كويس من نظراته للبنت الله يرحمها، كانت نظرتة وحشة أوي، حتى وهو قاعد وسط الناس مكانش بيعرف يتحكم في نفسه،

كان يفضل يبص على جسمها بوساخة وبجاجة ويحرق في سجائر، نظرة الرجال تعرفها كويس أوي وتقدر تفهمها بسرعة، مش عايز أقولك إني شفته بيحاول يلمس جسمها كذا مرة من غير ما تاخذ بالها، أنا والله فكرت أتناق معاه بس قلت بلاش عشان ما اعملش شوشرة على البنت الغلابة، وكمان هو زميلها في الشغل يعني الموضوع حساس شوية، بس كان باين هو ناوي على إيه.

ظهرت علامات الدهشة وعدم الفهم على وجه الدكتور عمرو الذي قال:

- يا ابني إيه علاقة اللي أنت بتقوله دة بالجريمة اللي حصلت؟

- إيه علاقته ازاى يا باشا؟

قالها الرجل بصوت مرتفع، ثم تابع وهو يضرب بيده على جانب رأسه:

- مش نشغل الجمجمة شوية؟

شعر الدكتور عمرو بقليل من الإهانة، ثم تمالك نفسه بصعوبة وقال

بشيء من نفاد الصبر:

- وضح أكثر لو سمحت.

- يا باشا مع احترامي ليك يعني، لو أنا اللي بحقق في القضية وعرفت

معلومة زي دي تبقى خلاص كدة القضية اتحلت، واحد معندوش لا أخلاق

ولا دين والشهوة بتتحكم فيه، وبنت اتعرضت لاغتصاب وقتل في الحمام،

يبقى إيه بقى؟ مفيش أي ربط يعني؟

بلغ ذهول الدكتور عمرو ذروته وشعر بمزيد من الارتباك والحيرة دفعاه

للتساؤل:

- مين الي قالك إن البنت اتعرضت للاغتصاب؟ دي جريمة قتل يا مصطفى.

ارتسمت الابتسامة الساخرة المعهودة على وجه الرجل مرة أخرى، ممتزجة بنظرة تهكم هذه المرة:

- يا باشا أنت مش بتكلم واحد هندي، بنت اتقتلت في الحمام في عز النهار، لو الي قتلها قاصد يقتلها بس كان عمل كدة بعيد عن الناس أو في ظروف تانية عشان محدش يشك فيه، لكن لما يعمل كدة في التوقيت دة فدة مالوش غير معنى واحد، إنه اعتدى عليها وخاف إنها تفضحه، أنتم بقى مش عايزين تعلنوا الموضوع عشان سمعة البنت وشعور أهلها وكدة، دي حاجة تخصكم أنتم ومعاكم حق فيها، بس أنا مبحبش حد يقلل من قدراتي لا مؤاخدة.

ظهرت الابتسامة الساخرة على وجه الدكتور عمرو هذه المرة، وأخذ يتأمل نظرة التحدي التي ظهرت في عين الرجل للحظات ثم تميم بهدوء:

- أنت أفدتنا جدًّا الحقيقة يا مصطفى، شكرًا على الشهادة العظيمة دي، اتفضل.

انتشى الرجل فخرا بدون أن يشعر بلهجة الاستهزاء التي تحدث بها الدكتور عمرو ثم غادر المكان بخطوات واثقة، تابعه الدكتور عمرو ببصره حتى انصرف، ثم استنشق نفسًا عميقًا.

انتهى الاستجواب أخيراً، بكل ما حمله من تناقضات في الأقوال والشخصيات وبكل ما استلزم من ثبات انفعالي وصفاء ذهن، يجاهد لكي يتذكر كل التفاصيل الصغيرة وكل الشهادات بحذافيرها، ثم يراجع مدونته الصغيرة ليضيف عليها مزيداً من الملاحظات، يأتيه اتصال مفاجئ من العميد محسن الذي يبدو وكأنه لا يطيق صبراً لمعرفة نتيجة التحقيق..

- ازي حضرتك يا فندم؟

- أهلا يا دكتور، أنا بتطمئن عليك بس، إيه الأخبار؟

- أكيد يا فندم فيه جديد، لكن طبعا مش هاقدر أقول لحضرتك النتيجة النهائية دلوقتي، لكن فيه شهادات نقدر نعتبرها مش موجودة أصلا ومستحيل نستند إليها في جريمة زي دي، وفيه أقوال تانية منطقية أكثر، لكن محتاجة شوية بحث عشان نتأكد من صحتها.

بدا أن الكلام لم ينل استحسان العميد محسن الذي صمت لفترة لم يعرف خلالها كيف يرد، من الواضح أنه كان ينتظر سماع الإجابة الشافية فورا.

- ممم.. طيب يا دكتور، معاك وقت لحد بكرة الصبح إن شاء الله، أعتقد وقت كافي جدا عشان تقدر توصل لحاجة.

- تمام.

رد الدكتور عمرو باقتضاب ممتزج بالقلق.

- هاستنى اتصالك، مع السلامة.

كاد الدكتور عمرو أن يرد عليه التحية، ثم تذكر فجأة أمرًا ما فاستدرك:

- يا فندم لحظة بعد إذنك.

- خير؟؟

- يا ريت لو عند حضرتك تسجيلات الكاميرات اللي على بوابة

الاستراحة، كنت محتاجها بعد إذنك، ويا ريت لو ممكن تسجيلات الأسبوع كله مش اليوم اللي حصلت فيه الجريمة بس.

- سهلة، احنا أخذنا كل التسجيلات دي على اسطوانة وعملنا منها كذا

نسخة، ساعة بالظبط ويكون عندك واحدة منهم، فيه طلبات تانية؟

- لا يا فندم شكرا جزيلا.

- مع السلامة.

أغلق الدكتور عمرو هاتفه، سيكون عليه الانتظار لساعة إضافية لحين

وصول التسجيلات، خطر بباله أن يتصل بأحمد ليعرف ما توصلت إليه الأمور

مع عمال الاستراحة، ولكي يحاول استهلاك الوقت المتبقي بدلا من الانتظار

وحيداً، ولسبب آخر يشغل تفكيره..

استقل أحمد سيارته بعدما انتهى من استجواب عمال الاستراحة، وبعد أن استوفى كذلك تلك الجزئية التي طلب منه الدكتور عمرو هاتفيًا أن يقوم بالتحقيق فيها، حالة من الحيرة تصيبه بسبب عدم قدرته على الوصول لأي ثغرة في أقوال العمال، فأقوالهم كلها منطقية ولا يوجد بها أي شيء يدعو للارتياح أو الشك، وهي متطابقة كذلك مع شهادتهم التي سبق وأن أدلوا بها من قبل، ولم يظهر في سلوكهم أو ملامحهم أي دلالة على الارتباك أو الخوف أو التردد، مجرد شهود عاديين لا تحوم حولهم أية شبهات ولا يوجد مبرر وحيد لاتهامهم، من الجيد أن الدكتور عمرو لم يُبد أي استغراب أو استنكار حين سمع تلك النتيجة، من الواضح أنه لم يضعه في دائرة اهتمامه من الأساس ولم يتوقع أن تسفر إعادة استجوابهم عن أية مفاجآت.

راوده شعور بالارتياح لكون مهمته قد انتهت مؤقتًا بانتظار ما سوف تسفر عنه باقي التحقيقات، فاسترخى قليلًا في مقعد القيادة، واتجه تفكيره لا شعوريًا نحو تلك الجميلة التي تبدو أقرب إليه الآن من أي وقت مضى، أصبحت تجمعها لقاءات مشتركة ومهمة واحدة، والمبررات تبدو حاضرة لكي يتبادل الحديث في أي وقت إذا أراد ذلك، ذلك الحاجز الثلجي الهش الفاصل بينهما يذوب رويدًا رويدًا، تُرى هل يأتي ذلك اليوم الذي يستطيع فيه أن ييوح لها بمشاعره؟ هل ستواتيه الجرأة حقًا للاعتراف لها بحبه؟ ولم لا؟ ما الذي ينقصه؟ حدث نفسه بذلك: وبم يفيد الكتمان؟ يكفي ما ضاع من العمر في التخيلات الهائلة والمراقبة التي لن تجدي نفعًا، عليه الآن أن يستغل الفرصة التي ربما لن تتكرر، شعر فجأة بقدر مفاجئ من الاندفاع والتصميم، وعقد

العزم على أن يمهد لها الأمور في اللقاء القادم، من المهم حقاً أن يحدث نوع من أنواع (جسّ النبض) لكيلا يصاب بخيبة أمل صادمة فيما بعد.
أيقظه رنين هاتفه من خواطره المليئة بالحماسة، رقم غير مسجل يتصل به فيفتح الخط ويضغط على زر تكبير الصوت..

- أيوة؟

- ازيك يا أحمد.. أنا ياسمين

تتبخر تماماً تلك الحماسة التي كانت تملؤه منذ قليل ليحل محلها شعور عارم بالارتباك، تتصلب يديه للحظات على عجلة القيادة، ثم يسارع بوضع الهاتف على أذنه لكي يسمع بوضوح، ولا يلحظ ذلك (المطب) اللعين لسوء الحظ، فيصطدم رأسه بقوة بسقف السيارة ويشعر وكأن النجوم تدور حول رأسه كما يحدث في أفلام الكارتون، وعلى الرغم من كل ذلك يخرج صوته رقيقاً هادئاً، ممتزجا بنبرة من السعادة لأنها قد رفعت الكلفة بينهما أخيراً.

- أهلاً أهلاً، ازيك أخبارك إيه؟

من أين حصلت على رقم هاتفه؟ ومن يبالي بتلك الأسئلة السخيفة الآن؟

- الحمد لله، خلصت التحقيق الي طلبه منك الدكتور عمرو؟

- آآآ أه تمام، نتيجة سلبية، مفيش أي دليل يخليني أشتبه فيهم.

- ممم.. يعني واضح كدة إن الشهود هما الي ممكن يحلوا القضية دي.

- وأنت وصلت حاجة؟

- لا أنا لسة رايحة البنك، في الطريق.

سكتت للحظة وسكت بدوره، هل ستنهي الحديث بهذه السرعة؟ لحسن الحظ لم تفعل.

- بس بصراحة أنا مش متأكدة إني ممكن أوصل لنتيجة، مش حاسة إني ممكن أعتمد على الاستبيان دة بشكل أساسي.

- هي مجرد محاولة بس، يعني أنا شايف إن الاستبيان ممكن يساعدك في استبعاد واحد أو أكثر من المشتبه فيهم، أنا برضو عندي تحفظ على جزئية معينة فيه.

- جزئية إيه؟

تنهد أحمد بصبر وبدأ يستعيد طبيعته الجادة، ثم أردف باهتمام وبنبرة الصوت المرتفعة نفسها قليلا التي يستخدمها في الشرح:

- أنا شايف إن القاتل في الجريمة دي هو مجرم بالصدفة، شخص عادي معندوش أي سوابق إجرامية ودي تعتبر أول جريمة عملها في حياته، فمش المفروض إننا ندور على صفاته السيكوباتية المنحرفة قد ما المفروض نبحت عن دافع الجريمة، إيه اللي خلى الشخص الطبيعي دة يبقى قاتل؟ وإيه هي الحاجة اللي خلته يتخلى عن مبادئه وآدميته ويتحول لوحش؟ لازم يكون فيه دافع قوي للدرجة اللي تخليه ياخذ قرار زي دة.

- بس التحريات أثبتت إن المجني عليها كانت علاقتها كويسة بكل زميلها؟

ابتسم أحمد بتهكّم ثم قال:

- الناس يتأخذ بالظاهر، وعادة العلاقات بين الناس تبقى متداخلة وفيها تفاصيل كثير مش باينة، وفي الآخر كلنا بنحاول نبان قدام بعض إننا مثاليين وما فيناش غلطة، لكن الحقيقة إن دة مجرد قناع بنلسه فوق وشنا الحقيقي.

سكتت ياسمين للحظة، بدت خلالها أنها تحاول استيعاب كلمات أحمد، ثم عادت للحديث بلهجة مترددة قليلا:

- مع احترامي لكلامك، بس المجرم أيّا كان لازم يكون عنده درجة كافية من الاستعداد النفسي لارتكاب جريمة، ياما ناس وقعت تحت ضغوط كبيرة وكان عندها دوافع قوية لكنها قدرت تبعد عن الطريق الغلط، مش أي حد جعان أو فقير ممكن يسرق، ومش أي شاب مش قادر يتجوز أو عنده حرمان جنسي ممكن يتحول لمغتصب، المجرم غالباً بيكون شخص ضعيف جداً قدام شهواته ومعدوش أي قدرة على التحكم فيها، ودي صفة أساسية من الصفات اللي بندور عليها في الاستبيان على فكرة.

شعر أن كلامها منطقيّ جداً ولكنه استمر في المجادلة بشيء من العناد وقال:

- طيب في حالتنا دي مثلاً، إيه هي الشهوة اللي ممكن تخلي إنسان عادي يرتكب جريمة قتل؟ إيه نوع الإشباع اللي بيدور عليه؟؟

- على فكرة أنا مش ضد فكرة الدافع، لكن حالياً ما أقدرش أعمل أي حاجة غير إني أتجاهلها وأحاول أدرس نفسية المشتبه فيهم، دة شغلي على الأقل، والمفروض المباحث تعمل شغلها.

بدا واضحاً جداً أنها تريد اختصار الحديث وعدم الاستمرار في هذا النقاش العلمي، لم يرد أحمد وراوده شعور بسيط بالحرج حتى تابعت:

- طيب يا أحمد، أنا هاقفل بقى عشان وصلت، مع السلامة دلوقتي.

- الله يسلمك.

على الرغم من أنها ليست مكاملة طويلة إطلافاً، وعلى الرغم من أن المناقشة كانت تدور في نطاق علمي بحث ولم تخرج عن نطاق المهمة الموكلة إليهما، إلا أنه قد راوده إحساس عارم بالنشوة بمجرد إغلاق الخط، كأنه قد استشق رحيق وردة جورية ربيعية زاهية المنظر، أو كأنه قد داعب طفلاً في عامه الأول ورأى تلك الابتسامة العذبة على شفثيه، ذلك الأثر الجميل الذي يبقى في القلب حين يرى جمالاً يفوق قدرته على الاحتمال، ويعلو عن سقف توقعاته، وعلى الرغم ممن يلامسه على أن يظل أسيراً له رافضاً العودة مرة أخرى لأرض الواقع.

مرت لحظات جميلة لم تفارق الابتسامة شفثيه فيها، ثم بدأ يسترجع حديثه معها ويحاول أن يتذكر نبرة صوتها، بعض الجمل التي تلفظت بها وطريقتها المميزة في نطق كل كلمة، أكان أسلوبه معها متزناً أم به شيء من الاندفاع والحماقة؟ يراجع تفاصيل المكاملة فيشعر بأنه قد أبلى بلاءً حسناً إلى حد ما، ويتوقف عند تلك الجزئية التي تحدث فيها عن الأقنعة الجوفاء التي يرتديها

الناس أمام بعضهم بعضًا والتي لا تمت لطبيعتهم بِصلة، يشعر للحظة أنه هو نفسه كان يرتدي ذلك القناع أمامها ل يبدو شخصًا حكيمًا واثقًا، بينما هو في الحقيقة عاشق متيم، عاشق يكفيه أن يظل قريبًا ممن يحب ولا يطمح في مزيد، ولا يهتم كثيرًا إن أحرقت تلك الشمس التي لم يعد يرغب في الابتعاد عنها قيد أنملة.

بخطوات واثقة ثابتة، اتجهت ياسمين نحو حجرة مدير البنك وبيدها تلك الحقيبة الجلدية التي تحوي نسخا عدة من الاستبيان، حتى وصلت إليها، فطرقت الباب مرتين برقة ثم فتحته بهدوء، لتجد أمامها رجلاً بدينًا أصلع الرأس في أوائل الخمسينات، يجلس خلف المكتب ويتحدث في الهاتف بجديّة، وما إن وقع بصره عليها حتى تصلبت عيناه عليها للحظة بانبهار، ثم أنهى مكالمته سريعاً، وبدأت تظهر عليه تلك الأعراض التي تعرفها جيداً، والتي شاهدها كثيراً فيما مضى ولم تهتم، أعراض الإعجاب الشديد بجمالها اللافت والذي يتبعه عادة نوع من المعاملة الخاصة والرقّة المبالغ فيها، كلها أمور لم تنجح في جذب انتباهها تجاه أي شخص بل بالعكس، يسقط أي رجل من نظرها تلقائياً إذا شعرت باهتمامه بشكلها وجمالها فقط ورغبته في التقرب إليها لهذا السبب، ربما لأنها لم تستطع أن ترى في جمال الشكل آية ميزة مقارنة بجمال العقل والفكر، الأمر الذي دفعها إلى الاهتمام المستمر بدراستها وجعل هوايتها الأولى والأخيرة هي القراءة، هي ترغب في أن تكون جميلة ليس إلا، ولكن من وجهة نظرها هي.

نهض الرجل من مكتبه بحماسة ومد يده إليها مصافحاً، فصافحته بشيء من التحفظ..

- أهلاً وسهلاً، اتفضلي يا فندم اتفضلي.

- شكراً لحضرتك.

- أومريني يا فندم؟ تشربي إيه أولاً؟

- لا، ولا حاجة شكراً.

نظر إليها معاتبًا، الابتسامة المصطنعة تملأ وجهه.

- لا لا مينفعش الكلام ده.

يضغط الجرس المثبت في مكتبه فيدخل الساعي فوراً ويتابع:

- ده واجب الضيافة، احنا مش بُخلا على فكرة هاهاه..

ضحكة سمجة من شخص أكثر سماجة، لم تبتسم له هذه المرة، بل التفتت

نحو الساعي وأردفت بشيء من الامتعاض:

- قهوة مضبوطة لو سمحت.

أوماً الساعي برأسه باحترام ثم سارع بالخروج، فحولت بصرها تجاه مدير

البنك وبدأت في الحديث بتركيز..

- أعرف حضرتك بنفسي، أنا ياسمين الخطيب، بشتغل معيدة في كلية

الآداب جامعة القاهرة، وحاليا بحضر رسالة الماجستير بتاعتي والي هيكون

موضوعها عن مشاكل التكيف بين الأفراد في بيئة العمل نفسها.

- موضوع مهم فعلا.

- حضرتك عارف طبعا إن اختلاف الطباع والصفات الشخصية

للأفراد اللي بيشتغلوا في مكان واحد ممكن تسبب مشاكل كتير، خصوصا وإن

كل الموظفين -حتى الناجحين منهم- من الطبيعي يكون عندهم عيوب

جوهرية في شخصيتهم بتظهر مع الاحتكاك اليومي المباشر.

أوماً الرجل برأسه موافقا عدة مرات..

- ده أكيد، احنا بنشوف كتير يا أستاذة والله.

- وعشان نقدر نحدد إيه هي أكثر الصفات السيئة المنتشرة بين الأفراد

في مؤسسة واحدة، عملنا استبيان بسيط جدا، زي استطلاع رأي كدة، الاستبيان ده مكتوب فيه أسماء كل موظفين البنك وهيتوزع على كل واحد منهم نسخة منه، ومطلوب من كل موظف إنه يكتب قدام كل اسم من أسماء زمائله أكثر صفة سلبية يشوفها فيه، بشرط إنها تكون صفة دائمة وبتتكرر علطول مش نتيجة لموقف معين مثلا، وهيتقى مطلوب من الموظف برضو إنه يكتب أكثر صفة سيئة في شخصيته هو كمان من وجهة نظره طبعا، وفي النهاية الموظف مش هيقع على الاستبيان وبكدة يبقى الموضوع فيه شفافية أكثر ومنعا لأي إحراج.

سكتت ياسمين للحظات وأخذت تتأمل تعبيرات وجه الرجل، حاولت ألا تبدو مرتبكة أمام نظراته المتفحصة، ثم تابعت:

- إحنا جمعنا أسماء كل موظفين الفرع من المركز الرئيسي للبنك، بما فيهم طبعا الموظفين الي غايين أو واخدين أجازات، ودول مش هيشاركوا معنا في الاستبيان لكن أسماءهم هتكون مكتوبة فيه طبعا وهيكون مطلوب من زميلهم تحديد أكثر صفة بيكرهوها فيهم.

- طيب ممكن أعرف إيه وجه الاستفادة من الاستبيان دة بالظبط؟ يعني أنت هتستفيدي إيه لما تعرفي إن الموظف دة أناني ودة عصبي ودة مهممل؟

- الموضوع مش هيتم بصورة فردية، احنا هنعمم التجربة دي في أماكن مختلفة ومجالات غير مجال البنوك، وهنحاول نربط أكثر الصفات السيئة الي بيتكرر ظهورها بمؤشرات تانية، زي بيئة العمل والأجور وطبيعة العمل نفسه، دة ممكن يوصلنا إننا نكشف طبيعة العلاقة بين سلوك الفرد نفسه والجو

العام الي بيشتغل فيه.

ظهر التفهم والرضا على وجه مدير البنك فكتمت في نفسها ابتسامة ساخرة، من الواضح أن أداءها كان مقنعًا.

- طيب تحبي نبدأ امتي؟

- دلوقتي لو أمكن.

بدا وكأن الرجل قد تذكر فجأة أمرًا ما فاستدرك:

- بالمناسبة يا أستاذة، أنا عندي خمس موظفين في أجازة مرضي، عملوا

حادثة جامدة ربنا يشفيهم، دول طبعاً مش مهم يدخلوا في الاستبيان؟

كادت ياسمين أن تصاب بأزمة قلبية بعد هذه الجملة، ثم تماسكت

بصعوبة وقالت: لا إزاي يا فندم؟ الاستقصاء عشان نتيجته تبقى معتمدة

لازم يشمل كل موظفي البنك، دي معايير علمية ما فيهاش نقاش.

مط الرجل شففيه كدلالة على عدم الاعتراض.

- خلاص تمام، معلش هستأذنك تستني معانا لبعد الساعة 2 لأن

دلوقتي فيه جمهور وما أقدرش أعمل اجتماع لكل الموظفين غير لما الخزنة تقفل.

- أوكي مفيش مشكلة.

مال الرجل برأسه للأمام قليلاً، وابتسم ابتسامة صفراء ثم أردف:

- واهي فرصة أتعرف عليك أكثر.

رمقته بنظرة خالية من التعبير، ثم ابتسمت في وجهه ابتسامة دبلوماسية

وقالت: أنا هاستنى برا في الصالة لحد الميعاد، أستأذنك.

ونفضت من مكانها سريعاً غير مهتمة بنظراته غير الراضية.

أنهى الدكتور عمرو آخر محاضراته، ليعود إلى حجرة مكتبه بانتظار مقابلة ياسمين وفق الميعاد المحدد بينهما، لم تتأخر كثيرا لحسن الحظ، فلم تمر سوى دقائق معدودة حتى لمحها تدخل من باب الحجرة المفتوح بطلتها الجميلة المعهودة، ابتسم لها فتابعت الدخول، تبدو مرهقة إلى حد ما بتلك الهالات السوداء حول عينيها.

- مساء الخير يا دكتور.

قالتها وابتسمت ابتسامة باهتة قليلا ثم جلست قبالتها.

- مساء النور، شكلك مرهق جدًا، أنتِ كويسة؟

- آه الحمد لله، بس ما نمتش كويس امبارح، وأخذت وقت كثير عشان

أقدر أطلع نتيجة الاستبيان في نفس اليوم.

توقفت عن الحديث لتفتح ذلك الملف الأحمر الذي تمسكه بيدها لتخرج منه أجندة صغيرة رمادية اللون.

- تحب حضرتك نبدأ؟

- قولي لي الأول، مدير البنك ما شكش في أي حاجة؟

هزت رأسها نفيا وقطبت حاجبيها ثم قالت:

- لا إطلاقا.

- طيب اتفضلي.

فتحت ياسمين أجندتها الصغيرة ثم بدأت قراءة تلك الملاحظات التي دونتها بها..

- بالنسبة للمشتبه فيه الأول (محمد ناجح)، أغلب الأقوال أجمعت على إنه شخص أناني جداً، يحب نفسه لأقصى درجة ويسعى دايماً إنه يحقق لها أكبر قدر ممكن من المنفعة حتى لو على حساب غيره، الصفة دي بتخليه شخص غير متعاون إطلاقاً ويتمنعه من قبول أي أعمال إضافية تُسند له، آراء ثانية شافت إنه شخص انتهازي ممكن يعمل أي حاجة علشان يوصل للي هو عايزه، وفيه صفة تالته ظهرت واتكررت كذا مرة وهي صفة الكذب والقدرة العالية على تزيف الحقائق، وطبعاً القدرة دي بيستخدمها دايماً في حالة ارتكاب أخطاء عشان يهرب من المساءلة.

أوماً الدكتور عمرو برأسه متابعاً، فاستكملت ياسمين حديثها باللهجة الجادة نفسها..

- المشتبه فيه الثاني (إبراهيم مغاوري)، تقريباً أكثر من 70٪ من الآراء أجمعت إنه شخص غير منضبط وغير ملتزم إطلاقاً بخطوط وقواعد العمل، شخص مهمل وشغله ضعيف ومليان أخطاء، ومن الصعب جداً إنه يقدر يكمل أي شغل بيتكلف بيه من البداية للنهاية من غير مساعدة، تركيزه قليل تحت ضغط العمل وده بيخلي الاعتماد عليه بصفة أساسية شيء شبه مستحيل، نسبة الـ 30٪ الباقية بتشوف إنه شخص عصبي وصوته عالي، لكن في رأيي إن دي محاولة طبيعية منه عشان يداري جوانب القصور اللي عنده.

أنهت حديثها ورفعت بصرها نحو الدكتور عمرو فرأته ينظر إليها بتركيز شديد واهتمام واضح..

- تحب حضرتك تكتب الي أنا بقوله؟

- لا مش مشكلة.. كملي لو سمحت.

قلبت الصفحة مرة أخرى ثم واصلت القراءة..

- المشتبه فيه الثالث (أحمد الدالي)، دة بالذات ما أخذش مني أي مجهود وأنا بحلل نتيجة الاستبيان، لأنه الشخص الوحيد الي زمايله ما شافوش فيه غير عيب واحد بس، ودة كان شيء غريب وغير تقليدي شوية إن أكثر من 30 موظف يكون ليهم نفس الرأي، كلهم شايفين إنه شخص عدواني جدًا وعلى استعداد دائم للخناق، وإنه بيفسر دايا أي كلام يتقال له تفسير سيء ومش حقيقي، دايا نواياه سيئة تجاه زمايله ومتوقع إنهم هيحاولوا يأذوه بأي طريقة، ودة الي بيخليه يندفع دايا وينفعل لأتفه الأسباب، تخيل حضرتك إن فيه واحد من الموظفين قال عنه (موظف سريع الاشتعال).

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتي الدكتور عمرو أطلق بعدها ضحكة

قصيرة، فابتسمت ياسمين بدورها ثم أردفت:

- إيه رأي حضرتك في الصفة دي؟

مط الدكتور عمرو شفتيه ثم قال:

- عادي، الشخصيات دي موجود منها كتير في الواقع، وأحياناً يبقى

عنده حق في مواقف معينة، ممكن يكون شخص دوغري زيادة عن اللزوم أو

شخص مش بيتقبل الهزار، وممكن ما تكونش دي طبيعة شخصيته لكنه مر بتجارب صعبة في حياته وصلته للمرحلة دي.

سكتت ياسمين للحظة وبدا عليها التردد، شعر الدكتور عمرو أنها تود أن تتكلم في أمر ما، ثم بدا أنها قد حسمت أمرها:

- الحقيقة يا دكتور أنا بقيت دلوقتي متلخبطة جداً، احنا عملنا الاستبيان ده عشان بندور على صفات معينة مرتبطة بشخصية الإنسان العدواني أو المجرم، ازاي لما نلاقي إن صفة من الصفات دي موجودة نخليها تمر مرور الكرام كده؟ يبقى إيه فائدة اللي بنعمله من الأساس؟

كانت تتحدث بلهجة يشوبها قدر بسيط من الانفعال، ابتلع الدكتور عمرو تلك الطريقة في الحديث مراعاة لما بذلته من جهد، ورأى أنه من الأفضل أن يوضح لها الأمور بشيء من الصبر..

- بصي يا ياسمين، أنا عارف وأنت عارفة إن صفات الشخصية السيكوباتية كثيرة جداً، ومنها صفات موجودة في ناس عادية وطبيعية وما لهاش أي سوابق إجرامية، لكن أنا كنت بدور في الاستبيان ده على حاجة خارجة عن المألوف، شخص يكون بتجتمع فيه كل الصفات دي أو معظمها، أو يكون عنده انحرافات سلوكية معينة ممكن نعتبرها مؤشر لاحتمال ارتكاب جريمة، يعني في حالة الشخص العدواني ده مثلاً كان ممكن أفكر فيه لو عرفت إنه استعمل العنف قبل كده مع زميلة أو اشتبك معاهم اشتباك دموي، وفي كل الأحوال هيبقى صعب جداً إني أحدد مدى سيكوباتية الشخصية من محد واحد بس، فاهماني؟؟

ظهر الرضا والتفهم على ملامح ياسمين فأشار لها الدكتور عمرو أن تكمل القراءة..

- المشتبه فيه الرابع (هاني الشرييني)، زميله يقولوا عنه إنه شخص بليد إلى حد ما، شخص مش بيتعلم من أخطائه ويكررها دايمًا برغم توبيخه ولفت نظره للأخطاء دي أكثر من مرة، بعض الآراء قالت عنه إنه شخص نسائي ومش بيستوعب المعلومة بسهولة، متهيألي هما يقصدوا نفس المعنى بس يحاولوا يكونوا مهذبين شوية، العيب الثاني اللي ظهر في الاستبيان إنه شخص فظ جدًّا في التعامل مع الستات لدرجة قلة الذوق، ومتحامل عليهم بشكل مستمر زي ما يكون عنده عقدة معينة منهم، وسلوكه الغريب دة مش بيظهر مع زميله، بس لأ مع العملاء بتوع البنك كمان، وطبعًا اتجأزى بسببه أكثر من مرة.

سكتت ياسمين وابتلعت ريقها، ثم قلبت الصفحة لتصل للجزء الأخير.

- كدة مش فاضل غير المشتبه فيه الأخير (مجدي الهندي)، الموظفين شايفين إنه شخص معندوش أي قدرة على تحمل المسؤولية، دايمًا شايف إن زميله هما المسؤولين عن أي غلط أو تقصير بيحصل في الشغل، ودة اللي بيخليه يلومهم ويأنبهم طول الوقت حتى لو المشكلة حصلت في شغله هو، علطول ناقم على حياته وعلى أوضاعه المعيشية والوظيفية، ومؤمن تمامًا إنه يستحق الأفضل، إنسان دائم الشكوى بيتكلم أكثر ما بيشتغل بكثير، وبعكس زميله اللي فات، مجدي شخص ضعيف جدًّا قدام الستات ودة اللي بيخليه يميزهم في المعاملة بشكل واضح ومستفز.

توقفت ياسمين عن الكلام وأغلقت أجنحتها، ثم رفعت بصرها تجاه الدكتور عمرو قائلة:

- أنا كدة خلصت.

تأمل الدكتور عمرو ملامحها المنهكة، فشر تجاهاها بشيء من الامتنان الممتزج بالشفقة.

- شكراً يا ياسمين، أنتِ عملتِ اليّ عليكِ وزيادة، وآسف على تعبكِ مرة ثانية.

لم يبدُ عليها أنها قد سمعت تلك الجملة الأخيرة وردّت بفضول:

- ممكن أعرف رأي حضرتك إيه؟

تنهد الدكتور عمرو، ثم نظر للأسفل وأسند جبهته على قبضتيه المضمومتين للحظات، ثم نظر إليها فجأة وقال:

- يعني احنا باختصار قدّامنا واحد أناني وكذاب وانتهازي، والثاني غير منضبط ومعدوش أي قدرة على الالتزام بأي حاجة، والثالث عدواني وانفعالي، والرابع بطيء الفهم وعنده صعوبات في الاستيعاب، والخامس بيتهرب من المسؤولية دايماً ويرميها على غيره، مطبوظ كدة؟؟؟

- تمام يا دكتور.. ردت وبعينها تظهر نظرة ترقب..

- طيب راجعي كدة الصفات دي وفكري فيها شوية، بتفكري بحاجة؟

أطرقت للحظات بدا فيها أنها تسترجع ما سمعته وتفكر فيه بتأن، حتى لمعت عيناها فجأة والتفتت بحدة تجاه الدكتور عمرو وعلى شفيتها ابتسامة مليئة بالدهشة:

- معقول؟؟ قالتها بلهجة غير مصدّقة.

- تخيلي؟؟ الصفات الي قولتيها كلها بلا استثناء، تطلع من الصفات الأساسية للشخصيات السيكوباتية، ويتضح أن كل واحد من المشتبة فيهم عنده صفة صريحة من صفات الشخصية المريضة المعادية للمجتمع والي عندها استعداد فطري لارتكاب الجريمة، صدفة عجيبة فعلا.

بدت علامات الاندهاش وعدم التصديق واضحة على وجه ياسمين لبرهة، ثم تذكرت فجأة أمراً ما فقالت:

- بس حضرتك أخذت بالك من آخر اتنين وموضوع علاقتهم بالستات دة؟ واحد بيكرهم بصورة فجّة والثاني ناعم معاهم زيادة عن اللزوم، أنا شايفة إن الأولاني ممكن يبقى مثير للشك أكثر، الكراهية دي أكيد ليها سبب، موقف معين مثلاً حصل معاه وسبب له العقدة دي، أو طفولة صعبة بسبب معاملة الأم أو زوجة الأب، متهيألي الحالة دي محتاجة إننا ندرسها أو نعمل عنها تحريات.

هز الدكتور عمرو رأسه نفياً ثم قال:

- بالعكس، الشخص الي بيبين مشاعره ويتعمل على طبيعته -حتى لو الطبيعة دي مش بتعجب ناس كثير- هو في الغالب شخص غير خبيث، ممكن تكون حصلت له مشاكل مع الستات قبل كدة زي ما قلت، لكن مادام الكراهية دي بتظهر في التعامل العادي يبقى مفيش خطر منها، القاتل شخص ذكي وكتوم يا ياسمين، مش شخص ساذج بيطلع الي في قلبه على لسانه وميقدرش يداري مشاعره وانفعالاته.

- طيب والثاني؟ الشخصية اللزجة الي بتنجذب لكل الستات وبتحاول تقرب منها؟

- ولا دة برضو، دة واحد كل هدفه إنه يعمل علاقات كتير والعلاقات بالنسبale مصدر استمتاع مش أكثر، إيه الي يخليني أشتبه فيه من الأساس؟ على أسوأ تقدير هنفترض إنه حاول يتصرف بطريقته دي مع القتيلة لكنها صدته أو أخرجته، في الحالة دي هيبعد عنها بسرعة وهيحاول يدور على غيرها، لأن شخصيته مش هتقف عند واحدة بعينها ولا هتديها أكبر من حجمها.

أومأت ياسمين برأسها موافقة، ثم خفضت بصرها وبدت عليها خيبة الأمل ثم تمتمت بضيق:

- طبعاً بالشكل دة بقى صعب جداً إننا نستبعد أي واحد من المشتبه فيهم، وكمان ما نقدرش نشك في واحد معين أكثر من باقي زميله، أنا آسفة إني ما قدرتش أفيد حضرتك.

- لا لا إطلاقاً بالعكس، أنتِ عملتِ المطلوب منك على أكمل وجه، وعلى فكرة الاستبيان دة من الناحية الأكاديمية يعتبر قيم جداً، وأنا أستاذك إني أحتفظ بيه لأنه ممكن يفيدني في الأبحاث الي بعملها عن زيادة معدل الجريمة في العشر سنين الأخيرة.

ظهر عليها قدر من الرضا، على الأقل لم يضع مجهودها هباءً.

- طبعاً موافقة يا دكتور، دي حاجة تشرفني.

بدا أنه لم يسمع تلك الجملة الأخيرة، فقال بشيء من الشرود الممتزج بالتجهم:

- كمان الاستبيان دة وضح لي حاجة مهمة جدا..

رمقته ياسمين بتساؤل، فأكمل حديثه بالنبرة المتجهمة نفسها:

- للأسف نتيجة الاستبيان بتقول إننا كلنا مرضى مهما حاولنا نبان مثالين قدام بعض، لما كل المشتبه فيهم يبقى عندهم اختلالات جوهرية في الشخصية ممكن تدفعهم في أي وقت لارتكاب أي جريمة، تبقى دي حاجة تخوِّف، واللي يخوِّف أكثر هو البعد المستمر عن الدوافع الدينية والأخلاقية، كدة ممكن أقولك وأنا مقتنع جدا إننا داخلين على كارثة حقيقية، ولو الوضع دة ما اتغيرش هنبقى عايشين في غابة وكل اللى بيحركنا هي رغباتنا وشهواتنا وبس، ويا عالم هيبجي يوم ونفوق ولا لأ.

الوقت يمضي بسرعة والأمور تزداد تعقيداً، لم تفلح محاولات فريقه الصغير في توضيح الصورة، لتعود الكرة إلى ملعبه ويزداد العبء ثقلًا على كاهله، الأمل الوحيد الآن في قدرته على تحليل شهادة الشهود والوقوف على أية ثغرة أو نقطة ضعف فيها، عليه الآن أن يستحضر كل ما تعلمه على مدار حياته، سنوات من الشغف والاجتهاد والمثابرة دفعته لكي يكون الرجل الأول في هذا المجال، مكانة طمح إليها كثيرًا وعندما بلغها كان عليه أن يدفع ضريبة الشهرة.

أمام حاسوبه المحمول يجلس ممسكا بيده تلك الاسطوانة التي تحوي تسجيلات الكاميرا، وعلى المكتب ترقد تلك المفكرة الصغيرة المدون بها ملخص الاستجابات، أدوات بسيطة وبدائية إلى حد ما، ولكنه ليس بحاجة للمزيد، فعقله اليوم هو أدواته الأهم والأكثر فاعلية، وخبرته وموهبته الكبيرة في التحليل النفسي هي وسيلته الوحيدة لقراءة ما بين السطور.

بهدوء وروية مبالغ فيهما، يفتح المفكرة الصغيرة ليطلع ما بها من شهادات بمنتهى البطء والإمعان، يركز في كل حرف ويحاول ترتيب أفكاره، بتلك الطريقة العلمية التقليدية في البحث والتي تعتمد على الملاحظة والاستنتاج، فتظهر له نتائج أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مذهلة ولا تخضع لأي توقع، ولكنها -في الوقت نفسه- تعد منطقية إلى أقصى حد، يشعر بالثقة والاطمئنان تدريجيًا لتلك النتائج التي يصل إليها على الرغم من غرابتها، فيزداد حماسة

ويتابع العمل غير آبه بالساعات التي تمضي بلا حساب، تسجيلات الكاميرات بها مفاجآت أخرى، لا داعي للتعجب فهي ليلة المفاجآت بلا شك. ينتهي من عمله أخيراً، فيسرع بالاتصال بالعميد محسن ليحدد معه ميعاد المقابلة، بداخله إحساس غريب يجمع بين النشوة والتعب وعدم التصديق، أي إنجاز علمي وصل إليه اليوم، وأية قضية غير تقليدية سيقف أمامها المحللين الجنائيين طويلاً.

الشعور بالرهبة نفسه يتكرر مرة أخرى على الرغم من عدم وجود أي مخاوف أو مخاطر، يبدو أنه شعور مرتبط بالمكان وطبيعته أو بالأشخاص ذاتهم، على الرغم من ذلك يواصل طريقه بثبات نحو حجرة العميد محسن محاولاً أن يبدو متماسكاً هادئاً الأعصاب، حتى يصل إليها فيفتح له الحارس الباب فوراً، من المؤكد أنه قد تلقى الأوامر بذلك، يبدو أن هناك من ينتظره على أحر من الجمر.

انتفض العميد محسن من مكانه فور رؤيته، تبدو ملامح القلق والانفعال واضحة جداً على وجهه المحتقن، يمد يده إليه مصافحاً بشيء من العجلة..

- أهلاً يا دكتور اتفضل.

- أهلاً يا فندم.

يصافحه بقليل من الارتباك. جلس العميد محسن فجلس هو، نظرات العميد محسن الجادة المتحفزة تشير إلى رغبته في التحدث عن نتيجة التحقيق مباشرة بدون الدخول في أي حوارات جانبية.

- أتمنى تكون وصلت لنتيجة مرضية.

يقولها العميد محسن بحزم. سكت للحظة ولم يرد، هو لا يعرف تحديداً ما مفهوم النتيجة المرضية بالنسبة له.

- إن شاء الله تكون نتيجة سليمة ومنطقية ومبنية على أساس علمي.

قالها بشيء من الثبات والاعتناع، ولكن لم تعجبه تلك النظرات التي ظهرت في عين العميد محسن بعد تلك الجملة، نظرة بها قدر من الاستفهام

والاستنكار، وكأنه لم يعجبه، وصف نتيجة التحقيق بهذا الوصف، حاول أن يهرب من ذلك الاتجاه غير المريح في الحديث فتابع:

- تحب حضرتك أبداً؟

- ياريت..

تنحى ثم أخرج مفكرته المعهودة من تلك الحقبة السوداء المميزة التي بحوزته، ووضعها على المنضدة الصغيرة أمامه، ثم وضع الحقبة جانباً وبدأ استرسال الحديث:

- الحقيقة، الموضوع في البداية كان شائك وصعب جداً، زي ما أكون بدور على إبرة في كومة قش بالظبط، خصوصاً إن مفيش أي دوافع ظهرت لارتكاب الجريمة ولا أي أدلة ممكن تخليني أشك في حد معين، لكن كان واضح إن فيه أساسيات لازم أعيد البحث فيها مرة ثانية بشكل مفصل، أول حاجة طبعا كانت شهادة الشهود، كانت خطوة مهمة إني أعيد استجوابهم عشان أقدر أحلل شهادتهم نفسياً بأسلوب علمي، والحقيقة إن دي كانت الجزئية الأصعب ودة الي خلاني أعملها بنفسي، الجزئية الثانية الي كنت عايز أستوفيهها بشكل مرضي هي شهادة عمال الاستراحة باعتبارها مفتاح مهم في القضية، لكن للأسف إعادة استجوابهم ما أسفرتش عن أي نتيجة، شهادة عادية جداً ما فيهاش أي أقوال متضاربة أو متحرفة من شهادتهم الأولى، بالإضافة لأن تحليل لغة الجسد بالنسبة ليهم أكد صدقهم تماماً بشكل قاطع، مهمة استجوابهم قام بيها الأستاذ (أحمد رأفت) ودة واحد من أكفأ المعيدين عندي في القسم.

توقف عن الكلام للحظة ليعيد ترتيب أفكاره، ثم تنهّد قبل أن يقول:

- النقطة الثانية الي حاولنا نبحت فيها هي الصفات الشخصية للمشتبه فيهم، حاولنا نعرف أكثر عن أسوأ الجوانب الموجودة في الشخصيات دي، وهل ممكن تكون أي شخصية فيهم عندها استعداد فطري أو قابلية عالية لارتكاب الجرائم أكثر من غيرها، طبعا النتيجة ما كانش ممكن نعرفها إلا من خلال الناس الي بتعامل معاها بصفة مستمرة وتعرف عيوبهم كويس جدًا، ولأن شرط السرية موجود في التحقيقات من البداية، ما كانش ينفع أبدًا إننا نعمل تحريات مع الأهل أو الجيران أو أي فرد من بيئة المشتبه فيهم، استقر رأينا في الآخر إننا نعمل استقصاء أو استطلاع رأي مع زمایل المشتبه فيهم في البنك، وكان هدف الاستقصاء هو الوصول لأسوأ صفة في شخصية المشتبه فيهم وتحديد مدى خطورة الصفة دي، النتيجة المدهشة والمخيبة للآمال في نفس الوقت إن كل المشتبه فيهم طلع عندهم صفة أصيلة من صفات الشخصية السيكوباتية، يعني كلهم تقريبا عندهم نفس درجة الاستعداد لارتكاب أفعال إجرامية أو أعمال مخالفة للقانون، وطبعا مع عدم وجود أي سوابق لأي حد فيهم في ارتكاب أي جريمة حتى لو كانت بسيطة، بقى صعب جدًا إننا نحصر مجال الاشتباه في شخص واحد بعينه، الاستطلاع ده كان شامل جميع موظفي البنك وتم بدون الإعلان عن سببه الحقيقي، والي قام بيه تلميذتي المعيدة ياسمين الخطيب وأنا أشهد لها بالكفاءة والجدية المتناهية.

سكت الدكتور عمرو ليرى تأثير كلماته على العميد محسن الذي ظهر على

ملاحه قدرٌ كبير من الإعجاب..

- واضح إننا كان عندنا حق لما قررنا نستعين بـيك يا دكتور، وواضح كمان إنك بذلت مجهود ممتاز مع فريق العمل بتاعك، اتفضل كمل.
- ارتفعت معنويات الدكتور عمرو قليلا بعد هذا الإطراء، وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة لم تدم سوى ثانية واحدة ثم استطرد:
- كدة ما بقاش فاضل غير شهادة الشهود ودي كانت مهمتي، إعادة استجوابهم مرة ثانية مع تطبيق أسس علم النفس الجنائي اللي درستها وبدرّسها، وأعتقد إن نتيجة الاستجواب تعتبر مفاجأة بكل المقاييس، أنا هبدأ أعرضها على حضرتك وأعتقد إن رأيك مش هيفتلف عن رأيي..
- أشار العميد محسن بيده إليه لكي تابع حديثه، فالتقط الدكتور عمرو المفكرة من أمامه وفتحها حتى وصل لصفحة معينة، ثم استنشق نفساً عميقاً وقال:
- بالنسبة للشاهد الأول (محمد الإترى)، كانت شهادته غريبة إلى حد ما، هو اتعرف على المشتبه فيه الأول (محمد ناجح) من تسريحة شعره، لكنه ما شافش وش المشتبه فيه بشكل واضح، بغض النظر عن النقطة دي وهل هي أصلاً تعتبر دليل كافي أو لا، كان فيه جوانب ثانية في الشهادة خليتها محل شك.

سكت للحظة ليتلع ريقة ثم تابع سريعاً:

- سن الشاهد 68 سنة ودة سن كبير نسبياً، ومن الناحية العلمية يعتبر التقدم في السن من العوامل الطبيعية اللي بتأثر على قدرة أي شخص في استرجاع المعلومات وكفاءة ودقة عملية التذكر نفسها، خصوصاً لو الشخص

دة مصاب كمان بأمراض مزمنة زي الضغط والسكر، وقتها بيكون صعب جداً على ذاكرته إنها تحتفظ بالمعلومات لوقت طويل خصوصاً لو كانت معلومة مش مهمة، لاحظ كمان حضرتك إن الشاهد دة هو آخر شاهد تم استجوابه، ومن المعروف أن كل ما بتزيد الفترة اللي بتفصل بين حدوث الجريمة وبين الإدلاء بالشهادة كل ما نسبة الدقة بتكون أقل، كل دة كوم بقى وعملية المية البيض اللي عملها في عنيه دي كوم تاني، لأن دة مؤثر مباشر على الرؤية، ووارد جداً إنه يزود نسبة وقوع الخطأ أو حدوث خلط بين المشاهد وبعضها.

رقمه العميد محسن بنظرة تملؤها الحيرة، فأضاف:

- برغم كل دة، أنا كنت متأكد تماماً من إنه صادق في أقواله، كان باين جداً إنه معندوش ذرة تردد أو شك، لحد ما راجعت تسجيلات الكاميرات اللي مثبتة على بوابة الاستراحة، وهنا تحديداً اكتشفت المفاجأة..
بلغ الاهتمام والإنصات لدى العميد محسن ذروته وتنبهت كافة حواسه، فمدَّ الدكتور عمرو يده بداخل حقيبتة الصغيرة وأخرج منها بعض الصور، ثم وضعها بالترتيب أمام العميد محسن على المكتب.

- حضرتك دي صور سجلتها كاميرات المراقبة في الاستراحة في أوقات مختلفة قبل الحادثة، أول صورة دي تاريخها قبل الحادثة بأسبوع، والصورة الثانية دي قبل الحادثة بخمس أيام، والصورة الثالثة قبل الحادثة بيوم، لو لاحظت حضرتك إن الشيء المشترك بين الـ 3 صور هو المشتبه فيه (محمد ناجح)، وهتلاحظ فعلاً إن تسريحة شعره هي نفس التسريحة اللي قال عليها عم (محمد) الشاهد في أقواله.

لم يترك الفرصة هذه المرة للعميد محسن لكي يسأل أو يصاب بالحيرة، وأخرج من حقيته الصورة الرابعة ثم تابع سريعاً:

- الصورة دي بقى لقطتها كاميرات المراقبة يوم الحادثة، وهي بتجمع بالصدفة بين المشتبه فيه الأول (محمد ناجح) وزميله في الشغل (أحمد الدالي)، حضرتك شايف أي حاجة غريبة في الصورة؟

دقق العميد محسن النظر قليلاً، ثم رفع بصره نحو الدكتور (عمرو) قائلاً:

- مش واخد بالي، إيه الغريب يعني؟ صورة طبيعية.
- طيب أسهلها على حضرتك، مش حاسس إن فيه أي حاجة مشتركة بينهم؟

أعاد العميد (محسن) النظر مرة أخرى إلى الصورة محاولاً إيجاد نقاط التشابه، ولم تمر سوى لحظة واحدة حتى ارتسمت نظرة تعجب في عينيه، ثم أردف بذهول:

- نفس تسريحة الشعر؟
- بالظبط يا فندم، صدفة متحصلش غير في الأحلام بس، (أحمد الدالي) كان عامل نفس تسريحة شعر (محمد ناجح) في اليوم ده، برغم إنه في الأحوال العادية بيسرح شعره بشكل مختلف تماماً.

بدا بعض التردد والشك على ملامح العميد محسن، فأراد الدكتور عمرو أن يخرج من تلك الحالة فأضاف:

- بكدة ممكن نستنتج إن الشاهد اتعرف على المشتبه فيه من خلال صور أرشيفية بيظهر فيها كل واحد من المشتبه فيهم الخمسة بشكله الطبيعي المعتاد،

أو ممكن يكون الشاهد عارف مسبقا إن (محمد) هو الي يسرح شعره بالشكل
دة بحكم تواجدهم في الاستراحة في نفس التوقيت بصفة شبه يومية، في كل
الأحوال الشهادة بالوضع دة ما تعتبرش دليل كافي على ارتكاب المشتبه فيه
للجريمة، لأن فيها من النفي نفس القدر الموجود في الإثبات وبالتالي مستحيل
نسترشد بيها.

بدا أن العميد محسن لم يستوعب بعد تلك الحالة نادرة الحدوث، وشعر
الدكتور عمرو أنه يجد صعوبة في استيعاب الموقف فارتسمت على شفثيه
ابتسامة تهكم وقال:

- لسة بدري يا فندم على الاستغراب الي حضرتك فيه دة، التقليل لسة
جاي.

رفع العميد محسن نظره إليه ببطء ولم يرد، فأكمل حديثه لكيلا يضع
مزيذاً من الوقت:

- الشاهد الثاني (إسماعيل عبد الهادي)، من أول ما دخل عليا وأنا
حاسس بارتبাকে المبالغ فيه، أكيد لما الجهات الأمنية تستدعي حد أكثر من مرة
عشان تاخذ أقواله فدي مش حاجة ظريفة ولا مريحة أبداً، لكن حركات
وانفعالات الشاهد ده ما كانتش بتدل على إنه خايف الخوف العادي المقبول في
المواقف الي زي دي، وده كان باين جدّا في ردوده العدائية غير المبررة، طبعا
كنت محتاج لأدلة أكثر عشان أتأكد من كذبّه، وده الي خلاني أعملله اختبار
كشف الكذب.

- تراجع العميد محسن في مقعده، ثم تتم بلهجة ساخرة:
- بسم الله ما شاء الله، وحضرتك جبت جهاز كشف الكذب ده منين؟
كان عندك واحد في البيت ولا إيه؟
- لم تعجب الدكتور عمرو تلك اللهجة، من الواضح أن العميد محسن يجد صعوبة في التعامل بصورة طبيعية.
- أطرق الدكتور عمرو برأسه ولم يرد، لحظات تمر بطيئة قبل أن يبادر العميد محسن بالحديث بهدوء:
- معلىش اعذرني يا دكتور، ما قصدتش أزعجك، بس لاحظ إن كلامك غريب برضو.
- رفع الدكتور عمرو بصره إليه بسرعة وقد بدا متحمسًا جدًا لإيضاح وجهة نظره..
- إطلاقاً يا فندم، فكرة جهاز كشف الكذب هي فكرة بسيطة جدًا، بتعتمد على قياس تغيرات معينة تحصل في جسم الإنسان لما بيرد على أي أسئلة بتتوجه له، وطبيعة التغيرات دي هي اللي بتبين إذا كان الشخص الخاضع للاستجواب بيكذب أو لا، على سبيل المثال سرعة النبض والتنفس وارتفاع ضغط الدم، دي كلها عوامل بيقيسها الجهاز بصورة تلقائية خلال الاستجواب، أنا مشيت على نفس النهج لكن الفرق الوحيد إني لاحظت التغيرات دي بنفسى، والنتيجة كانت مرضية جدا وأكدت لي إن الراجل ده فعلا غير صادق في أقواله، سرعة النبض كانت 110 نبضة في الدقيقة مع العلم إن المعدل الطبيعي هو 70 نبضة بس، وضغط الدم كان عالي جدا لدرجة إني

فكرت للحظة إني أنهي عملية الاستجواب، الضغط كان 190 على 110 مع ملاحظة إن الشاهد دة أساسا مش مريض بالضغط.

- ثانية واحدة بقي، هو دة الشاهد اللي كنت عايز اللبانة علشانه؟
ملأت وجه الدكتور عمرو ابتسامة عريضة، واحمرّ وجهه قليلا ثم أردف:
- أنا بعذر لحضرتك مرة ثانية عن الطلب الغريب دة، دي تقريبا أقدم وسيلة استُخدمت في التاريخ لكشف الكذب، وسيلة بدائية كان بيستخدمها الصينين زمان لما بيشكوا في كذب أي حد، لكن ما كانوا بيستخدموا اللبان طبعا، الفكرة كلها بتعتمد على إن الإنسان اللي بيكذب بيكون ريقه ناشف بسبب زيادة التوتر، دي حاجة هما لاحظوها بالصدفة البحتة لكن العلم الحديث أثبت صحتها فعلا، إخواننا الصينيين كانوا بيخلوا الشخص اللي هما شاكين فيه يمضغ أي حاجة، شوية رز مثلا وبعدين يخرجوها من بؤه، ومن خلال كمية اللعاب في الشيء الممضوغ ده كانوا بيقدروا يحددوا مدى كذبه أو صدقه.

ظهر على وجه العميد محسن قدر من الدهشة الممتزجة بالشك ثم قال:
- وأنت لقيت إيه؟
- لقيت النتيجة اللي كنت متوقعها، اللبانة صلبة وناشفة جدا برغم إن الشاهد قعد يمضغها أكثر من خمس دقائق، يعني هو للأسف فشل في الاختبار وشكي فيه كان في محله.

- أيوة بس إيه سبب الكذب؟ لازم يكون فيه دافع، بالشكل دة أنا ممكن أدخله في دائرة الاتهام مع المشتبه فيهم، إيه اللي يخليني أعرف إن مش هو الجاني

وبيحاول يرمي عملته على أي حد؟

- أنا كمان فكرت في الجزئية دي، وعلشان كدة طلبت من أحمد إنه يسأل عمال الاستراحة عن أي مشاكل حصلت بين الشهود والمشتبه فيهم قبل الحادثة، في الأول كلهم قالوا إن مفيش حاجة حصلت وما كانوش فاكرين حاجة، لكن بعد الإلحاح في السؤال فجأة واحد منهم افكر إن إسماعيل (الشاهد) وإبراهيم مغاوري (المشتبه فيه) حصلت بينهم خناقة كبيرة من فترة، باقي عمال الاستراحة أمّنوا على كلامه وبدءوا يفتكروا الواقعة لما زميلهم افكرها، محدش كان عارف سبب الخناقة بالظبط، لكنهم قالوا إن إبراهيم ضرب إسماعيل وأهاناه قدام الناس كلها، وإسماعيل ما قدرش يوقفه لأنه كان أضعف منه جسمانيًا، لحد ما الناس اتدخلت وقدروا يخلصوه من إيده بالعافية.

- ممم.. كدة قدرنا نعرف دافع الكذب إيه، الكراهية.

- بالظبط يا فندم، ما أعتقدش إن دي شهادة نقدر نعتمد عليها أو نعتبرها موجودة من الأساس، برغم إن الشاهد كان فاكِر ملابس المشتبه فيه كويس جدًّا ولما راجعنا الكاميرات اكتشفنا إنه مش بيكذب في الجزئية دي، لكنها نقطة ممكن ما يكونش ليها أي دلالة، ممكن يكون الشاهد مركز مع المشتبه فيه زيادة عن اللزوم بسبب اللي حصل بينهم ودة الي خلاه يفضل فاكِر شكله ولبسه، واضح إنه عمل له عقدة نفسية لما ضربه قدام الناس، والعقدة دي خلته ينتهز الفرصة علشان ينتقم منه.

هز العميد محسن كتفيه بأسف وقال:

- الحقد الي جواه ما دمرش حد غيره، دي شهادة زور مكتملة الأركان ولازم يتحاسب عليها.

أوما الدكتور عمرو برأسه موافقاً، وظل صامتاً لبرهة قبل أن يتابع:

- الشاهد الثالث (سامح سالم) كان بالنسبالي حالة سهلة جداً، لأنني كنت متأكد وأنا باستجوبه إن معندوش ذرة تردد في أقواله، كان باين جداً من طريقة كلامه الهادية ووضعية جسمه المرتاحة إنه مش بيكذب، شهادة ما قدرتش ألاقى فيها ثغرة واحدة لدرجة إني حسيت إن القضية خلاص اتحلت، لكن للأسف الموضوع مطلعش بالسهولة دي أبداً.

ظهرت خيبة الأمل على وجه العميد محسن، تجاهل الدكتور عمرو ذلك ثم أكمل سريعاً:

- الشاهد كان متأكد إن المشتبه فيه الثالث (أحمد الدالي) هو الجاني، وبناءً على نسبة التأكد دي أخذت منه معلومات عن شكل الجاني والقتيلة يوم الحادثة، علشان يبقى عندي دليل مادي ملموس ممكن أستند إليه، ويدعم كمان من أقوال الشاهد، الشاهد قال إن الجاني كان لابس قميص بيج وبنطلون بني، وإن القتيلة كانت لابسة بلوزة رمادي وجيبة سودا، ولما راجعت الكاميرات يوم الحادثة اتضح إن الكلام دة غلط جداً وملوش أي أساس من الصحة.

قطب العميد محسن حاجبيه باهتمام وقال:

- بس أنت لسه بتقول إنه مش بيكذب، وإنك واثق تماماً من إن أقواله

سليمة؟

- ده صحيح يا فندم ودة الي أربكني جدا، مش معقول يكون شخص عادي زي الشاهد عنده القدرة الرهيبة دي على إخفاء انفعالاته لدرجة إنه يقدر يخدع حد متخصص، في النهاية الشهادة بالنسبالي تعتبر باطلة لكن كان فيه جزء مني مش فاهم إيه الي بيحصل، لحد ما اكتشفت حاجة غريبة جدًا وأنا براجع كاميرات المراقبة.

سكت للحظة لكي يجذب انتباه العميد محسن وتركيزه إلى أقصى درجة ثم أردف:

- حضرتك عارف إني طلبت تسجيلات الكاميرات لمدة أسبوع قبل الحادثة، اللقطات الي الكاميرات سجلتها قبل الحادثة بيوم واحد أثبتت إن المشتبه فيه والقتيلة كانوا لابسين نفس اللبس الي الشاهد أدلى بأوصافه، نفس الألوان بالظبط بدون أي تغيير، ودة بيثبت إن الشاهد ما كانش بيكذب في أقواله وإنه شاف المشتبه فيه بيدخل الحمام ورا القتيله فعلا، لكن للأسف دة حصل في اليوم السابق للحادثة مش في يوم الحادثة نفسه، دي ظاهرة علمية معروفة اسمها (التداخل في استدعاء الأحداث من الذاكرة)، الشاهد هنا شاف حدث معين قبل أو بعد التوقيت الي حصلت فيه الجريمة، ولما تم استجوابه استرجع المشاهد الي شافها والي اتخزنت في عقله الباطن، لكن في الحقيقة إن المشاهد دي ملهاش أي علاقة بواقعة الجريمة نفسها، في بعض الأحيان بيكون الشاهد مرتبك وخايف من المساءلة، ودة الي بيخلي عقله يفكر أحداث قريبة في الزمان والمكان من الجريمة الفعلية ويستخدم الأحداث دي في شهادته، دي ألعيب اللاوعي الخفية، لحسن الحظ إن فيه محلل نفسي في

الموضوع وإلا كان الشاهد دة بقى متهم بشهادة الزور.

رمقه العميد محسن بنظرة مليئة بالضيق والحنق، من الواضح أنه لا يرغب بسماع كل تلك التبريرات ويريد أن يعرف النتيجة النهائية مباشرة، لكنه يحاول ألا يُظهر ذلك، يشيح بوجهه ويشعل سيجارته بشيء من العصبية ويزداد احمرار عينيه.

- أكمل يا فندم؟؟

ظل العميد محسن صامتا لفترة ثم أوما برأسه أخيراً.

- الشاهد الرابع (طاهر عبد العليم) كانت شهادته من أغرب الشهادات الي شفتها بصراحة، وأخذت مني وقت كبير جدا عشان أقدر أحللها بطريقة ترضيني وأكون متطمئن لها، عملية الاستجواب بدأت بارتباك ملحوظ من الشاهد مع شيء من العدوانية، ولما حاولت أتكلم معاه وأفهم سبب عصبيته اتضح إنه سمع كلام معين من والدته وصله للحالة دي، الست فهمته إن سبب استدعائه للشهادة مرة ثانية إن الشرطة مشتبهة فيه وعازية تلفق القضية له، وهو صدق الكلام فوراً وتأثر بيه جداً من غير حتى ما يحاول يفكر في مدى صحته.

ابتسم العميد محسن ابتسامة مريرة ثم قال:

- للأسف فيه ناس كثير بتفكر بالشكل دة.

- المشكله مش في طريقة تفكيره يا فندم، مش دي النقطة الي أقصد أوضحها، أنا ممكن أقبل إنه يفكر بالأسلوب دة لو هي دي معتقداته الشخصية، لكن تأثره المبالغ فيه بكلام الغير خلّى تفكيري يروح في حته ثانية ..

نظرة الفضول تظهر في عين العميد محسن تُخفي وراءها قدرًا من الضجر والاستعجال كالعادة، يتابع الدكتور عمرو:

- الشاهد مكانش فاكّر مين بالظبط اللي دخل الحمام ورا البنت، ما افتكرش غير لما سمع الظابط اللي بيستجوبه بالصدفة وهو بيقول إنه شاكك في (هاني الشربيني) وحاسس مجرد إحساس إنه شافه قبل كده، ساعتها نزل عليه الوحي وأكد على كلام الظابط فورًا بالرغم من إنه كان متردد، فجأة بقى متأكد من أقواله مع إنه كان شاكك في أكثر من واحد من المشتبه فيهم، ومع ذلك فهو مش فاكّر إطلاقًا شكل ملابس الجاني أو هيئته، ودة الشيء المتناقض جدا في الشهادة بغض النظر عن تغيير الشاهد لأقواله بدون مبرر.

- أنت عايز توصل لإيه بالظبط يا دكتور؟؟

- عايز أقول إن دي شخصية عندها قابلية عالية جدا للإيحاء، شخصية بتتأثر بكلام الناس وآرائهم بشكل مش طبيعي، ودة لأنها في الأساس شخصية ضعيفة هشة معندهاش أي ثقة في النفس، ولا عندها أي قدرة على اتخاذ قرار أو تكوين رأي شخصي بدون الرجوع للغير، عشان كدة هي بتميل إنها تردد أي كلام بتسمعه وتعتبره رأيها الخاص، رأي الناس بالنسبة للشخصية دي هو طوق النجاة اللي بيسعفها في أي موقف، ومن الصفات الأساسية في الشخصية دي هي سرعة التصديق، بتصدق أي حاجة بحسن نية مبالغ فيه، ودة لأن رأي الناس بالنسبها يعتبر شيء مقدس وله أهمية كبيرة، حضرتك ممكن تتخيل إني قلت للشاهد إن رئيس الجمهورية هو اللي مكلفني بالتحقيق، والنتيجة إنه ما شكش للحظة واحدة ف كلامي، بالعكس صدقه فورًا واتمنالي التوفيق كمان.

ظهر التركيز الممتزج بالتعجب على ملامح العميد محسن، وبدأ واضحاً أن طريقة سرد الدكتور عمرو للأحداث قد أضفت جواً من التشويق وأزالت ما كان يشعر به من نفاد صبر..

- أنت متأكد من تشخيصك يا دكتور؟ مش عارف ليه حاسس إنك ممكن تكون اتسرعت شوية المرادي، يعني أنت شايف إن الأدلة اللي وصلتك للتفسير دة تعتبر كافية؟

أوماً الدكتور عمرو برأسه إيجاباً بثقة ثم أردف:

- تمامًا يا فندم، فية حاجة كمان حصلت أكدت لي إني ماشي في الطريق الصح، الشاهد كان بيرتحف من البرد، ودة لأن الجو كان بارد فعلاً، لكن لما أنا قلت متعمد طبعا إن جو الأوضة أدفى بكثير من براء، بعد شوية راحت الرعشة اللي كانت في رجله، ودة لأن عقله الباطن أخذ كلامي كشيء مُسلّم بيه وادّى الأمر لجسمه إنه يتصرف على الأساس دة، موضوع تغيير الشعور بالبرد والحر دة لوحده كفيل إني أثق في تشخيصي بنسبة 100٪، مع مراعاة إن الشاهد كان رافض يلبس بنطلون جينز في البرد دة لأنه سمع من واحد صاحبه إنه ببسبب عقم، يعني حجة مش ممكن يصدقها طفل صغير لكنه صدقها وطبقها كمان، أعتقد يا فندم إن شهادة شخص زي دة مستحيل نقدر ناخذ بيها واحنا ضميرنا مستريح، لأنها صادرة من إنسان مهزوز معندوش ذرة ثقة في نفسه أو في أقواله.

ظهرت علامات الإنهاك والتشتت على ملامح العميد محسن بعد كل تلك التفسيرات العلمية، رمقه الدكتور عمرو بنظرة مشفقة.

- تحب حضرتك نرتاح شوية يا فندم وبعدين نكمل؟؟
كاد العميد محسن أن يرد بالإيجاب لولا ما بداخله من فضول ورغبة مُلحّة في الوصول للحل، فهز رأسه نفيًا ورسم على شفتيه ابتسامة باهتة ثم أشار للدكتور عمرو أن يُكمل حديثه.

- الشاهد الخامس (مصطفى مؤمن)، الشاهد دة اتهم (مجدي الهندي) آخر المشتبهين فيهم، في بداية الاستجواب تبين إنه مش متأكد من شهادته بنسبة 100٪، يعني هو ما كانش واثق إن المشتبه فيه هو أول واحد راح ناحية الحمام بعد القتيلة، برغم كدة كان متأكد جدا من إن المشتبه فيه دة هو الجاني، لكن أسبابه كانت مش منطقية أبدا..

استنشق نفسًا عميقًا ثم تابع:

- الشاهد شاف المشتبه فيه قبل كدة ذا مرة وهو بيص لجسم البنت بطريقة فجّة، بصة مليانة شهوة زي ما بيقول، مع ملاحظة إنهم بيبقوا قاعدين وسط زمايلهم، بالإضافة إلى أن الشاهد شافه وهو بيحاول يلمس جسمها من غير ما تاخذ بالها، ودة معناه إن المشتبه فيه معندوش أي قدرة على السيطرة على نفسه..

قاطعه العميد محسن:

- ثانية واحدة قبل ما تكمل، تحرياتنا أثبتت إن مفيش أي حد من المشتبه فيهم اتعرّض للقتيلة قبل كدة أو حاول يضايقها، ودة معناه بديهيًا إن محدش اتحرش بيها أو حاول حتى يعمل كدة، وبعدين بالعقل يعني، محدش هيعمل

كدة مع زميلته لأنه يبقى بيحجب لنفسه مصيبة، تبقى إيه أهمية إنه يصلها أو ما يصلهاش؟ كل الرجالة بتبص على فكرة..

توقف عن الحديث فجأة وارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة، ثم أملأ رأسه للأمام وأردف:

- بالمناسبة يا دكتور، أنت مش بتبص برضو؟؟
- لم يتبسم الدكتور عمرو بل حوّل بصره للأسفل بشيء من الحرج ولم يرد، ثم بدا وكأنه قد تذكر شيئاً ما فأعاد النظر نحو العميد محسن وقال بفضول:
- معلش يا فندم أنا فيه جزئية معينة كنت عايز أسأل حضرتك عنها.
- اتفضل.
- حضرتك قلت قبل كدة إنكم عملتوا تحريات مفصلة عن المشتبه فيهم وعلاقتهم بالقتيلة، إزاي عملتوا التحريات دي في ظل سرية الموضوع؟ وعملتوها مع مين؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفطي العميد محسن للحظة ثم رد:

- واضح إنك مش عارف طبيعة شغلنا كويس يا دكتور، احنا عندنا عيون في كل حته، أي مؤسسة أو مصلحة حكومية أو أي جهة عمل سواء خاصة أو عامة لازم يكون فيها حد تابع لينا بشكل مباشر، تقدر تقول عليه مندوب مش أكثر، يعني واحد عارف كل كبيرة وصغيرة بتحصل في المكان وبيدينا فكرة عن الأخبار أول بأول، طبعا مش كل الأخبار مهمة، احنا بتركز أكثر على الحاجات اللي بنحس إنها ممكن تمس الأمن العام.

ظهرت علامات المفاجأة على وجه الدكتور عمرو، معلومة جديدة تمامًا بالنسبة له، بذل مجهودًا لكي يسيطر على انفعالاته ثم أردف:

- ودة إيه علاقته بالجريمة الي حصلت؟

- احنا عملنا التحريات مع مندوبنا أولاً، هو موظف كبير في البنك وعارف كل الموظفين كويس، والنتيجة كانت سلبية لأقصى درجة، مفيش أي خلافات حصلت بين المشتبه فيهم وبين القتيلة إطلاقاً، بالعكس كانت علاقتهم مثالية لحد يوم الحادثة، احنا بصراحة ما اكتفيناش بأقواله وعملنا تحريات عادية مع باقي الموظفين، طبعاً أنت عارف إن الميكروباص عمل حادثة بعد الجريمة علطول ودي كانت حجتنا، سألنا زملايل المشتبه فيهم عن طبيعة علاقتهم ببعض وعن احتمالية وجود شبهة جنائية، والأقوال كلها أكدت إن العلاقة كانت علاقة زمالة طبيعية جداً ممكن توصل لمستوى صداقة كمان.

رمقه الدكتور عمرو بنظرة بها مزيج من الشك والتردد، ولكن العميد محسن أشار له بحزم أن يكمل تحليله، فاستعاد سريعاً ذلك الطابع العلمي الذي يميز طريقته في الحديث ثم تابع وهو يحاول تجميع أفكاره:

- في البداية بدأت أقوال الشاهد تلفت انتباهي، لأنني حسيت إنه متأكد وواثق جداً من كلامه، بالإضافة إلى أن أقواله ممكن توحى إن فيه دافع معين للجريمة، لحد ما الاستجواب راح فجأة في حنة تانية خالص، حنة ما كنتش متوقعها..

ظهرت أقصى درجات التركيز على ملامح العميد محسن، فهذا الشاهد هو الأمل الأخير..

- فجأة اتضح إن أقوال الشاهد مبنية كلها على اعتقاد خاطئ منه بأن المشتبه فيه اغتصب البنت، وإننا مش عايزين نعلن الخبر دة عشان ما نضرش بسمعتها، المشكلة مش في اعتقاده، المشكلة إنه متأثر بيه لدرجة إنه بيبي تخيلات بناءً عليه ويصدقها، النوع دة من الأشخاص بيتقى في أغلب الأحيان شخص متصلب جداً برأيه، شخص شايف إنه أذكى من غيره وإن اعتقاده هو الصواب المطلق، وللأسف شهادة زي دي لا يمكن تكون مقبولة بأي شكل من الأشكال، لأنها نابعة من فكرة موجودة مسبقاً في عقل الشاهد، وساهمت بشكل غير مباشر في بلورة شهادته، الشهادة لازم يكون مصدرها السليم أحداث أو وقائع مؤكدة أقدر من خلالها أوجه الاتهام لشخص بعينه، لكني ما أقدرش أتهم حد بناءً على اعتقادات الشهود أو آرائهم فيه، خصوصاً إن مفيش دليل مادي واحد يؤيد الاتهام دة.

تصلبت ملامح العميد محسن وتجهمت نظراته، فحديث الدكتور عمرو لم يكن له سوى معنى وحيد، أن إعادة الاستجواب لم تُسفر عن أية نتيجة وأن الجاني مازال مجهولاً.

لحظات من الصمت تمر بطيئة، الدكتور عمرو يراوده شيء من الحرج بسبب ما تسبب فيه من خيبة أمل للعميد محسن، والأخير يبدو مثقلاً بالهموم بسبب ما سوف يتعرض له من مساءلة وتوبيخ من رؤسائه.

يبادر العميد محسن بالحديث أخيرًا:

- أنا شاكر لحضرتك جدا يا دكتور، أنت عملت الي عليك وأدّيت المهمة المطلوبة منك على أكمل وجه، وبتأسف على اللخبطة الي عملتها لك الفترة الي فاتت، يا ريت تبلغ شكري وامتناني لفريقك كمان.

كلمات تبدو وداعية إلى حد ما، ربما كان الدكتور عمرو يتمنى في لحظة من اللحظات أن يصل لتلك المرحلة، فلماذا إذن لا يشعر بأية سعادة ويراوده هذا الإحساس بالضيق والاختناق، أهى مرارة الفشل؟ أم إنه كان ينتظر نتيجة مرضية أكثر؟ الخلاصة، أنه لم يقتنع بعد أن مهمته قد انتهت عند ذلك الحد. بدا واضحًا أن العميد محسن يريد إنهاء الحديث، وهمّ بالوقوف لولا..

- لو تسمح لي يا فندم..

قالها الدكتور عمرو فجأة فرمقه العميد محسن بنظرة استغراب، فتابع:

- لو تسمح لي يا فندم بفرصة ثانية، أنا لسة عايز أكمل في التحقيق.

ظهر التساؤل واضحًا على ملامح العميد محسن، فأكمل الدكتور عمرو حديثه:

- أستأذن حضرتك، أنا هاجتمع بفريقي بكرة عشان ندرس الجريمة تاني ونحاول نوصل لأي ثغرة فيها.

ظهرت نظرة يائسة في عين العميد محسن، وبدا أنه غير مقتنع تمامًا بتلك المبادرة.

- دكتور عمرو أنا متشكر مرة ثانية لمساعدتك، لكن أنا مش حاسس إن الطريق دة هيوصلنا لأي حاجة.

- ظهر الحزم والتصميم هذه المرة على ملامح الدكتور عمرو الذي قال:
- أنا عارف يا فندم إن حضرتك مُحْبَط، بس صدقني ممكن شعورك دة يتغير لو سمحت لنا بفرصة تانية، طبعا تحقيقات المباحث في الجريمة هتفضل ماشية زي ما هي، ده شغلکم واحنا مش هنتدخل فيه، وشغلنا على كل حال مش هیضر لكن ممكن یفید، احنا بندور على إبرة في كوم قش، وفي الحالات اللي زي دي بيقى التغير في أسلوب البحث مطلوب، أقصد إن غرابة الجريمة ممكن تخلینا نحقق فیها بطرق مش مألوفة وغير تقليدية.
- بدا الكلام منطقياً ومنظماً إلى حد ما، وظهرت علامات القبول تدريجياً على وجه العميد محسن، قبول على مضض إلى حد ما.
- طیب، أنا موافق بشرط السرعة والسرية، هاستنى اقتراحات جديدة في أقرب وقت.
- لاحت ابتسامة الرضا على وجه الدكتور عمرو. فقال في حماسة وأمل:
- إن شاء الله يا فندم اللي جاي أفضل، أنا متفائل.

كانت ياسمين منهمكة إلى أقصى حد في قراءة أحد الأبحاث المتعلقة برسالة الماجستير الخاصة بها، لدرجة أنها لم تسمع خطوات والدتها ولم تشعر بوجودها إلا بعدما وضعت الأخيرة تلك الصينية المحملة بالساندوتشات أمامها على المكتب، فرفعت وجهها نحوها ورمقتها بنظرة امتنان ممتزج بالإشفاق، ردّتها الأم بابتسامة عذبة ودودة.

- شكراً يا ماما، كنت بدأت أجوع فعلاً.

- بالهنا والشفاء يا حبيبتي.

كادت ياسمين أن تبدأ تناول طعامها، لولا أنها لمحت تلك النظرة المترددة في عين والدتها، بدا واضحاً أنها ترغب في قول شيء ما، ولكنها تخشى من رد فعل ابتئها، بشيء من اللامبالاة أردفت ياسمين:

- خير يا ماما، فيه حاجة؟؟

جلست الأم قبالتها وهي تتحاشى نظراتها المتسائلة، التردد لا يزال واضحاً في ملامحها، حتى بدا أنها قد حسمت أمرها فبدأت الحديث:

- كنت عايزة أسالك سؤال كدة.

- طبعاً يا ماما اسألي.

- أنتِ بتثقي فيا يا ياسمين؟

اتسعت عينا ياسمين بدهشة تتناسب مع غرابة السؤال، ثم سرعان ما ارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة:

- إيه الكلام دة؟ انتِ أكيد بتهزري صح؟

ارتبكت الأم قليلا ثم قالت:

- مش قصدي كدة بالظبط، أقصد أنتِ واثقة إني عايزة مصلحتك؟
من طريقة حديث الأم، وترددها وارتباكها، استطاعت ياسمين بفطنتها أن تميز بوضوح ما ترمي إليه، إنه ذلك العريس الأخير بلا شك، ذلك الشاب الذي جلست معه في مقابلة تعارف منذ قرابة الأسبوع ورفضته بدون سبب محدد، الأمر الذي استنكرته العائلة بأكملها وأثار سخطهم واستياءهم، مما اضطرهم في النهاية إلى أن يطلبوا من العريس مدة كافية للتفكير ولم يبلغوه مباشرة بالرفض، خاصة مع اقتناعهم التام بأنه عريس (لُقطة) كما يقال ومن الممكن ألا تأتيهم الظروف مرة أخرى بشخص له مواصفاته نفسها.

- هنرجع للموضوع دة تاني؟

- تاني وتالت ورابع، يا بنتي أنا ممكن أقبل رفضك لأي حد، بس لازم يكون فيه مبرر، دة تالت عريس ترفضيه يا ياسمين، أنا وباباك مش عايزين نضغط عليك، بس أنتِ مطلوب منك تقنعينا بأسباب الرفض.

- أقنعلك بإيه يا ماما؟؟

ردت ياسمين بشيء من العصبية ثم أردفت:

- دة موضوع يخصني أنا وبس.

- لا مأ يخصكيش أنتِ وبس، احنا من حقنا نضمن عليك ونفرح بيك.

كتمت ياسمين غيظها مراعاةً لمشاعر والدتها وآثرت الصمت، سكنت

الأم بدورها للحظات ثم اقتربت من ابنتها، ثم قالت بلهجة حذرة:

- أنتِ فيه حد في حياتك؟

رفعت ياسمين نظرها إليها بحدة ولم ترد، فتغيرت ملامح الأم سريعاً وظهرت في عيناها نظرة اعتذار.

- متزعلش مني يا حبيبتي معلش.

قالتها الأم وأطرقت برأسها بشيء من الحيرة.

أخذت ياسمين تتأمل والدتها بإشفاق، هي تفهم جيداً أن أمها لم تستوعب بعد طريقة تفكيرها فيما يتعلق باختيار شريك الحياة، هي تريدها أن تتزوج زواجاً تقليدياً فحسب، الأمر الذي بغضته ياسمين طوال حياتها ولم تتقبله أبداً، هي ببساطة تحلم بالحب منذ نعومة أظفارها، تحلم باللحظة التي يراودها فيها ذلك الشعور ويجعلها مسلوقة الإرادة، ذلك الشعور الذي رفضت من أجله أن ترتبط بأي شخص على الرغم مما تعرضت له من محاولات التودد المستمرة، هي لا تريد شخصاً ينظر إلى الزواج تلك النظرة الشمولية المقيتة، لا تريد من يعتبرها كأية سلعة جيدة المواصفات، فتاة جميلة ومن عائلة محترمة ولها وظيفة مرموقة، إذن فهي الاختيار المناسب، هي تحلم بشيء مجنون لا يخضع لحسابات العقل والمنطق، فالارتباط بشخص ما مدى الحياة هو أمر متعلق أولاً وأخيراً بالعاطفة بالنسبة لها، ولن يُرضي طموحها أبداً سوى ذلك الحب الذي انتظرته طويلاً.

وكان والدتها تسمع ما يدور بخلدها، فقالت فجأة بصوت خفيض:

- ولو الي أنت بتستنيه ده مجاش؟

ظلت ياسمين صامته ولم ترد، فأكملت الأم بلمهجة عقلانية:

- كل بنت بتحلم تلاقي حاجات معينة في الشخص اللي هترتبط بيه، لكن في أرض الواقع يا ياسمين ممكن يكونش عندك فرصة الاختيار، أنتِ بنت واحنا في مجتمع شرقي له عاداته وتقاليده، والبنت فيه مجبرة إنها تستنى لحد ما يتقدم لها الشخص المناسب، ومينفعش تبقي متأكدة أوي إنك هتلاقي الشخص اللي بتتمنيه وتفضلي مستنيه لأن ببساطة ممكن دة ميحصلش، ساعتها يبقى مفيش قدامك غير التنازل والرضا بأي حاجة والسلام، وللأسف كل ما الوقت بيعدي بتقل فرصتك إنك تلاقي حد يناسبك، أنا خايفة عليك من الندم يا حبيبتى.

شعرت ياسمين بانقباضة في صدرها بعد تلك الكلمات وبدا عليها الوجوم، فشعرت الأم أن عليها أن تطرق على الحديد وهو ساخن، فتابعت:

- كل اللي بطلبه منك إنك تديله فرصة وتدي نفسك فرصة إنك تعرفيه أكثر، صديقي الحب بيعجي بعد المعرفة مش قبلها، وعمرك ما هتحسي بأي مشاعر ناحية أي حد من غير ما تقري منه، وفي كل الأحوال خليك متطمنة لأن لا أنا ولا باباك هنجبرك على حاجة، جربي، في كل الأحوال مش هتخسري حاجة، بالعكس التجربة هتعلمك حاجات كثير حتى لو ما كملتش.

تغيرت ملامح ياسمين من الرفض المتزمت إلى الشرود والتفكير، راقبت الأم بنظرات متلهفة ذلك التغيير وشعرت أن الأمل في القبول مازال قائماً، فقررت -بذكاء كبير- أن تلعب على الوتر الحساس لدى أيتها فتاة..

- بدمتك أنتِ مش نفسك تفرحي؟ خطوبة وشبكة وحفلة كبيرة وفستان، وتشوفي كل أصحابك وقرايبك حواليك وتشوفي الي فرحان منهم والي متغاظ، مش نفسك تلبسي الدبلة بقى؟ وتعملي البتاع دة الي بيعملوه اليومين دول.

استيقظت ياسمين من ترددها ونظرت نحو والدتها بتساؤل، فظهرت علامات النسيان والحيرة على وجه الأم.

- بتاع إيه يا ماما؟

- التصوير الي بيتصوروه ده، بيروحوا في أماكن غريبة كدة ويتصوروا، زي الي عملته مها بنت خالتك يوم فرحها. ابتسمت ياسمين رغماً عنها..

- آه، فوتوسيشن يا ماما، اسمه فوتوسيشن.

- أيوة، هوه ده.

لم تفارق الابتسامة وجه ياسمين وهي تتخيل تلك المظاهر المبهجة، وبدأ واضحاً أن والدتها قد استطاعت أن تؤثر عليها فعلاً، نظرة الأم تجمع بين الترقب والرجاء.

- أكلم مامته؟؟

صمتت ياسمين للحظات، ثم أومات برأسها أخيراً بخجل، تهللت أسارير الأم وأسرعت تحتضن ابنتها بقوة..

- ألف مبروك يا حبيبتى، ألف مبروك، والله هتبقى عسل في الفوتو سيشن. اتسعت ابتسامة العروس أكثر فأكثر.

حاول أحمد جاهداً أن يبدو طبيعياً، وألا يظهر على ملامحه أي قدر من الانفعال الذي يدور بداخله، خوفاً من أن يلاحظ أحد زملائه الجالسين معه بحجرة المعيدين غرابة أطواره، تخونه عيناه وتتجه رغماً عنه نحو مكتب ياسمين التي تأخرت كثيراً اليوم على عكس عاداتها، ثم يشيح ببصره سريعا ويراجع مع نفسه مجدداً تلك الأسئلة التي عزم أن يطرحها عليها حول المهمة التي تجمعهما، وبعض النواحي العلمية الأخرى التي تخص تحليل نفسية الشهود والمشتبه فيهم، أسئلةٌ بذلَ جهداً كبيراً في تحضيرها بصورة مناسبة لكيلا يبدو أبله، ولكيلا تكتشف هي أن كل ما يرمي إليه هو فتح حوار معها. الدقائق تمر بطيئة، هل من الممكن ألا تأتي اليوم بعد كل تلك التحضيرات، سيكون أمراً مخيباً للآمال بلا شك.

لمحها تدخل من باب الحجرة أخيراً، بطلتها الساحرة المميزة وابتسامتها الهادئة وأناقتها، ألقت التحية على الجالسين فردّوا جميعاً إلا هو، تتعلق عيناه بها ويخفق قلبه سريعا وكأنه يركض، فكرة المبادرة بالحديث معها تبدو صعبة بل مستحيلة، على الرغم من أنها كانت مقبولة ومنطقية جداً على الورق، يراوده شعور بالسخط على جُبنه وخجله، ثم يستجمع قواه أخيراً ويقرر بشجاعة أن يذهب إليها، ماذا سيحدث في أسوأ الظروف؟ هي لن تخرجه مطلقاً، هو متأكد من ذلك، وبإمكانه الانسحاب في أي وقت إذا خانته ذاكرته ولم يتذكر الأسئلة.

يخطو تجاهها بخطوات بطيئة داعيًا الله ألا يتلعثم، يلاحظ أن زميلاتها يجتمعن حولها بشكل غريب، يبدو أنهن يهنئنها على شيء ما، يتوافد الزملاء نحوها شيئًا فشيئًا لدرجة أنه لم يُعد يراها، يزداد الزحام بشكل مريب وتتلاشى بالطبع أية رغبة لديه بالحديث معها، يستوقف أحد زملائه ليسأله بفضول عن سبب ذلك التجمهر، فيرد عليه بلامبالاة:

- بارك لها يا سيدي، خطوبتها الجمعة الجاية.

الصدمة؟ ربما لا، ليس هو الوصف المناسب لما يشعر به الآن، هو لا يشعر من الأساس، تعطلت قدرته مؤقتًا على الإحساس بأية مشاعر إيجابية أو سلبية، أكثر ما يؤلمه هو ذلك المشهد الذي مازال عالقا بذاكرته، ذلك المشهد الذي تبسم فيه ياسمين تلك الابتسامة العريضة جدًا وهي تتلقى التهاني، والذي أحس حين رآها أنها لا تشعر بوجوده على الإطلاق، كل مشاعره وعواطفه وأحلامه هي لا تدري عنها شيئًا، تعيش حياتها كأية فتاة عادية وترسم لنفسها طريقًا طبيعيًا تسلكه خطوة بخطوة، النجاح في الدراسة ثم العمل ثم الارتباط، على الجانب الآخر، ما الذي قدمه هو لكي يشاركها هذا الطريق؟ السؤال المرير يتردد برأسه ويكاد يفقده صوابه، لماذا لم يُبح لها بمشاعره؟ لماذا ظل صامتًا حتى أتى من حملها عنه بعيدًا، الأمر بالنسبة له لم يكن خاضعًا لأي تفكير أو منطق، فهي المرة الأولى في حياته التي تراوده فيها تلك

الأحاسيس، حتى في أيام المراهقة لم يشعر أبداً بمثل ذلك الشعور العاصف بالانجذاب تجاه أيٍّ من زميلاته أو أقاربه، ربما سببت له تلك الحالة التي يعيشها كلما رآها نوعاً من الاكتفاء، ذلك الارتياح الذي يروي شوقه ولهفته كلما وقع بصره عليها، وتلك السعادة التي تملأ قلبه كلما تأمل ملامحها خلسةً، وتلك الابتسامة البلهاء التي ترسم على وجهه كلما رآها تضحك، هل اكتفى بحالة النشوة التي تسببت له فيها وانساق وراء خيالاته؟ من كان يدرك أن تلك المرحلة لن تدوم طويلاً وستنتهي فجأة بتلك النهاية الكابوسية؟! إلام ستقوده أحزانه؟ إلى يأس واكتئاب وانعزال؟ أستفتر آلامه وأوجاعه بمرور الوقت أم ستتضاعف تشوهات نفسه؟ ابتسامتها الواسعة تطارده كلما حاول النسيان لتذكره بمدى ضعفه وجبنه وضآلته، الحلم يتهاوى تاركا خلفه شظايا من التشتت والتمزق، كيف سينظر إليها الآن حين تلتقي عيناها بعينه؟ وكيف سيبتسم في وجهها مجاملاً على الرغم من كل ما بداخله من مرارة؟ وكيف سيكون رد فعله حين يلمح ذلك الخاتم الخانق في بنصرها الأيمن؟ ليس هناك مفرٌ من الحصول على إجازة طويلة يللم بها شتاته، ويحاول أن يحصل فيها على إجابات لأسئلته التي لا تنتهي.

شعر الدكتور عمرو بيد الدكتور حسين الجالس بجانبه وهي تربت على كتفه، فاستفاق من شروده ونظر نحوه باستغراب، فتمتم الدكتور حسين بشيء من الحرج:

- دورك يا دكتور..

ينتبه الدكتور عمرو ويتذكر أنه يناقش رسالة ماجستير لأحد المعيدين وعليه أن يبادر بإلقاء الأسئلة، المشكلة أنه لم يستمع لحرف واحد مما قيل على مدار الساعة الماضية، فقد كان غارقاً في التفكير في أبعاد القضية التي يساعد في حلها والتي تستحوذ على كل ذرة من تفكيره واهتمامه، هل كان متسرعاً حينما طلب من العميد محسن أن يمنحه فرصة أخرى؟ يراوده شعور بسيط بالتورط خاصة مع كونه لم يستقر حتى الآن على خطة للعمل.

يد الدكتور حسين توقظه من أفكاره المضطربة مرة أخرى، يلاحظ أن كل العيون تتعلق به بترقب، يتنحى للحظة ثم يُلقي بأول سؤال تبادر إلى ذهنه وينظر تجاه المعيد صاحب الرسالة بانتظار الرد، يبادل المعيد نظرات الحيرة ويظل صامتاً، وتظهر النظرات الحائرة نفسها في عيون الحاضرين يصاحبها بعض الهمهمات وقليل من ابتسامات التهكم، يشعر أخيراً بالدكتور حسين يقترب من أذنه ويهمس بصوت خفيض:

- دة نفس السؤال الي أنا سألته من دقيقة، أنت مأحدثش بالك ولا

إيه؟

يشعر بصعوبة الموقف الذي وضع نفسه فيه ويراوده شعور عارم بالخرج، فيقرر مغادرة القاعة سريعاً للهروب من ذلك المأزق، يعتذر للدكتور حسين باقتضاب عن استكمال المناقشة ويخرج من القاعة في هدوء. عليه أن يلتقي الآن بأعضاء فريقه بأقصى سرعة مهما كانت الظروف، كان قد علم اليوم أن حفل خطوبة ياسمين يوم الجمعة القادم، وأن أحمد قد تقدم بطلب للحصول على إجازة لمدة أسبوعين، لن تجدي تلك الأعذار نفعاً فالأمور تزداد تعقيداً، الوقت يمضي وعليه أن يحصل على نتيجة ما مهما كلفه ذلك، فهو قد قبل التحدي منذ البداية وعليه إذن أن يتحمل كل التبعات.

تبادل الدكتور عمرو نظرات الحيرة والضييق مع ياسمين الجالسة أمامه على الطاولة نفسها في تلك الكافتريا النائية، والتي اختارها خاصة من أجل المحافظة على سرية المهمة وضمان عدم لفت الأنظار، ينظر كلٌّ منهما إلى ساعته في الوقت نفسه، ثم يعودا ليشيحا بوجهيهما بضجر، تبادل ياسمين بالحديث:

- غريبة أوي بصراحة، أحمد بالذات معروف إنه ملتزم بمواعيده، مش عارفة إيه اللي حصل المرادي.

ظل الدكتور عمرو صامتاً للحظة ولم يرد، وحاول أن يحافظ على تماسكه وهدوء أعصابه لأقصى حد، خاصة مع معرفته القوية بأحمد وتأكدته التام من عدم تعمده التأخير، ربما كان هناك ظرف طارئ.

خطر بباله أن يخفف حدة التوتر قليلاً، فنظر نحو ياسمين وابتسم
بعذوبة..

- نسيت أبارك لك على الخطوبة.

تصاعد الدم فجأة إلى وجه ياسمين وخفضت بصرها للأسفل خجلاً، ثم
ابتسمت ابتسامة قصيرة وقالت:

- عقبال بنات حضرتك.

بدا الرد بالنسبة له غريباً إلى حد ما، خاصة مع كونه لم يضع ذلك الأمر في
حسابه من قبل، على الرغم من أن كبرى بناته قد تخرجت العام الماضي وصار
الوقت مناسباً جداً للارتباط، ربما لأنه يعتبر أن إثبات الذات هو الخطوة الأهم
بالنسبة لهم في هذه المرحلة.

- لا، لسة بدري شوية، روان لسة قدامها الماستر وبعدين الدكتورة،
يعني المشوار لسة ف أوله.

- ربنا يوفقها يا رب.

عادا للصمت مرة أخرى، ولكن لم يطل صمتها كثيراً هذه المرة، فقد
سمعا ذلك الصوت المميز يأتي من خلفهما:

- مساء الخير يا جماعة.

- مساء النور.

رد الدكتور عمرو وياسمين التحية في آنٍ واحد، وتعلقت أبصارهما بوجه
أحمد الذي بدا مختلفاً للغاية، ذلك التحول المفاجئ وتلك الهالات السوداء

حول عينيه، لحيته الطويلة وذلك التجهم الذي ملأ ملامحه، كلها أمور غير طبيعية تدل بوضوح على أنه يعاني من مشكلة ما.

ظلت ياسمين صامته بوجوم، وفكر الدكتور عمرو أن يفتح الحديث مع أحمد بصورة شخصية ويسأله عن أحواله، ولكنه تراجع عن فكرته وقرر أن يبادر بالتحدث مباشرة عن ملابسات القضية نظرًا لضيق الوقت، فتنحى قليلاً قبل أن يردف:

- بصوا يا جماعة، مبدئياً أنا بشكركم على المجهود اللي بذلتوه في القضية، أنا عارف إنكم عملتوا كل اللي تقدروا عليه، بس للأسف إنه لحد اللحظة دي، لسة القضية ما اتحلّتش والجاني مازال مجهول.

اتسعت عينا ياسمين باستنكار واضح، وقطب أحمد حاجبيه وظهر قدر من الاهتمام على ملامحه، فأكمل الدكتور عمرو سريعاً:

- شهادة كل الشهود كانت غير مُقنعة، كل شهادة فيها عيوب معينة تخيلنا ما نقدرش نعتمد عليها أو نعتبرها دليل إدانة، التحليل النفسي لأقوال الشهود وصلنا في النهاية لنتيجة عكسية، وبدل ما نقدر نحدد مين هوه الجاني رجعنا لنقطة الصفر.

ظهرت الحيرة على وجهي ياسمين وأحمد، فتابع الدكتور عمرو حديثه:

- تخيلوا لو القضية دي بتتعرض علينا للمرة الأولى لكن بدون شهود، إيه اللي ممكن نعمله عشان نوصل للقاتل، أنا عارف إنها مهمة صعبة، وعارف كمان إننا عملنا اللي علينا ودة بشهادة رئيس المباحث نفسه، لكن أنا لسة عندي

أمل إننا نقدر نحل اللغز ده، ودة اللي خلاني أطلب من رئيس المباحث فرصة تانية.

ظهر قدر من التردد وعدم الاقتناع على وجهي ياسمين وأحمد، وبدأ أنهما يتحاشيان النظر إليه، وكل منهما يبحث عن الرد المناسب بدون جدوى، شعر الدكتور عمرو بقلّة حيلتهما فأردف بهدوء:

- مفيش داعي لأي إحساس بالإحراج، أنا مش بطلب منكم حاجة غير إننا نفكر مع بعض بصوت عالي.

سادت لحظة من الصمت، ثم أخذت ياسمين زمام المبادرة وقالت:

- أنا بصراحة كنت شايفة إن شهادة الشهود دي هي أملنا الأخير، خصوصاً مع موضوع السرية اللي احنا ملزمين بيه ده، طبعا الشيء المنطقي في أي جريمة قتل إننا ندور على الدافع أولاً، لكن حساسية منصب والد الضحية وسعت من دائرة البحث جدا..

بدا عليها التردد للحظة ثم هزت كتفها واستطردت:

- للأسف أنا مش شايفة إن فيه طرف خيط ممكن يوصلنا لأي حاجة.

حول الدكتور عمرو بصره تجاه أحمد بهدوء.

- وأنت يا أحمد، رأيك إيه؟

-

لم يرد أحمد، بل بدا عليه الشرود وكأنه لم يسمع الحديث أصلاً، ظن الدكتور عمرو في البداية أن شروده هو مجرد استغراق في التفكير والبحث عن

رد مناسب، ولكن بعد لحظة بدا واضحًا جدًا أنه غير متابع للحوار وأن عقله في مكان آخر تمامًا.

- أحمد؟

قالها الدكتور عمرو بصوت مرتفع وبشيء من الضيق، أجفل أحمد ورفع نظره تجاه الدكتور عمرو بانزعاج وكأنه استيقظ من سبات عميق.

- أنت كويس يا ابني؟ مالك؟

- آه تمام مفيش حاجة، منمتش كويس بس.

رد أحمد باقتضاب.

- طيب دلوقتي ياسمين شايفة إن مفيش أي خطوة نقدر ناخذها، أنت عندك أي أفكار؟؟

نظر إليه احمد بعينين خاويتين لبرهة، ثم هز رأسه نفيًا ببطء كدلالة على النفي.

رمقه الدكتور عمرو بغیظ وتحفّر، هذا الشخص غير طبيعي اليوم بالمرة. ظهر قدر من الإحراج على ملامح ياسمين وأحمد، وبات واضحًا أنهما لا يمتلكان شيئًا يقدمانه سوي ذلك الماء البارد الذي سكباه على ذروة حماسة الدكتور عمرو المتقدمة.

لم يستطع الأخير أن يكتم غيظه أكثر من ذلك فانفجر أخيرًا.

- يا حلاوتكم، يعني أنتم جاينين بكل بساطة تقولوا مش هنقدر نعمل حاجة؟ إيه الاستسلام ده؟ أنا عارف إن القضية ثقيلة على قلبكم وعازين تخلصوا منها وتركزوا ف شغلکم، وعارف کمان إني ممکن أكون اتسرت لما

طلبت مهلة ثانية، بس أنا عايز أفكركم بحاجة ممكن تكونوا ناسيئها، أنتم المفروض بعد كام سنة هتكونوا أكبر أساتذة علم النفس الجنائي في مصر، والمفروض إنكم تكونوا فاهمين ومستوعبين كويس كل كبيرة وصغيرة في العلم ده، من أول المبادئ الأساسية اللي يعرفها الطلبة العاديين لحد التفاصيل اللي بين السطور، أنا طول عمري بقول إن أنتم الاتنين عندكم موهبة فطرية في المجال ده، وروني شغلכם بقى.

بعثت كلمات الدكتور عمرو ولهجته الانفعالية قدرًا لا بأس به من الحماسة لدى أعضاء فريقه، وأخذ كلٌّ منهما يحاول أن يعصر ذهنه أملًا في الوصول إلى فكرة ما، بينما استعاد الدكتور عمرو هدوءه بعدما أفرغ تلك الشحنة العصبية من داخله، وبدأ يبحث بدوره عن طرف خيط، أحداث القضية بالكامل تدور في ذهنه وتتابع كشريط سينمائي.

لحظات من الصمت المشوب بالتوتر تمر، يقطعها الدكتور عمرو موجهاً حديثه لياسمين:

- مين هو المجرم يا ياسمين؟ امشي معايا كدة خطوة بخطوة.
- المجرم هو الشخص اللي ارتكب أي فعل مخالف للقانون أو العرف، ونتج عن الفعل ده ضرر أو إيذاء للغير، طبعًا ده التعريف الشامل لكن فيه تعريفات ثانية..

قاطعها الدكتور عمرو بسرعة:

- لا، كدة تمام أوي، بس أنا ما قصدتش أسأل عن المجرم من الناحية القانونية، أنا سؤالي عن العوامل اللي بتخلي شخص طبيعي ينتحل صفة

الإجرام، وطبعاً كالعادة هتتناسى قصة الدافع دي لأنها لسة مش واضحة بالنسبة لنا.

- أنا شايفة إن المجرم ممكن يكون شخص عادي لكنه بيتأثر بعوامل كثيرة ممكن تعمل تحول في شخصيته، ممكن تكون عوامل اجتماعية في الأساس زي التعرض للأذى في مرحلة الطفولة، أو عدم الإحساس بالأمان الأسري، أو الحياة في ظروف مادية صعبة، في حالات كتير بيكون الفقر هو أول دوافع الشخص العادي للجنوح، لما تتكلم عن مراهق لسه بيفتح عنه على الدنيا ويلاقى نفسه محروم من أبسط حقوقه فيها، بيبقى من الصعب جداً إن عقله يستوعب ده إلا لو هو متربي على القيم وعارف يعني إيه صح وغلط وحلال وحرام، وحالات الإدمان برضو دي قصة تانية، لأن الإدمان ده كفيل بعمل تغيير جذري في الشخصية وبأقل مجهود، وفي حالات الاحتياج للمخدر ممكن المدمن يعمل أي حاجة حتى لو كانت جريمة قتل، طبعاً لازم نضيف مع كل العوامل دي صفات الشخصية السيكوباتية اللي اتكلمنا عنها قبل كدة.

أوما الدكتور عمرو برأسه مؤيداً، ثم بادر أحمد بالحديث لأول مرة منذ بدأ الاجتماع:

- والطريق الأسهل من كل دة، لما تكون النشأة نفسها في وسط فاسد أو إجرامي، والمثل المعروف جداً في الموقف ده إن ابن الحرامي بيطلع حرامي وابن تاجر المخدرات بيطلع تاجر مخدرات، وأنا شخصياً شايف نسبة الشذوذ في المبدأ دة ضعيفة جداً، نادر لما بيطلع للمجتمع شخص نضيف من بيئة موبوءة،

لأنه بكل بساطة مش بيبقى عارف أو مستوعب إنه بيعمل حاجة غلط وهو شايف كل اللي حواليه بيعملها.

تأمله الدكتور عمرو باهتمام للحظة، أعجبه حديثه، ولكن لم تعجبه تلك اللهجة المنكسرة التي تكلم بها، الفضول يكاد يقتله لمعرفة سبب تغير ذلك الشاب إلى هذا الحد، ينفض تلك الفكرة من رأسه بسرعة ثم يعاود الحديث بتركيز:

- كلام جميل، لكن العوامل البيئية والاجتماعية لو حدها ما أعتقدش إنها العامل الأساسي في تكوين شخصية المجرم، لازم يكون الإنسان نفسه عنده استعداد فطري للإيذاء أو ميول عدوانية، كمان لازم يكون شخص معندوش القدرة على التحكم في غرايزه أو إشباع دوافعه، لو فاكرين تفسير فرويد الي درستوه في الكلية لأنماط الشخصية، ما بين (الهُو) الي بتمثل الدوافع الفطرية، و(الأنا) الي المقصود بيها مدى قدرة الفرد على التوفيق بين رغباته وبين العالم الخارجي، و(الأنا العليا) الي بتمثل نسبة المبادئ الي اتكونت في عقل الإنسان ووجدانه، بنلاقي إن فئة المجرمين هي فئة ارتفعت عندها درجة الأنانية لدرجة إن التحكم فيها أو منعها أصبح شيء مستحيل، فحتى الفرد لو مؤمن بمبادئ إيجابية زي الحق والخير وخلافه، فده مش هيمنعه من إشباع رغباته حتى لو كانت غير مشروعة لأن (الهُو) ببساطة هتنتصر.

رفعت ياسمين يدها معترضة:

- لا، اسمح لي بقى يا دكتور عمرو، بعد الاختبار الي أنا عملته في البنك ده اتأكدت من صعوبة التعرف على المجرم عن طريق النوع ده من

التحليلات، يعني التحليل ده ممكن يكون مؤثر على إن الشخص عنده استعداد لارتكاب الجريمة بدرجة معينة، لكن ما أقدرش أعتد عليه بصفة أساسية لأن النتيجة في الآخر هي نتيجة استرشادية، ممكن يكون الشخص المشتبه فيه عنده درجة استعداد عالية لارتكاب الجريمة، لكن ممكن ببساطة جدا يكون بريء لأن مفيش أي دافع يخليه يعمل كدة.

ثبت الدكتور عمرو بصره على ياسمين للحظات ثم تمت بضيق:

- يعني بنلف نلف ونرجع لنفس النقطة، دافع الجريمة، يا جماعة احنا لو فكرنا بالأسلوب ده عمرنا ما هنوصل لحاجة، المباحث نفسها مش عارفة توصل لحد دلوقتي لأي دليل، خلونا نفكر بشكل إيجابي شوية، احنا متفقين إن عوامل البيئة الاجتماعية والعوامل الوراثية والنفسية ممكن تساهم في تحويل الشخص الطبيعي لمجرم، ليه منحاولش ندرس العوامل دي بنفس الطريقة اللي عملنا بيها تحليل الشخصية السكوباتية قبل كدة؟ ولو وصلنا للشخص اللي بتجتمع فيه كل المؤشرات دي نركز اهتمامنا عليه ونحاول نعرف أكثر عن طبيعة علاقته بالقتيلة.

نظر أحمد بتهكم إلى الدكتور عمرو ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، تأمله الدكتور عمرو بتساؤل:

- برضو حضرتك نسيت يا دكتور إن المهمة سرية، إزاي هتقدر تتحرى عن المشتبه فيهم وتجمع البيانات الدقيقة دي عن تفاصيل حياتهم ونشأتهم وسلوكهم؟ أنت عشان توصل لنتائج سليمة يبقى لازم معلوماتك تكون كاملة والصورة قدامك تكون واضحة، مع ملاحظة إنك بتسأل عن معلومات

شخصية حسّاسة تخص المشتبه فيهم ومفیش معاك أي سلطة، الكلام دة كان ممكن ينفع لو كنا بتتعامل مع عينات من المجرمين الحقيقيين، ساعتها كان ممكن ندرس كل الجوانب الي احنا عايزينها ونوصل للنتائج العلمية أو المنطقية الي بندور عليها، لكن دلوقتي أنت بتتعامل مع ناس عادية جدا والموضوع من أوله لآخره مش قانوني لأن مفیش متهم أساسي في القضية.

على الرغم من الطريقة الجافة التي تحدث بها أحمد، إلا أن عباراته بدت صحيحة وموضوعية إلى درجة كبيرة، الأمر الذي دفع الدكتور عمرو مرة أخرى إلى التزام الصمت مجبراً، صمت طال كثيراً هذه المرة. دقائق تمر بطيئة حائرة، تقطعها ياسمين بصوت نحنحة يدل على استعدادها للكلام:

- طيب إيه رأيكم في التفسير البيولوجي للجريمة؟

اتسعت عينا أحمد اندهاشا وانزعاجا وفغرفاه بشكل ملحوظ، فقد بدا أن ما تقوله غريباً لدرجة لا تُصدق، لم يختلف رد فعل الدكتور عمرو كثيراً، فقد ظهر الذهول الممتزج بالاستنكار على ملامحه، الفارق الوحيد بينه وبين أحمد هو تلك اللمعة التي ظهرت في عينيه، وتلك الابتسامة الحذرة التي تسلفت إلى شفثيه شيئاً فشيئاً، والتي اتسعت بعد ذلك لتتحول إلى ضحكة قصيرة.

- أنت بتضحك يا دكتور؟

قالها أحمد بدهشة وحيرة.

نظر إليه الدكتور عمرو ولم يرد، شعرت ياسمين بالحرج فاستدركت
بخجل:

- ده مجرد اقتراح يعني.

همَّ أحمد بالرد عليها، ولكن استوقفته إشارة الدكتور عمرو الحازمة،
جميعهم يتبادلون النظرات، ياسمين تشعر بالندم بعد إبدائها ذلك الاقتراح،
وأحمد يشعر بقليل من التوتر وعدم جدوى ذلك الاجتماع من الأساس،
والدكتور عمرو يستغرق في التفكير بهدوء كعادته، ثم يُلقي قبلته فجأة:

- ولية لا؟

رفع أحمد بصره إليه غير مصدقٍ ما قال، حتى ياسمين صاحبة الاقتراح
بدت متفاجئة.

بذل أحمد مجهودًا مُضنيًا ليسيّط على غيظه وذهوله ثم قال:

- لا، لأسباب كثير يا دكتور، أنت عارف حضرتك إن النظريات
البيولوجية في تفسير الجريمة أثبتت فشلها من الناحية العلمية، وده لأنها
معتمدة بشكل أساسي على التجارب اللي اتعملت على عينات عشوائية من
المجرمين من غير ما يكون لها أي أساس منطقي، بالعقل كدة ازاى ممكن أقتنع
إن خصائص شكلية أو جسمية في الإنسان ممكن تدل على إنه مجرم؟ إيه علاقة
ده بده؟

ردَّ الدكتور عمرو بشيء من التركيز مدافعًا عن رأيه:

- تصحيح بس، التجارب دي اتعملت على عينات عشوائية من
المجرمين، لكن الصفات الجسدية المشتركة بينهم كان معدل تكرار ظهورها

عالي جدا، كان فيه خصائص جسمانية بيوصل معدل تكرارها لأكثر من 60 ٪ ودي نسبة مش بسيطة أبدا.

- أيوة يا دكتور بس احنا المفروض نستند لأساس علمي عشان نوصل لنتيجة مرضية أو مقنعة، لكن صعب جداً إن أساس شغلنا يكون مجرد تجارب بدائية، أنا في الحقيقة ما كنتش مقتنع بدراسة العوامل الاجتماعية والبيئية المحيطة بالمجرم، لكن برغم كدة شايف إنها أهم بكتير جدا من العوامل البيولوجية.

- إنت لسة قايل يا أحمد إن التحليل الاجتماعي والنفسي ده مستحيل تطبيقه.

- أيوة يا دكتور أنا قلت كدة فعلا، لكن ده مش معناه إني مقتنع بالمذهب البيولوجي ولا بفكر فيه من الأساس، واسمح لي يا دكتور بعد إذنك، أنا مش هأكمل في القضية لو حضرتك واقفت إننا نستخدم النوع ده من التحليلات. تنهد الدكتور عمرو بشيء من الضيق، ونظر تجاه ياسمين ورفع حاجبيه بحركة تلقائية تعني ما رأيك؟ هزت ياسمين كتفيها ثم قالت:

- أنا قلت ده مجرد اقتراح، يمكن يكون غلط إننا نلجأ للأسلوب ده ولكن إيه البديل؟ أنا حالياً شايفة إن الطريق قدامنا مسدود والطبيعي إننا نسيب الموضوع للمباحث ونشيل أيدينا، بس لو فكرنا إننا نكمل يبقى مفيش قدامنا أي اختيار غير ده.

للمرة الأولى يلتفت أحمد إلى ياسمين ويوجه حديثه لها بصورة مباشرة:

- يعني أنتِ مقتنعة إننا ممكن نعرف المجرم بناءً على تغيرات معينة في أعضاء جسمه؟

- مش مسألة اقتناع يا أحمد، مسألة إن ده أسلوب كان متبع في التحليل الجنائي في فترة من الفترات، أنا معاك إنه مبني على مجرد ملاحظات سطحية للمجرمين ولصفات معينة في تكوينهم الجسماني، طيب وإيه المشكلة؟ إيه الضرر في المحاولة، تخيل معايا إننا حاولنا نطبق الأسلوب ده وفشلنا أو ما وصلناش لأي نتيجة، ولا حاجة، هنعتذر عن تكملة المهمة والقصة هتخلص لحد هنا، لكن لو قدرنا نثبت صحة النظرية البيولوجية ولقينا إن أغلب الخصائص الجسدية اللي بتميز المجرمين موجودة في شخص واحد وقدرنا نثبت بعد كده إنه الجاني فعلا، هيبقى الموضوع مش مجرد جريمة واتحلت، ده هيبقى اكتشاف علمي.

كانت ياسمين تتحدث بقدر وافر من الحماسة والشغف، فظهر تأثير كلماتها سريعاً على وجه الدكتور عمرو الذي ظهرت عليه علامات الاستحسان، حتى أحمد بدأت علامات التفكير تظهر على ملامحه وإن لم يكن قد اقتنع كلياً بعد، شعرت ياسمين بتأثير كلماتها فازدادت حماسها وأردفت:

- إحنا حالياً مفيش علينا أي مسئولية، والمباحث أملها ضعيف جداً في إننا نقدر نحل القضية، يعني احنا مش واقعين تحت أي ضغط، ممكن نشغل بهدوء وتركيز كأننا بنعمل بحث علمي أو رسالة دكتوراة، وحظنا حلو إن كل المشتبه فيهم في المستشفى حالياً بسبب الحادثة، ده هيساعدنا جداً لو احتاجنا أي تحليلات أو فحوصات.

بدا واضحا أن الفكرة قد اختمرت في عقل ياسمين واتضحت الصورة أمامها جلية، وبدا أن الدكتور عمرو قد ازداد اقتناعه بالفكرة أكثر فأكثر، وبدا يميل إلى تطبيقها فعلا بعكس أحمد الذي ظهر على ملامحه التجهم والتذمر.

على الرغم من صعوبة تطبيق هذه النظرية التي تصل إلى حد الاستحالة، وعلى الرغم من غرابة الفكرة والتي تجعل من تصديقها أمراً عصياً على النفس، إلا إنها قد بدت المخرج الوحيد للدكتور عمرو ورفاقه الحائرين، الصمت يسود مرة أخرى، ياسمين تبدو متحمسة جداً لفكرتها ولكونها ستتبع أسلوباً غير تقليدياً في البحث وستمر بتجربة غير مألوفة، أحمد يبدو متردداً بعد ما قالته ياسمين عن فكرة الإنجاز العلمي، عقله يرفض الاستمرار، لكنه يعلم تماماً أن فضوله سينتصر في النهاية وسيدفعه دفعاً إلى الاستمرار في المغامرة، والدكتور عمرو على الرغم من وصوله للحل الذي سيجعله يكمل التحقيق في القضية، إلا إنه يبدو مثقلاً بالهم، الخطوة المهمة تنتظره الآن، أسيكون مقدراً لتلك الفكرة أن ترى النور أم سيتم وأدها في مهدها؟ الأمر يعتمد كلياً على تلك المقابلة التي عزم أن يجريها سريعا.

- نعم يا دكتور؟ أنت بتهرّج؟؟

تصلبت نظرات الدكتور عمرو حين سمع تلك الجملة، وراوده شعور بالندم على طلبه مقابلة العميد محسن وجها لوجه، كانت مكالمة هاتفية ستفي بالغرض.

تنحج الدكتور عمرو بشيء من الإحراج الممتزج بالخوف، ثم أردف بصوت منخفضٍ وهو يتحاشى نظرات العميد محسن المشتعلة:

- يا فندم دة مجرد اقتراح، وبعدين احنا..

- اقتراح فاشل زي الي فكر فيه.

ابتلع الدكتور عمرو ريقه بصوت واضح ولم يُكمل حديثه، وشعر بأن الفكرة في طريقها لأن تذهب أدراج الرياح، من المستحيل تقريبًا إقناع العميد محسن بالفكرة حاليًا.

ماذا يفعل؟ شيء بداخله يُلح عليه أن ينصرف فورًا ويكفي ما وصلت إليه الأمور عند ذلك الحد، وشيء آخر يدفعه دفعًا إلى مزيد من الإلحاح والتشبث بالرأي حتى لو كلفه ذلك أن يتعرض لمزيد من الإهانة.

يرفع بصره تجاه العميد محسن ويقرر أن يحاول مرة أخيرة..

- يا فندم صدقني، احنا مش هنبذل أي مجهود في تطبيق المبدأ ده،

الموضوع مش هيتعدى شوية تحاليل وأشعة وفحوصات بسيطة، ليه ما نجربش؟ وبعدين ده مبدأ أساسي من مبادئ علم النفس الجنائي.

احمرَّ وجه العميد محسن أكثر وبدأ أنه سينفجر غيظًا، ثم أردف بعصبية:

- مبدأ إيه يا بيه؟ أنت عايزني أختار الجاني من بين المشتبه فيهم على أساس اعتبارات شكلية؟ إزاي يعني؟ أروح له وأقوله وريني وشك كدة، آه أنت مناخيرك كبيرة وعنيك ضيقة، تبقى أنت أكيد الجاني، أنا كنت فاهم إنك فاهم أبعاد القضية كويس، الشخص اللي هتثبت عليه التهمة يا دكتور هيتلف حوالين رقبتة حبل المشنقة، وأي ثغرة في القضية أو أي دليل ضعيف هيهدم كل الشغل اللي عملناه، وأظن إنك عارف كويس مين اللي بيتابع التحقيقات في القضية دي، تفكر هيعمل إيه فيا أنا وأنت لو عرف بالتهريج اللي أنت عايز تعمله ده؟ والله مش بعيد أبدا إنه يسبب المشتبه فيهم ويحاكمنا احنا.

أخرج الدكتور عمرو من جيبه منديلاً ليمسح عرقه وذلك الرذاذ الذي ملا وجهه بفعل صراخ العميد محسن، ثم استنشق نفساً عميقاً وقال:

- يا فندم الموضوع مش بالسطحية دي، المبدأ ده مش بيركز على شكل أو ملامح المشتبه فيه الخارجية، ده مبدأ بيقيس متغيرات معينة جوه الجسم البشري، نسبة المتغيرات دي ودرجتها بتختلف من شخص للتاني وبيكون ليها تأثير مباشر على سلوكه وطريقة تفكيره وتصرفاته ومستوى العدوانية عنده، وأنا مش هتجادل مع حضرتك كثير في حيثيات النظرية البيولوجية لأن ده جدل علمي مش هيوصلنا لنتيجة مريحة، في كل الأحوال احنا ملزمين بإيجاد الدليل القاطع زي ما حضرتك قلت، بس إيه المانع من عمل التجربة دي والاسترشاد بنتيجتها؟ أنا مش بقولك إن النتيجة هيبقى مُسَلَّم بيها لكنها ممكن تساعدنا في تضيق نطاق البحث، وفي كل الأحوال التحاليل والفحوصات

المطلوبة مش هتاخذ من وقتنا أكثر من كام يوم، يعني عنصر السرعة موجود ودي ميزة كبيرة خصوصا في قضية حساسة زي دي.

- وأنت فاكّر إن الجهات العليا اللي بتحقق في القضية هتفهم الكلام ده أو هتديله أي اهتمام؟

- والله يا فندم مش عارف أقولك إيه، لكن هي معرفتهم بحاجة زي دي هتفيدنا بإيه؟ ده هيبقى ضغط إضافي علينا مالوش أي لازمة، أنا شايف إن الصح في المرحلة دي إنهم يعرفوا نتيجة التحليل الجنائي اللي عملناه لشهادة الشهود وخلاص على كدة، وتفضل التحقيقات العادية اللي المباحث بتعملها هي المعلومة ليهم بشكل رسمي.

نظر إليه العميد محسن بتهكم ثم قال:

- طيب والفحوصات والتحليلات المطلوبة دي هتعمل تحت أي اسم؟ أنت ناسي إننا لازم نستأذن من أهالي المشتبه فيهم قبل ما نتخذ إجراء زي ده؟ ارتسمت ابتسامة التهكم هذه المرة على وجه الدكتور عمرو الذي أردف:

- يا فندم أنا متأكد إن المباحث لو عايزة تعمل أي حاجة هتعملها وهتلاقى حل، وبعدين إحنا مش هنجيبهم من بيوتهم عشان نعمل لهم التحاليل دي، هما أساسا في المستشفى يعني الأمور سهلة، وهيبقى شيء مقبول ومنطقي جدا لما يتعمل لهم أشعة على المخ أو تحليل دم تحت أي اسم، متابعة للحالة مثلا أو كإجراء وقائي.

ظهر قدر من الضيق وعدم الاقتناع على وجه العميد محسن، الانطباع نفسه الذي بدا على وجه أحمد في أثناء مناقشة هذا الأمر، من المؤكد أنه لم يكن ليوافق أبداً على هذا الحل لولا عدم وجود بدائل أمامه.

نظرة استسلام تبدو في عين العميد محسن، يقابلها ابتسامة ارتياح وانتصار على الجانب الآخر، لحظات من الصمت تسود قبل أن يقول العميد محسن بلهجة يائسة:

- يعني ده الحل الوحيد قدامك؟ فكر كويس يا دكتور لو سمحت، ممكن تكون فيه أساليب منطقية تانية بدل الأسلوب العجيب ده.

- للأسف يا فندم دي الطريقة الوحيدة المتاحة قدامنا حالياً، أنا بحثت بالتفصيل في الموضوع مع الفريق اللي شغال معايا ولقينا إن الأسلوب ده في التحليل الجنائي هو الوحيد اللي ممكن نطبقه بالنظر لتفاصيل القضية وسريتها وكمان ضيق الوقت المتاح.

تراجع العميد محسن في مقعده، وبات واضحاً أنه قد حسم أمره واتخذ قراره بالموافقة:

- تحب تبدأ امتي؟

اتسعت ابتسامة الدكتور عمرو وارتسمت في عينيه نظرة امتنان..

- يوم السبت إن شاء الله.

عقارب الساعة تشير إلى التاسعة مساءً، كعادة والديه قد خلدا للنوم مبكراً، وذهب أخوه الوحيد لمشاهدة إحدى المباريات على المقهى برفقة أصدقائه، وبقي هو وحيداً، الوحدة التي بحث عنها وظن أنه سيجد فيها ملاذاً آمناً، لم يجن منها سوى مزيد من الحيرة والأفكار السلبية السوداوية، فعلى الرغم من أنه يعلم جيداً أنها ليست له ولن تكون أبداً، وعلى الرغم من تلك الصدمة التي تلقاها ولم يستفك منها حتى الآن حين سمع بخبر خطبتها، إلا إنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير فيها، وكان هناك مغناطيس ما يجذب قلبه وعقله إليها، مازال يجد لذة ما حين يستعيد تفاصيل حديثها وملاحمها وتعبيرات وجهها، لذة ممتزجة بالحسرة والألم لكنها تظل لذة على الرغم من كل شيء.

جرس هاتفه المحمول يرن، يرى اسم الدكتور عمرو على شاشته فيكسو ملامحه الضجر والتأفف، فمزاجه الحالي لا يحتمل مزيداً من الحديث حول تلك المهمة المعقدة عديمة الملامح، خاصة بعد تلك الفكرة المجنونة التي اقترحتها محبوبته بالبحث في الخصائص الجسدية للمشتبه فيهم، كان يرى في تطبيق تلك النظرية درباً من السخافة وعدم الجدية، ولكنه لم يجرؤ على الاعتذار عن استكمال دوره، ذلك المغناطيس اللعين يجره جرّاً إلى مكانها حيث كانت.

الدكتور عمرو يعاود الاتصال، من الواضح أنه مصرٌّ، فلا مجال للهروب إذن، يضغط على زر الرد مرغماً..

- ألو..
- إيه يا ابني، أنت نمت ولا إيه؟
- لا أبدا والله يا دكتور، إزي حضرتك؟
- حضرتي كويس وتحت بيتك اهو، انزل يلا.
- ظهر الاستغراب على ملامح أحمد حين سمع تلك المعلومة خاصة مع عدم وجود ميعاد سابق بينهما، من الواضح أن هناك مستجدات في القضية.
- خير يا دكتور، إحنا عندنا اجتماع؟
- أطلق الدكتور عمرو ضحكة عالية ثم تابع بلهجة مرحة:
- اجتماع إيه بس، أنت شكلك نسيت..
- نسيت إيه؟
- النهاردة الجمعة، خطوبة ياسمين، يلاً اجهز بسرعة أنا مستنيك.
- نزل الخبر على رأسه كالصاعقة، كيف نسي ذلك الموعد؟ وكيف نسي أنه أحد المدعويين بصفته زميل عمل؟ عقله يبحث بسرعة البرق عن عذر مناسب فتخذه قريحته، يزداد شعوره بالارتباك والمفاجأة.
- آآآآ، معلش والله يا دكتور أصلي تعبان شوية، يعني آآ..
- قاطعه الدكتور عمرو بلهجة حاسمة:
- مفيش أعذار، أنا كنت عايزك كمان عشان ندردش شوية في القضية، يلا متأخرش لو سمحت عشان أنا واقف صف تاني وهاخذ مخالفة.

همَّ أحمد بالاعتذار مرة أخرى لكنه سمع ذلك الصوت المميز لإغلاق الخط، يالها من ورطة!!! أي مأزق وضعه فيه الدكتور عمرو؟ وأية ليلة قاسية ستمر عليه؟! يشعر بالدم يتدفق إلى رأسه وبسخونة عارمة في وجهه، تلك الغصة في حلقه تنبعث من العدم وكأنها كانت موجودة دائما بانتظار الاستشارة، وشعور وليد بالسعادة يراوده على استحياء ويصيبه بالدهشة، كشعاع من نور أتى من بعيد لينير تلك العتمة التي ملأت قلبه، شعور بالسعادة لأنه على الرغم من كل تلك الآلام وتلك الظروف المحيطة... سيراه.

استقبله الدكتور عمرو بابتسامة ودودة مرحة ثم انطلق بالسيارة، استنتج هو بذكائه أن المباحث قد وافقت على استكمال التحقيق في القضية ولم تعترض على ذلك المبدأ الغريب الذي يعتمون تطبيقه، ليس هناك سبب آخر ليجعله يبدو سعيدًا بهذا الشكل.

على الرغم مما يشعر به من حزن إلا أنه قرر أن يشارك أستاذه تلك الفرحة..

- مبروك على الموافقة.
- رفع الدكتور عمرو حاجبيه بدهشة، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وأردف:
- هو أنا باين عليا أوي كدة؟
- ابتسم أحمد بدوره وقال:
- بصراحة آه، بس مش قادر أعرف سبب السعادة دي، الموضوع ما أظنش إنه هيكون سهل.

استعاد الدكتور عمرو طبيعته المتزنة وقال:

- أنا عارف إن معاك حق، يمكن أنا ما اتعودتش أفشل أو أستسلم بسهولة، عشان كدة فرحت لما أخذت فرصة ثانية، بس في كل الأحوال لازم نبدأ نفكر في الخطوة الجاية ونديها حقها في الاهتمام والدراسة، لأن دي هتبقى آخر فرصة.

أوماً أحمد برأسه موافقا، ثم شعر أنه لم يعد هناك ما يقال فحول بصره للناحية الأخرى وأخذ يتأمل المارة من شبك السيارة بنظرة خاوية، حتى سمع الدكتور عمرو يسأله بحماسة:

- طيب إيه رأيك؟ نبدأ منين؟ متهيأي النظرية البيولوجية مبادؤها بسيطة ومحدودة، يعني مش هناخد وقت طويل عشان نعرف نخط خطة عمل مناسبة.

- بالظبط، أنا الحقيقة مش فاكّر من المبادئ البيولوجية دي غير تجارب (دي توليو) اللي اتكلّمت عن زيادة إفراز الغدة الدرقية وعلاقته بجرائم العنف، فيه برضو تحليل الكروموسومات اللي اتعمل لعينات من المجرمين والمساجين وأثبت إن نسبة كبيرة منهم عنده كروموسوم Y زيادة، أنا شايف إن التحليلات دي هي اللي وضعت حجر الأساس للنظرية البيولوجية، خصوصا إنه تم تطبيقها على عدد كبير من المجرمين وحققت معدل تكرار عالي.

ظهرت علامات الاستحسان على وجه الدكتور عمرو فأردف:

- ممتاز، الميزة كمان في التحليلات دي إنها سهلة جدا ونتائجها سريعة نسبياً، يعني مناسبة للتطبيق في القضية بشكل كبير.

سكت الدكتور عمرو للحظة، وبدأ أنه قد تذكر شيئاً ما فاستطرد سريعاً:
- فيه برضو الحالات الي ظهرت عندهاذبذبات أو موجات دماغية شاذة لما اتعمللها رسم مخ، دي من أكثر التجارب المشهودة في المجال ده، تخيل إن موجات الدماغ غير الطبيعية دي ظهرت في حوالي 70٪ من المجرمين، صعب أوي تكون النسبة دي مجرد صدفة.

- طبعا لا، نسبة عالية فعلاً.

ردّ أحمد باقتضاب، ثم بدا وكأنه قد تذكر فجأة ذلك الحفل الذي يتجه إليه فعاد للشروء والتجهم مرة أخرى.

لم يمر وقت طويل حتى وصلا للمكان المنشود، دقات قلب أحمد تتسارع كلما اقترب الموعد المشئوم، يتولد بداخله خوف من تلك اللحظة التي يراها فيها وقد صارت لغيره ولم يعد هناك مجال للتراجع، أصوات الحفل الصاخبة تبدو أعلى كلما اقترب أكثر، ولكنه لا يشعر بها على الإطلاق، إحساس عارم بالترقب وبالرغبة السريعة في الخلاص من ذلك الموقف، لقد صار الأمر واقعاً فلا داعي لمزيد من التفكير فيه، ربما ستقتل رؤيتها مرتدية فستان الخطبة ومتأبطة ذراع خطيبها كل ما تبقى بداخله من أمل، يخطو خطوات شبه ثابتة إلى داخل القاعة متجاهلاً أقارب العروسين الذين تجمعوا خارجها، يبحث بعينه عنها حتى يلمحها أخيراً..

من مفارقات القدر، أن ذلك الشعور الذي ملأ قلبه في تلك اللحظة لم يكن سلبياً على الإطلاق بل بالعكس، رؤيتها بكامل زينتها كالبدر المشرق في تمامه وتلك الابتسامة الساحرة المعهودة على شفيتها، الأغاني والتهاني

والزغاريد والضحكات التي تعالت، كلها أجواء مبهجة مبهرة أنسّته للحظات ما يعاني منه من بؤس، من الغريب أنه لم يلتفت للعريس إطلاقاً ولم يشغل باله به وكأنه غير موجود، بل ولم يشعر تجاهه بأي قدر من الحقد أو الحسد، لم تشغله سوى تلك السعادة التي رآها في ملامحها والتي ظنّ فيها مضى أنها ستكون سبب تعاسته، ولم يكن يدرك أن قلبه سيخدعه وسيفرح لرؤيتها سعيدة لهذا الحد، أي مشاعر نبيلة صادقة يحملها لها ولا تدري عنها شيئاً، وأي حب سيذهب أدراج الرياح متعللاً بالنصيب والقدر.

- إيه يا أحمد؟ حد يدخل علطول كدة من غير ما يسلم ع الناس؟
أيقظه سؤال الدكتور عمرو من أفكاره، فالتفت نحوه بحرج ولم يرد، بل اكتفى بابتسامة باهتة.

- إيه رأيك يا دكتور، نقعد في التراييزة دي ولا الي ورا؟
- تعالى بس نسلم عليها الأول، عشان لما نحب نمشي في أي وقت يبقى عملنا الواجب.

يخطو أحمد خلف الدكتور عمرو الذي اتجه بخطوات مسرعة نحو الكوشة التي يجلس عليها العروسين، حتى وصل إليها، فوقفت ياسمين ومدت يدها نحوه بترحاب فصافحها بكلتا يديه، كلمات التهئة المعتادة تتردد ونظرة الدكتور عمرو الأبوية تبدو أجهل ما في المشهد، عباراته الصادقة النابعة من القلب يبدو تأثيرها واضحاً على وجه ياسمين الذي تورد سعادة وخجلاً، يسارع الدكتور عمرو بمصافحة العريس ثم يتخذ مكانه بجوار العروسين

لالتقاط الصور التذكارية، بينما يقف أحدهم يراقب ما يحدث بوجوم ككومبارس صامت.

- تعال يا أحمد.

يشير إليه الدكتور عمرو أخيراً، فيتنفس الصُّعداء، بعدما كان على وشك الابتعاد شيئاً فشيئاً والعودة للجلوس بالقاعة، لم يعرف يوماً كيف يتصرف في مثل تلك المواقف، لكن شجاعته ابتسامتها الواسعة على المضي قدماً.

- أحمد، أنا مبسوطة أوي إنك جيت، أنا نسيت أعزمك بشكل شخصي بس والله فرحت أوي لما شفتك.

ارتسمت ابتسامة على وجهه بفعل كلماتها الرقيقة، كلمات بسيطة لكنها كانت كافية جداً لتجبر خاطره، هي تحمل له قدراً وافراً من المعزة بدا مرضياً للغاية في ذلك التوقيت.

مد يده إليها مصافحاً فصافحته بحرارة ومرح، ثم شدته شداً نحو خطيبها..

- تعال أعرفك على كريم..

صافح الأخير متمتماً ببعض كلمات التهنئة ثم أخذ يتأمل له اللحظات، يبدو شاباً وسيماً مهذباً و(ابن ناس) كما يقولون، يبدو جديراً بها والأمر تبدو مستتبه والأجواء جميلة، فلا يسعه إذن سوى أن يتمنى لهما التوفيق.

انتهت مرحلة السلامة وتم أداء الواجب بنجاح، وتزامن ذلك مع بداية فترة الاستراحة المخصصة للعروسين، انتهز أحمد الفرصة للخروج من القاعة واستنشاق بعض الهواء النقي في الرّدهة، تبعه الدكتور عمرو الذي بدا وكأنه

يبحث عن ملاذٍ آمن من تلك الضوضاء الشنيعة، يشعر أحمد بصدوره يعود للانقباض بعد تلك اللحظات القليلة من البهجة العابرة، ويعود ليرى الصورة مرة أخرى من منظوره الخاص بعدما رآها بعينها هي، من المؤلم أن تتبخر كل تلك الأحلام الوردية بهذه السهولة، أكثر ما يشغله هو شكل علاقته بها في المستقبل وكيف ستكون، أَسَيْتَقَبَّلَ عقله ذلك الوضع الجديد أم سيظل رافضاً كما رفض قلبه؟ وتلك التفاصيل الصغيرة التي أدمنها، هل سيستطيع أن يضع حداً قاسياً لكل ما كان مسموحاً به فيما مضى؟ هل سيستطيع أن يمنع نفسه من استراق النظر إليه؟ من تذكّر حديثهما معا كلمة بكلمة؟ من استرجاع طريقة كلامها ونظرتها وابتسامتها والاستمتاع بها مرات ومرات.

- نورتوني يا جماعة والله.

التفت أحمد والدكتور عمرو ناحية مصدر الصوت، وسرعان ما اتسعت أعينهم دهشة حين وقع بصرهم على ياسمين التي تركت عريسها وحيدا وجاءت لتعبر لهم عن شعورها بالامتنان، ألجمت المفاجأة لسان أحمد، فكان الدكتور عمرو أول من بدأ بالحديث:

- أنتِ بتعملي إيه هنا؟ ما يصحش كدة على فكرة.

قالها الدكتور عمرو وبعينه ظهرت نظرة عتاب واضحة، أطلقت ياسمين ضحكة قصيرة وهزّت كتفيها ثم أردفت:

- عادي، عايزة أشمّ نَفْسِي شوية.

- أيوة بس الناس تقول إيه؟

- محدش واخد باله، مشغولين بالبوفيه.

قالتها وأطلقت ضحكة أخرى، فضرب الدكتور عمرو كفا بكف ثم أشار لأحمد وقال:

- إيه العروسة المجنونة دي؟

ابتسم أحمد ابتسامة هادئة ولم يرد، تلاشت ابتسامة ياسمين سريعاً وظهر على ملامحها الفضول فجأة. ثم سألت الدكتور عمرو بلهفة:

- صحيح، إيه الأخبار؟ وصلنا لفين؟

فهم الدكتور عمرو قصدها سريعاً:

- تمام الحمد لله، المباحث وافقت إننا نكمل، بس بعد معاناة.

رفعت ياسمين حاجبها استحساناً ثم أردفت:

- دة خبر جميل، طيب هنبداً منين؟

أخبرها الدكتور عمرو بملخص تلك المناقشة التي دارت بينه وبين أحمد، تابعت هي ما يقول باهتمام بالغ حتى انتهى من حديثه فبدت وكأنها تحاول استيعاب ما سمعت وتُعن التفكير فيه:

- ممم كويس جداً، فعلاً دي تعتبر مبادئ أساسية ولازم نطبقها، الحقيقة

أنا قرأت كتير جداً عن النظرية دي، وعندي فكرة عن كذا بحث اتعمل فيها.

أوماً الدكتور عمرو برأسه مؤيداً ثم قال:

- لو عندك أي حاجة جديدة قولها طبعاً.

تنحنحت ياسمين واكتست ملامحها بالجدية، وبدت تلك الجدية غير متناسقة تماماً مع الفستان والماكياج الصارخ.

- الأبحاث التي كنت قرأتها كانت تتكلم عن نقطتين، النقطة الأولى هي العلاقة بين النقص الحاد في هرمون السيروتونين في الدم وعلاقته بالسلوك العدواني وجرائم العنف، الهرمون ده بيتحكم في وظائف الخلايا العصبية التي بتحفز المخ على أداء مهامه بشكل طبيعي، وكم إن له علاقة وثيقة جدًا بالحالة المزاجية، ومعروف علميًا إن مرضى الاكتئاب وكثير من المرضى النفسيين يبقى عندهم نقص في الهرمون ده بالذات، عشان كدة بيطلق عليه في الأوساط الطبية (هرمون السعادة)، الأبحاث التي قررتها أثبتت إن فيه علاقة وثيقة جدًا بين الانخفاض الشديد في مستوى الهرمون ده وبين ارتكاب الأشخاص لجرائم عنف جسدي، ومن أكثر الجرائم المسجلة للمرضى بنقص السيروتونين هي جرائم الضرب التي أفصى في النهاية إلى موت، واضح إن المرضى في الحالة دي ممكن يوصلوا لدرجة عالية من الهياج وعدم السيطرة على النفس، كمان ظهرت حالات انتحار كثيرة لمرضى نفسيين كانت نسبة الهرمون في دمهم أقل بكثير من معدلها الطبيعي.

أخذ أحمد يتأملها بنظرات يشوبها الشك، من الواضح أنه لم يسمع عن هذا البحث من قبل إطلاقًا، بينما ظهر القبول على ملامح الدكتور عمرو كالعادة:

- ممم جميل، والنقطة الثانية؟

- النقطة الثانية كان محورها هو التغيرات التي بتظهر في بعض أجزاء المخ عند المجرمين وبتميزهم عن الأشخاص العادية، ومن أهم التغيرات دي هي المجموعة العصبية التي ظهرت في الفص المركزي للمخ عند أغلب المجرمين لما اتعرضوا لأشعة إكس، الأبحاث دي عملها عالم مشهور في علم الأعصاب

اسمه (رُوث)، وكانت النتيجة الي توصل ليها إن المجموعة العصبية الشاذة دي هي المسئولة عن أي سلوك عدواني أو جانح، أو أي أفعال شريرة بيعملها الإنسان بصفة عامة.

سكتت ياسمين للحظة وابتلعت ريقها، واسترقت النظر إلى مستمعيها اللذين بدا عليهما التركيز الشديد ثم أردفت:

- برضو من أهم الأبحاث الي قريتها كانت الأبحاث الي اتعملت عن حويصلة الأميجدالا، الحويصلة دي موجودة في المخ وحجمها صغير جدًا لدرجة إن العلماء المتخصصين يسموها (اللوزة)، واللوزة دي هي المسئولة عن قدرة الإنسان على التحكم في بعض النشاطات زي العنف والاندفاع والجنس، العلماء اكتشفوا إن نشاط حويصلة الأميجدالا الزايد بيؤدي لزيادة الميل للعنف بشكل واضح جدًا، مع وجود بعض حالات إجرامية ظهر عندها النشاط الزايد للحويصلة، لكن للأمانة معدل تكرار الصفة دي بين المجرمين ما كانش مرتفع، المعلومة المهمة بقي إن المجرمين الي ظهر عندهم نشاط زايد للحويصلة كانوا بيرتكبوا نوعين بس من الجرائم، قتل أو اغتصاب.

- عروستنا الحلوة تتفضل عشان نكمل الحفلة.

قالها الموظف المسئول عن تنظيم الحفل بالميكروفون الخاص بالقاعة، التفتت ياسمين للخلف سريعاً لتجد كل العيون تحمق فيها باستغراب، حتى خطيبها الذي امتزج استغرابه بقليل من الضيق.

- عن إذنكم يا جماعة.

قالتها ولم تنتظر الرد، بل أسرعَتْ تخطو للداخل بخطوات سريعة حذرة خوفاً من التعثر بذلك الحذاء ذي الكعب شاهق الارتفاع.

تابعها الدكتور عمرو ببصره حتى دخلت القاعة، ثم قال بإعجاب:

- واضح أنها مطلّعة على الموضوع ده كويس جداً، وعندها فكرة كبيرة عنه، بصراحة هي فتحت لنا أبواب ما كناش نعرف إنها موجودة أساساً.
- هز أحمد رأسه بحركة غير ذات معنى ثم قال:
- المهم نوصل في النهاية لحاجة.

بعثت كلماته قدر من القلق في نفس الدكتور عمرو الذي أطرق برأسه شاردًا، سيكون عليه أن يضاعف تركيزه في الفترة القادمة أضعافًا مضاعفة لكيلا يترك مساحة للفشل، فهذا هو التحدي الأخير بالنسبة له، ولن يخسره بسهولة مهما كلفه ذلك، الأفكار تبدو مجنونة ومعقدة إلى حد ما، ولكن الأمل يظل قائمًا وعليه أن يتشبث به، يزداد شعوره بثقل الحمل الملقى على كاهله فجأة، ولا يملك إلا أن يتمنى من الله مزيدًا من التوفيق فيما هو آتٍ.

- بخطوات واثقة جادة، سار الثلاثة داخل أروقة المستشفى باتجاه حجرة المدير، حتى وصلوا إليها فاستقبلهم الأخير بحفاوة واضحة..
- أهلا وسهلا، اتفضلوا.
- تولَّى الدكتور عمرو مهمة التعريف بنفسه وبأعضاء فريقه لمدير المستشفى، لم تستغرق تلك الفقرة أكثر من دقيقة واحدة، حيث بدا أن قائد المجموعة يريد الدخول في صلب الموضوع مباشرة.
- العميد محسن كَلَّم حضرتك؟
- أيوة طبعاً، إحنا تحت أمركم، والتعليمات اللي جات لنا طلبت إننا نتعاون معاكم لأقصى درجة.
- ممتاز جدًّا، على العموم إحنا طلباتنا بسيطة، مجرد تحليلات وأشعة، متهيألي الموضوع مش هيبقى مُجهَد لأن المرضى دول مقيمين عندكم أصلاً.
- آه هما عندنا فعلاً، منهم اتنين حصل لهم فقدان ذاكرة غالباً هيبقى مؤقت وهيخفَّوا، الثلاثة التانيين في غيبوبة وأعتقد إنها هتطول شوية.
- سكت مدير المستشفى للحظة، ثم ضغط الجرس المثبَّت في مكتبه فدلفت إحدى الممرضات سريعاً إلى الحجرة.
- اندهي لي الدكتور نائل بسرعة.
- أومأت الممرضة برأسها إيجاباً ثم انصرفت، فتابع المدير حديثه:
- ده كبير اختصاصي التحاليل في المستشفى، أستأذنكم هاطلع له برا عشان أديله فكرة عن حيثيات الموضوع.

لم تمر سوى لحظات معدودة حتى حضر الدكتور نائل فاستقبله المدير أمام باب الغرفة وبدأ التحدث معه بصوت خفيض.

ارتسمت ابتسامة تهكم على وجه أحمد، نظرت إليه ياسمين وابتسمت بدورها وقد فهمت ما يرمي إليه، بينما رmqه الدكتور عمرو بنظرة متسائلة..

- بتضحك على إيه؟؟

- أبداً، بتخيل لو كنا جاين هنا من غير توصية المباحث، كان زماننا مطرودين من بدري.

- ده أكيد.

سكت أحمد للحظة ثم قال:

- الدكتور ده بصراحة غريب جدًّا، يعني محاولش يعرف أي حاجة عن اللي احنا بنعمله ولا حتى يلمح بطريقة غير مباشرة، غريبة إن مستوى الفضول عنده يكون معدوم بالشكل ده.

هز الدكتور عمرو كتفيه ومطَّ شفتيه في الوقت نفسه ثم أردف..

- مش معقول تكون صدفة يعني، دي أوامر لازم ينفذها، وعدم فضوله ده أكيد بفعل فاعل، واضح إن العميد محسن عايز يوصل للنتيجة بسرعة من غير دوشة، وواضح كمان إنه كان فيه تهديد بالعقاب لو حصل أي مخالفة لتعليماته.

قطع دخول الدكتور نائل حديث الدكتور عمرو الذي تعلق عيناها بالوافد الجديد، رجل خمسيني أصلع يرتدي البالطو الأبيض ويبدو قليل

الارتباك على ملامحه، يبدو أن حديثه مع مدير المستشفى قد بث قدرًا من الهلع بداخله، إنه ذلك التأثير (الميري) الذي لا يخيب أبدًا.

- صباح الخير.

قالها الدكتور نائل بصوت مرتعش قليلا.

شعر الدكتور عمرو أن هذا القلق المبالغ فيه لن يكون في صالح المهمة، فابتسم في وجه الدكتور نائل ابتسامة مصطنعة ثم قال:

- صباح النور يا دكتور، احنا آسفين إننا جايين على غفلة كدة، بس إن شاء الله مش هناخد من وقتك كتير.

شعر الدكتور عمرو أن كلماته بعثت قدرًا من الارتياح في نفس الدكتور نائل وظهر ذلك على وجهه.

- اتفضل حضرتك، أنا تحت أمركم.

- ربنا يخليك، احنا طالين 3 أنواع من تحليلات الدم يتعملوا للخمس أفراد اللي المدير قال لحضرتك عليهم، التحليل الأول هيكون لمستوى الهرمونات اللي بتفرزها الغدة الدرقية، وهل المستوى ده طبيعي ولا زايد عن معدلاته، ولو فيه زيادة نسبتها قد إيه بالظبط، التحليل الثاني هيكون تحليل كروموسومات، وهدفه التأكد من وجود أو عدم وجود كروموسوم Y زيادة في خلايا الجسم، التحليل الثالث وده أعتقد إنه أسهلهم هو تحليل لمستوى هرمون السيروتونين في الدم.

تأمل الدكتور نائل وجه الدكتور عمرو للحظات وهو يحاول استيعاب مطالبه وعدم نسيان تفاصيلها، الحيرة تبدو في ملامحه وعينه تنطق بالسؤال الذي لن يتفوه به أبداً، ما علاقة تلك التحليلات ببعضها؟ الصمت يسود، العيون تتجمع على وجه الدكتور نائل بانتظار ردّه، تنحنح الأخير أخيراً ثم بدأ بالكلام:

- مفيش مشكلة، وبخصوص تحليل الغدة الدرقية، احنا هنعمل معاها تحليل إضافي لهرمون الغدة النخامية، عشان النتائج تكون أوضح وأدق. ظهر الاهتمام على وجه الدكتور عمرو الذي أردف:

- ممكن أعرف طبيعة العلاقة بينهم؟

- علاقة قوية طبعاً، الغدة النخامية بتفرز هرمون اسمه ال TSH، الهرمون ده وظيفته هي تحفيز الغدة الدرقية ومساعدتها على أداء وظائفها بكفاءة، في حالة زيادة نشاط الغدة الدرقية وارتفاع مستوى هرمونات ال T3 وال T4 اللي بتفرزها، يصدر المخ تعليماته للغدة النخامية بخفض تحفيز الغدة الدرقية وعدم تنشيطها أكثر، وبالتالي بتقلل الغدة النخامية من إفراز هرمون ال TSH، يعني ببساطة كدة العلاقة هي علاقة تناسب عكسي بين هرمونات الغدة الدرقية وهرمون الغدة النخامية.

ظهر الفهم والاستيعاب على وجوه المستمعين، وبدأ أن الدكتور نائل يفكر في بعض التحليلات المطلوبة منه لكي يُبدي ملاحظاته بشأنها، ثم قال بعد فترة من الصمت والتركيز:

- بخصوص تحليل هرمون السيروتونين ما أعتقدش إن فيه مشكلة، لكن تحليل الكروموسومات هيبقى فيه ملاحظة صغيرة، أنا عرفت إن الأبحاث اللي أنتم طالبينها دي سرّية ودي حاجة أنا معنديش مشكلة فيها، المشكلة أنكم طالبين نتائج سريعة جدا وده هيبقى شيء صعب في التحليل ده.

ظهر التساؤل الممتزج بالضيق على الوجوه، تبادلوا النظرات ثم قالت ياسمين:

- طيب ممكن نعرف السبب؟ لو المستشفى محتاجة أي تجهيزات أو معدّات زيادة احنا ممكن نكلم المباحث ونحاول نتصرف.

هز الدكتور نائل رأسه بهدوء ثم أردف:

- إطلاقا يا فندم، مش مسألة إمكانيات خالص، المشكلة في طبيعة التحليل نفسه، مبدئيًا التحليل ده بيتعمل بس على خلايا كرات الدم البيضاء لأن خلايا كرات الدم الحمراء مافيهاش نواة، بناخد خلايا كرات الدم البيضاء دي ونحطها في وسط غذائي مناسب عشان نساعدنا على الانقسام، وبنختار وقت معين أثناء نمو الخلية عشان نقدر نميز الكروموسومات بسهولة، والوقت ده عادة مبيقولش عن 3 أيام وأحياناً أكثر، وبعد تمييز الكروموسومات بيتتم عزلها تماما من نواة الخلية وبنعالجها باستخدام صبغات معينة، وبعد كدة بناخد صور ميكروجراف للكروموسومات، ودي تعتبر آخر مرحلة، وطبعا تحليل الشذوذ الكروموسومي اللي طلبتوه بيكون في الكروموسوم الجنسي XY.

ظهر قدر من التجهم على وجه الدكتور عمرو، لم يكن بحاجة لسماع ذلك الشرح العلمي المستفيض الذي لن يفيد شئاً، فالمهم هو النتيجة النهائية على أية حال، لم يمنعه ذلك من إظهار الامتنان للدكتور نائل على وقته وسعة صدره..

- متشكرين لحضرتك جدا دكتور نائل، كنت بسأل لو ينفع حضرتك تسحب العينات النهاردة على أساس نكسب وقت يعني؟
هز الدكتور نائل كتفيه ببساطة وقال:

- مفيش أي مشكلة، نسحبها دلوقتي حالا، أي طلبات تانية؟
للمرة الثانية يرمقه الدكتور عمرو بنظرة امتنان..
- عاجزين عن الشكر يا فندم.

ينهض الدكتور نائل من مقعده ويغادر الغرفة بهدوء، سرعان ما يدخل مدير المستشفى إلى الغرفة ويتسأل بشيء من اللفهه..

- ها يا جماعة، الأمور ماشية كويس؟ عرّفتموا الدكتور نائل كل طلباتكم؟

ابتسم الدكتور عمرو لرؤية تلك الحماسة المبالغ فيه جدا..

- آه تمام، الدكتور نائل قام بالواجب وزيادة.

ظهر الارتياح على ملامح المدير وتهلّلت أساريره، فأسرع أحمد يقول:

- واضح إن حضرتك نسيت إننا طلبنا أخصائي أشعة كمان؟

سرعان ما ظهر الهلع على ملامح المدير وهبّ واقفا بانزعاج:

- لا أبدا والله، هاندهله حالا.

قالها وغادر المكتب بخطوات أشبه بالركض.

علت الابتسامة الوجوه للحظة، ثم قالت ياسمين بعتاب وهي توجه حديثها نحو أحمد:

- حرام عليك والله.

أطلق أحمد ضحكة مفتعلة وقال:

- يا ستي احنا معانا سلطة مؤقتة ولازم نستغلها، بس أهم حاجة الراجل دة ميشوفش وشنا بعد كدة.

أطلقوا جميعاً الضحكات مرة أخرى، ثم توقف الضحك بغتة حين دلف الدكتور أشرف اختصاصي الأشعة إلى الغرفة.

- صباح الخير يا جماعة.

ردّوا جميعاً التحية، ثم أخذوا يحدّقون في وجه الدكتور أشرف الذي بدا واثقاً من نفسه مبتسماً وكأن تنبيهات مدير المستشفى لم تُثر حفيظته، أخذ هو الآخر يتأملهم بدوره للحظة ثم بدأ بالحديث بشكل عملي:

- ممكن أعرف نوعية الأشعة المطلوبة بالظبط؟

كان يوجّه حديثه نحو الدكتور عمرو باعتباره أكبر الموجودين سنّاً ومن الواضح أنه قائد المجموعة، بدا شيء من الارتباك على وجه الأخير وحول بصره سريعاً تجاه ياسمين وأشار لها بيده أن تبدأ الحديث باعتبارها ملمّة أكثر بتلك الجزئية تحديداً، أوأمأت ياسمين برأسها متفهّمة، ثم عدّلت من جلستها لكي تصبح في مواجهة الدكتور أشرف مباشرة، ثم أردفت:

- مبدئيًا حضرتك احنا عايزين نعمل أشعة إكس على المخ، وتحديدًا على
الفص المركزي بالذات، عشان نتأكد من وجود أو عدم وجود أي مجموعات
عصبية في المنطقة دي، هل فيه أي مشاكل في النوع دة من الأشعة؟
- ثبّت الدكتور أشرف بصره عليها للحظة، ثم هز كتفيه وقال:
- بسيطة، هو طلب غريب وغير معتاد شوية لكنه سهل يعني.
- متهيألي الكتلة العصبية في المكان ده بتظهر بسهولة في الأشعة ويبقى
لونها غامق شوية؟
- بالضبط.
- ظهر الارتياح على وجه ياسمين وسكتت للحظات، بينما ظهر قليل من
التعجب على ملامح الدكتور أشرف.
- بس كدة؟؟
- سألها الأخير.
- أسرعت ياسمين تستدرك:
- لا لا طبعا لسة، حضرتك سمعت قبل كدة عن حويصلة
(الأميجدالا) اللي موجودة في المخ؟
- قطب الدكتور أشرف حاجبيه وأطرق في التفكير لبرهة، ثم بدا وكأنه
يحاول أن يتذكر شيئًا ما بصعوبة:
- الاسم دة مش غريب عني، متهيألي كنت درست حاجة عنها أيام
الكلية، هي ليها علاقة بمرض الصرع؟؟

- أيوة يا فندم بالظبط، الأميجدالا بيزيد نشاطها بشكل ملحوظ في حالات وجود نشاط كهربائي غير طبيعي، زي حالات الصرع.
- أيوة أيوة افتكرت، معلش بقى الواحد مخلص كلية بقاله أكثر من عشرين سنة.

ابتسمت ياسمين ابتسامة مفتعلة ثم تابعت:

- بعد إذن حضرتك كنا عايزين نعمل أشعة رنين مغناطيسي على المخ عشان نعرف هل فيه خلل معين في وظيفة الحويصلة دي ولا لأ، بمعنى أوضح كنا عايزين نتأكد من إن نشاط (الأميجدالا) طبيعي ومش أعلى من المعدل المقبول.

ظلَّ الدكتور أشرف صامتا ولم يرد، ثم تغير وجهه فجأة وقال بشيء من الحدة:

- أنا بصراحة أول مرة أسمع عن الحاجات العجيبة دي، أنا فهمت إني أنفذ طلباتكم بدون نقاش ودي حاجة هاعملها لأنني مجبر، بس أنا شايف إن من حقي -أدبيًّا- إني أفهم.

ظهر الوجوم على ملامحهم، وهمَّ أحمد بالرد عليه بالحدة نفسها ولكن الدكتور عمرو سارع باحتواء الموقف بذكاء:

- بص يا دكتور أشرف، دي أبحاث احنا بنعملها لغرض معين، والغرض ده مينفعش يبقى معلن لأنه يمس الأمن القومي للبلد.

ظهر الاندهاش على وجه الدكتور أشرف واتسعت عيناه ثم قال:

- للدرجادي؟؟

- طبعاً، وده الي خلى الجهات الأمنية تتدخل بالشكل الواضح ده عشان تقدر تمنع أي تسريبات تحصل للأبحاث، وكم إن عشان تسهل أي مشاكل أو صعوبات ممكن تعطل استكمالها.
- بدا الردّ مُرضياً للدكتور أشرف إلى حد ما، فهدأت ثورته تدريجياً، تمر لحظات من الصمت البطيء ثم يبادر الدكتور أشرف بالحديث باقتضاب:
 - طيب، ربنا يوفقكم.
 - قالها وهمّ بالمغادرة فأسرع الدكتور عمرو يسأله عن النقطة الأهم:
 - ممكن أعرف هنستلم النتائج امتي؟؟
 - يومين بس إن شاء الله، بعد إذنكم.
 - اتفضل.

انصرف الدكتور أشرف وتبادل الثلاثة النظرات المتفائلة، فالأمر تسير على نحو جيد بدون أي معوقات أو مطبات صناعية، يتولد شعور بداخلهم بأن مهمتهم قد انتهت في هذا المكان، فينهضون من مكانهم في وقت واحد استعداداً للمغادرة، يتزامن ذلك مع عودة مدير المستشفى لحجرته مرة أخرى..

- مش معقول يا جماعة، أنتم لسة ما شربتوش حاجة.
- معلش مرة ثانية.
- ردّ الدكتور عمرو بابتسامة صافية ثم أردف:
- شكراً جزيلاً لحضرتك على كل حاجة، ومعلش أخذنا من وقتك كثير.
- لا لا أبداً، المهم تكونوا عرّفتمو الدكتور نائل والدكتور أشرف بكل الفحوصات المطلوبة، وأنا واثق إنهم هيعملوا كل اللي يقدرو عليه.
- إن شاء الله.
- كاد الدكتور عمرو أن يلقي التحية على الرجل لينصرفوا جميعاً، لولا أنه تذكر أمراً ما فاستدرك سريعاً..
- معلش يا فندم فيه نقطة معينة أنا نسيتها.
- ولا يهمك، خير؟؟
- هحتاج نعمل رسم مخ للاتنين اللي فقدوا الذاكرة بس، ومش مهم الثلاثة التانيين، عندكم جهاز EEG؟

- أيوة موجود، بس اشمعنا رسم المخ بالذات الي مش هيتطبق على الخمسة كلهم؟

ابتسم الدكتور عمرو بحرج ولم يرد، شعر مدير المستشفى فوراً بعدم رغبته في الإفصاح عن السبب، فقرر أن يغيّر دفة الحديث ولا يتوقف كثيراً عند هذه النقطة..

- خلاص اتطمئن تماماً، بإذن الله لما تيجي المرة الجاية هتلاقي رسم المخ تعمل ونتيجته جاهزة.

- أنا عاجز عن الشكر يا فندم.

- العفو على إيه بس، مع ألف سلامة.

- الله يسلمك.

غادر الثلاثة العرفة تباعاً، لم ينتظر أحمد أكثر من خمس ثوانٍ حتى بادر بسؤال الدكتور عمرو بلهجة يملؤها الفضول:

- ليه حضرتك استبعدت الثلاثة الي عندهم غيوبة؟

ابتسم الدكتور عمرو ثم أردف وهو يتابع السير:

- من الأسباب العلمية للاضطراب السيكوباتي يا أحمد هو عدم نضج قشرة المخ أو وجود نوع من القصور فيها، ومن علامات القصور ده ظهور موجات المخ الكهربائية ثيتا ودلتا في حالة اليقظة، الموجات دي مش بتظهر في الأحوال العادية إلا في حالة النوم العميق ويبقى معاها موجات تانية اسمها الموجات المغزلية، أما ظهورها في رسم المخ بالنسبة للمريض المستيقظ فده بيعتبر علامة واضحة على عدم النضج الانفعالي، وعدم استقرار السلوك

بشكل عام، مع العلم إن ظهور الموجات دي في رسم المخ للأطفال المستيقظين هو شيء طبيعي ومنطقي جدًا لأن قشرتهم الدماغية تكون لسة في طور النمو، لكن تواجدها بالنسبة للبالغين بيدل على شذوذ موجات المخ ويزود من احتمالات ارتكاب أفعال أو تصرفات غير سوية.

- يعني حضرتك مطلبتش تعمل رسم مخ للتلاتة الي في غيبوبة لأن الموجات دي هتبقى موجودة في الرسم بصورة طبيعية وظهورها مش دليل على وجود أي شذوذ؟

هز الدكتور عمرو رأسه هزة خفيفة كدلالة على أن ما يقوله أحمد صحيح ولكن ليس بنسبة مائة بالمائة ثم قال:

- كل مرحلة من مراحل النوم بيميزها ظهور نوع معين من الموجات الكهربائية، ممكن تبقى الموجات ثيتا ودلتا موجودة أو لا، حسب مرحلة النوم نفسها أو حسب طبيعة الغيبوبة عند المريض، لكن أنا مش هادخل نفسي في تجارب ممكن توصلني في النهاية لنتائج غلط، خلينا مع الصاحيين أضمن.

وصل الثلاثة أخيرًا إلى سيارة الدكتور عمرو فاستقلوها سريعًا، مكان واحد يجمعهم ومهمة واحدة ومصير واحد، يسعون معًا إلى النجاح بكل ما أوتوا من قوة، وسلاحهم ما يمتلكونه من علم ومعرفة، ومصدر قلقهم الدائم هو المستقبل وما يخبئه لهم من مفاجآت وصدمات.

أنهى الدكتور عمرو تناول غداءه سريعاً، ثم أخبر زوجته أنه سوف يخلد للنوم لكونه يشعر بالإجهاد، بدا عليها الاستغراب الشديد وظهرت علامات الاستفهام على وجهها جليّة، فلم يكن من عادته أبداً أن ينام خلال النهار حتى في ذروة شعوره بالإرهاق والتعب، وكان حدسها في محله، فلم يكن النوم في ذلك الوقت إلا مجرد حيلة ابتكرها لكي ينفرد بنفسه قليلاً ويحاول الابتعاد عن الأحاديث العادية أو الدردشة التي لا طائل منها، لطالما كان من أولئك الأشخاص الذين لا يستطيعون التصرف بصورة طبيعية إذا كانت عقولهم منشغلة بشيء ما، وشعر أنه من الأفضل أن ينعزل الآن لكيلا تلاحظ زوجته شروده وانشغاله وتبدأ حفلة الاستجوابات.

اتكأ على جنبه الأيمن كعادته ثم أغمض عينيه، ليس بغرض النوم إطلاقاً وإنما من أجل الحصول على قدر من الاسترخاء وشفاء الذهن، بدأ عقله يسترجع أحداث القضية منذ بدايتها رويداً رويداً، كل التفاصيل والأحداث والمقدمات والنتائج، يبحث عقله بين الدهاليز والخبايا عن أية حلقة مفقودة أو ثغرة يمكن النفاذ منها، وأسئلة كثيرة تتوالى على عقله فتصيبه غمّاً بغم، هل أخطأ منذ البداية بقبول المساعدة في هذا التحقيق؟ هو رجل أكاديمي لا يعرف شيئاً عن الجرائم أو المجرمين وغيرها من الأمور البوليسية، يراوده شعور عارم بلوم الذات حين تأتية تلك الفكرة، ما فائدة كل ما تعلمه إذن إن لم يتم تطبيقه في الواقع العملي؟ من غير المعقول أن يكون قد قضى حياته في تعلّم مبادئ ونظريات جوفاء بل وتدريسها لغيره كذلك، هل أخطأ في وضع خطة العمل

التي لم تؤدّ إلى أيّة نتيجة إيجابية حتى الآن؟ أنجح في تكييف نظريات علم النفس الجنائي على هذه الحالة المعقدة أم كان بالإمكان أفضل مما كان؟ هل كان قراره صائبًا عندما وافق على اقتراح ياسمين بتطبيق النظرية البيولوجية ضاربًا بكل الانتقادات التي وُجّهت للنظرية عرض الحائط؟ أكان شغفه البحثي وفضوله العلمي هو المسيطر عليه حين اتخذ هذا القرار أم أنه يبحث عن الحقيقة فعلاً؟ أسئلة لا تنتهي تتابع على رأسه بسرعة وبدون رحمة وتصيبه بنوع من التشتت، يبدو أن الجلوس وحيداً لم يكن الحل الصائب، ينهض من سريره بنشاط ويذهب ليجلس مع زوجته بالصالة.

نظرة القلق تتولد في عين زوجته وقد بدأت تشعر بتغيّر ما في تصرفاته، تحاول أن تغلب على هذا الشعور وتبتسم له بحنان..

- إيه يا حبيبي، منمتش ليه؟

هز كتفيه وأجاب باقتضاب:

- مجاليش نوم.

رمقته زوجته للحظة بنظرة ارتياب ثم حولت بصرها تجاه التلفاز، ثوانٍ معدودة ثم عادت تسأله:

- أخبار الشغل إيه النهاردة؟

يرد وعينه مثبتة على التلفاز دون أن ينظر تجاهها:

- آه تمام.

مشاعر الشك والقلق تكبر بداخلها أكثر فأكثر، تعاود النظر نحو التلفاز وتسترق النظر إليه كل فترة، لماذا يبدو شاردًا واجمًا إلى هذا الحد؟ أما هو، فيدرك جيدًا ما تشعر به من عدم ارتياح لرؤيته بهذه الصورة، يشعر بنظراتها المختلطة إليه وخوفها من تجاذب أطراف الحديث معه وهو في هذه الحالة، ورغبتها الشديدة في سؤاله عن ذلك الأمر الذي يشغله ويؤرقه، تلك الرغبة المصحوبة بقدر من التردد والخوف من ردة فعله الغاضبة، شعور بالشفقة ينتابه تجاهها، هو لا يريد أن يزعجها على أية حال، يقرر في النهاية أن يحاول أن يبدو طبيعيًا..

- آمال فين البنات؟

سألها بلهجة مرحة.

- هيرجعوا متأخر النهاردة، روان عندها كورس وندى في السينما مع أصحابها.

اتسعت عيناه فجأة، يبدو أن هناك خطط مفاجئة:

- إيه ده، معقول؟ يعني احنا هنفضل قاعدين كدة من غير محرم؟ نظرت إليه باندهاش غير مصدقة لما قال، ثم حوّلت بصرها تجاه التلفاز والابتسامة تتسع على شفيتها.

يمدّ يده إلى الريموت ويطفئ التلفاز ليَجبرها على النظر إليه، فترمقه بدلال وقد فهمت تماما ما يرمي إليه، تنهض من مكانها ثم تتجه بخطوات متثاقلة نحو الغرفة.

أما هو فيتناسى مؤقتا كل ما هو متعلق بالمهمة، ويبدأ الاستعداد على قدمٍ وساق للمهمة الأصعب.

أغلقت ياسمين الخط بعد مكالمة قصيرة مع خطيبها، تلك المكالمة الروتينية المعتادة التي لا تتناول أبداً أي حديث شائق أو مثير للاهتمام، الأحاديث المملة نفسها عن العمل أو عن الأحداث اليومية التي مرّت بكلاهما، انتهت سريعاً مرحلة الاحتفال والفرحة المصاحبة للخطبة، وبدأ كل منهما يحاول استكشاف الآخر، مازالت لا تشعر تجاهه بأي شيء على الإطلاق، ومازالت تصاب بالغضب من عدم قيامه بأي محاولة للاقترب منها أو جذب انتباهها أكثر، مع ملاحظة أنها لم تُظهر له أي قدر من الضيق بسبب رسميته المبالغ فيها، بل وتعامل معه بمتهى الإقبال والتجاوب، لكن شيئاً ما بداخلها يخبرها بأن الأمور ليست على ما يرام، هل هي متسعة حقاً؟ لم يمر على الخطبة سوى أيام معدودة، ربما كان الأمر يحتاج مزيداً من الوقت حتى تتولد بينهما تلك المشاعر التي تتمناها، ربما كان خجولاً أو كتوماً للدرجة التي يحتاج فيها لمزيد من الوقت كي يفتحها في تلك الأمور، لم تبدُ هذه الفكرة مقنعة تماماً بالنسبة لها، خاصة بعدما شاهدت أسلوبه المرح المتفتح وطريقته اللبقة في الحديث مع الآخرين، هو بالتأكيد لا يعاني من أي مشكلات في الاختلاط بالجنس الآخر أو من قلة الخبرة في التعامل مع النساء، لماذا إذن تبدو علاقتها بهذا الجمود؟

دارت في رأسها فكرة بعثت في نفسها قدرًا مضاعفًا من الضيق، هل من الممكن أن يكون قد اختارها بعقله وليس بقلبه؟ أو أن يكون قد استقر رأيه عليها بناءً على كونها الأنسب من حيث المواصفات؟ فتاة جميلة من عائلة محترمة تعمل بوظيفة مرموقة، من المؤكد أنها ستكون زوجةً وأمًّا مثاليةً كما أنها ستحافظ للأبد على مظهره الاجتماعي، أهذا هو السبب الحقيقي فعلاً أم أنه قد شعر تجاهها بشيء مختلف دفعه للتقدم لخطبتها؟ تحاول أن تُصفي ذهنها وتدرس الأمور بعقلانية وعدم اندفاع، مازال الوقت مبكرًا على تلك الأحكام المسبقة، ومازال هو يحتاج لفرصة أخرى لإظهار نواياه الحقيقية، لكن البدايات تبدو غير مبشرة إلى حد ما، هي ليست ساذجة للدرجة التي ترغب فيها في سماع كلمات الحب بعد أيام من الخطبة، لكنها على الأقل تنتظر تلميحًا ما أو كلمة مختلفة عن باقي الكلمات التي تسمعها طيلة اليوم، كلمة تجعل قلبها يدق دقةً مختلفة ويفتح الباب على مصراعيه لمشاعرها الحبيسة لكي تتدفق، حتى الآن ما زالت تبحث عن ذلك الشعور بالانجذاب الذي انتظرته طويلاً ولكن دون جدوى، رغمًا عنها يتولد بداخلها قدر من الإحباط لكونها لم تشعر حتى الآن بأي شيء مميز.

تستنشق نفسًا عميقًا وتنفض عن رأسها تلك الخواطر، تحاول أن تفكر في أي شيء آخر فيذهب عقلها لا إرادياً لذلك التحقيق الذي تشترك فيه مع أحمد والدكتور عمرو فترسم على شفيتها ابتسامة رغمًا عنها، تلك المهمة قد أضفت على حياتها قدرًا من الإثارة والتشويق، خاصة بعدما تمت الموافقة على اقتراحها الأخير وبدءوا تطبيق النظرية البيولوجية غريبة الأطوار، تتخيل للحظة لو أنهم

استطاعوا الوصول للجاني عن طريق صفاته الجسدية وتم إثبات صحة هذه النظرية فعلا، سيكون ذلك أكبر الاكتشافات العلمية على الإطلاق لهذا العام، وستصير المبادئ البيولوجية مفعلة في كل تحقيقات الجرائم وستصل شهرتهم للآفاق، ترى هل يمكن لهذا الخيال أن يصير واقعا ملموسا؟ سيكون ذلك هو الحدث الأكثر تميّزا بالنسبة لها على مدار حياتها، وسيمحو بلا شك خيبة الأمل التي أصابتها مؤخرا بعد تلك الخطبة عديمة الطعم والرائحة.

عليه أن يتصرف بطريقة عادية ولا مفر من ذلك، هكذا حدّث أحمد نفسه عندما دخل حجرة الميعدين في اليوم الأول له بعد انتهاء الإجازة، يسعده ترحيب زملائه به ويرد عليهم التحية بامتنان، ولكنه لا يستطيع منع ما يشعر به من توتر، سيكون عليه أن يبذل مجهودا مبالغاً فيه لكي يبدو أمامها طبيعياً، ولكن ماذا لو حاولت التحدث معه على انفراد؟ كان ذلك مستحيلاً فيما مضى ولكن تلك المهمة قربت المسافات بينهما كثيراً وفتحت مجالات أكبر للحديث، لماذا يشعر بهذا الارتباك الذي يزلزل كيانه حين يواجهها منفرداً؟ مع ملاحظة أنه يتصرف بشكل تلقائيّ جداً حين يكون الدكتور عمرو حاضراً، هل مازال عقله لم يستوعب بعد أنها لن تكون له ومازال يحيا في أحلام الماضي؟ على الرغم من علمه بخطبتها وحضوره لحفل الخطبة بنفسه، لكنه لا يزال يحبها ولن يكف عن ذلك، من الصعب جداً أن تحتفي كل تلك المشاعر الصادقة بضغطة

زر، وعلى الرغم مما شعر به للحظات في أثناء حفل الخطبة من السعادة لكونها سعيدة، لكنه سرعان ما أدرك بعد ذلك بجزع أنها قد ضاعت من بين يديه للأبد.

يشعر باقتراب حضورها، لا توجد أي بوادر أو علامات تدل على مجيئها لكن الشعور يراوده بقوة، ربما يخلق اشتياقه لها أوهاما يحولها عقله الباطن إلى حقائق، أو ربما يكون لحضورها رائحة ما تشعر بها حواسه وتميز تأثيرها، أين ذلك الشخص الذي كان يود أن يبدو طبعياً؟ ومتى تنتهي تلك اللذة الغبية التي تتابه لمجرد وجوده بقربها؟ الصراع بين قلبه وعقله لا يتوقف ولا يجني منه سوى مزيد من الإرهاق والحيرة، يستنشق نفساً عميقاً ويشرد ببصره، أي مآزق وضع نفسه فيه عندما أطلق لمشاعره العنان ثم فقد السيطرة عليها، وأي ظلم أوقعه على نفسه عندما أدرك أنه يجبها ولم يَبَحْ.

يسمعها تلقى التحية على جميع الزملاء فيرفع بصره لا شعورياً باتجاه الصوت، لا جديد يذكر، هي بجملها المعتاد بملابسها الأنيقة البسيطة بتلك البسمة الهادئة التي أدمنها، لحظة واحدة كانت كافية جداً لكي يدرك أنه حتماً سيفشل، سيفشل في التصرف بصورة طبيعية وسيفشل في نسيانها أو اعتبارها زميلة أو حتى صديقة، مشاعره تجاهها لم تحبُ إطلاقاً، بل بالعكس، وكأن ابتعادها عنه في الفترة الماضية قد أضاف لتلك المشاعر مزيداً من التأجج، يقولون بأن الممنوع مرغوب ويبدو أن تلك القاعدة تنطبق على وضعه الغريب الشائك، يعود ارتبائه لمجرد وجودها وتعود النظرات المسترقة نفسها لتنبعث من عينيه وبكثافة أكبر، تتعلق عيناه بتفاصيل وجهها بلهفة، تطرب أذناه لسماع

صوتها العذب الذي اشتاقه كثيرا، والابتسامة البلهاء نفسها ترتسم على وجهه لرؤيتها تضحك أو تبسم، تأثيرها الساحر عليه لم يتغير وكأن شيئا لم يكن.

راوده شعور مفاجئ بالخوف، الخوف من الانسياق وراء مشاعره بلا هدف، الخوف من التعلق بالأوهام الواهية، الخوف من عواقب سلك طريق مسدود، والخوف المعتاد من أن يلحظ أحد زملائه ما يبدو عليه من هيام ووله، حتى لو كان ذلك مقبولا فيما مضى فلم يعد كذلك الآن، الخوف من عدم القدرة على التركيز أكثر في عمله بعدما وصل لتلك المكانة، لا مفر من الابتعاد إذن، هكذا حدث نفسه، وشعر بكثير من القبول بداخله تجاه هذا الاقتراح، هو حلٌّ مُرضٍ لجميع الأطراف بلا شك، أن يبتعد عنها للأبد ويبدأ في مكان جديد، هذا هو الحل الوحيد لجعل مشاعره تجاهها تنطفئ تدريجياً، هو يؤمن تماما بأن البعيد عن العين سيصير بعيداً عن القلب مهما كان مقدار محبته، ومادام أنه لا يراها باستمرار فسينساها أجلاً أو عاجلاً، بدا ذلك الحل مقبولا جداً بالنسبة له خاصة مع إمكانية انتقاله للعمل بأية جامعة أخرى، سيكون عليه فقط أن يعتاد على المكان الجديد ويحاول إنشاء علاقات مع الزملاء وهي ليست بالمهمة الصعبة.

عششت الفكرة برأسه وعزم على البدء بتطبيقها في أسرع وقت، ولكنه تذكر تلك القضية التي يساعد في التحقيق فيها وما تتطلبه من مجهود وتركيز، فقرر أن يؤجل تلك الخطوة حتى ينتهي من تلك المهمة ويستعيد صفاء ذهنه، تبدو فرصة مناسبة كذلك للتأكد من استمرار ياسمين في الخطبة وعدم حدوث أي مشكلات تعوق استمرارها، هو لا يتمنى لها أي مكروه بالتأكيد، لكن من

الوارد ألا تتفق مع خطيئها لأي سبب، كثير من الخطبات هذه الأيام تنتهي لوجود خلافات سواء أكانت مادية أو غير ذلك، إذن فما زال هناك بصيص من الأمل عليه أن يتمسك به، ولكن المهم أن يقتنص الفرصة سريعاً إذا سنحت له هذه المرة، وألا يكرر ذلك الخطأ الذي مازال يندم عليه حتى الآن.

بدا قدر كبير من التوتر والترقب على الوجوه بانتظار حضور الدكتور نائل لغرفة المدير ومعرفة نتيجة التحليلات، يراودهم شعور بأنهم قد انتظروا دهرًا على الرغم من أنه لم تمر سوى خمس دقائق فقط منذ وصولهم، لا أحد يملك الطاقة اللازمة لكي يحاول تخفيف حدة التوتر أو تلطيف الأجواء، يتحاشى كل منهم النظر للآخر لكيلا تنتشر عدوى القلق أكثر وأكثر، يسمعون أخيرًا ذلك الصرير المميز لفتح باب الحجرة فيلتنف الثلاثة نحو مصدر الصوت في آن واحد، يظهر الدكتور نائل وعلى شفثيه ابتسامة دبلوماسية ويلقي عليهم التحية، يرد الثلاثة التحية بصوت خفيض ونظرات الفضول تكاد تقفز من عيونهم، يشعر هو بذلك فيبدأ الحديث في صلب الموضوع بصورة مباشرة:

- طيب يا جماعة واضح جدا إنكم مستعجلين، هنبداً بنتائج تحليل الكروموسومات الي كانت مفاجأة كبيرة بالنسبالي.

سكت الدكتور نائل للحظة وابتلع ريقه، العيون تكاد تخرج من محاجرها من شدة الترقب، يتابع:

- مبدئيًا التحليل ده من التحليلات المعقدة جدا، بصراحة أنا كنت بعمله وجوايا حالة من عدم الرضى، لأنني كنت متأكد بنسبة كبيرة إني مش هلاقي أي مريض عنده الكروموسوم Y الزيادة في خلايا جسمه بسبب ندرة النوع ده من شذوذ الكروموسومات، أو على أقصى تقدير ممكن تطلع عينة واحدة إيجابية من الخمس عينات، لكن الشيء الصادم بقى إن نتيجة التحليلات الخمسة طلعت كلها إيجابية، وإن الخمس مرضى الي اتعمل لهم التحليل عندهم المتلازمة النادرة دي، بصراحة أنا مصدقش النتيجة في البداية ولسة مش مصدقها، لدرجة إني شكيت إني ممكن أكون غلطت في أي خطوة من خطوات التحليل، وده الي خلاني اطلعت على أهم المراجع العلمية الي اتكلمت عن النوع ده من التحليلات وطابقت إطلاعي بالخطوات العملية الي اتنفذت فعلا، ساعتها اتأكدت تماما من إن النتيجة سليمة بنسبة 100٪. وإن مفيش أي جوانب قصور في أي مرحلة من مراحل التحليل.

يتبادل الثلاثة النظرات بشيء من التحفز، مازال الوقت مبكرا على الشعور بالإحباط أو الحكم على المهمة بالفشل، يستطرد الدكتور نائل دون أن يمنحهم الفرصة لأي استفسار:

- ثاني تحليل كان مطلوب هو تحليل مستوى هرمون الغدة الدرقية لمعرفة مدى وجود أي زيادة أو نقص في نشاطها، وبعكس التحليل الي فات تماما، ظهرت النتيجة سلبية لكل العينات وكانت المحصلة النهائية للتحليل إن الغدة الدرقية للخمس مرضى بتعمل بشكل طبيعي جدا، ومفيش أي زيادة أو

نقص أو اختلال من أي نوع في مستوى الهرمونات الي بتفرزها، وده الي أكده تحليل هرمون الغدة النخامية الي كان في مستوياته الطبيعية برضو. تزداد حدة التوتر على الوجوه، ويبدو أحمد أكثرهم توترًا وعصبية، من المؤكد أنه يشعر الآن بأن تحفظاته على تطبيق هذه النظرية كانت صائبة إلى حد كبير..

- التحليل الأخير هو تحليل هرمون السيروتونين، التحليل ده برضو كان في مستواه الطبيعي بالنسبة لكل الحالات باستثناء مريض واحد مصاب بغيوبة اسمه (أحمد الدالي)، المريض ده ظهر عنده انخفاض حاد جدا في مستوى السيروتونين بالنظر للمعدلات الطبيعية، الطبيعي إن مستوى الهرمون ده في الدم يتراوح بين 101 إلى 283 نانو جرام لكل مليلتر، لكن نتيجة التحليل بالنسبة ل (أحمد) كانت 73 نانو جرام بس، طبعا الانخفاض ده بيدل على وجود حالة مرضية، ومعلوماتي إن أغلب المرضى النفسيين ومرضى الاكتئاب بتكون نسبة السيروتونين منخفضة جدا عندهم.

سكت الدكتور نائل وبدا أنه قد أنهى حديثه، يتبادل الدكتور عمرو مع ياسمين نظرة ذات معنى، ويتذكرا في اللحظة نفسها ما قاله زملاء (أحمد الدالي) عن عصبية وانفعاله الزائد والمستمر بلا سبب، من المؤكد أن ذلك التحليل الأخير سوف يتم وضعه في الحسبان بانتظار ما سوف تسفر عنه نتائج الأشعة المطلوبة.

- أتمنى أكون قدرت أفيدكم بحاجة.

يتمم الدكتور نائل وعلى شفتيه ابتسامة مليئة بالخرج بفعل ما يراه على وجوههم من حيرة.

يستفيق الدكتور عمرو من أفكاره ليرد:

- جدا يا دكتور، شكراً جزيلاً.

ينصرف الدكتور نائل ويدخل الدكتور أشرف بعد فترة بسيطة من الانتظار ممسكاً بصور الأشعة، من الواضح أن مدير المستشفى قد أعطاهم تعليقات مشددة بعدم تأخير النتائج.

بدا أن الدكتور أشرف على وشك التهكم وإلقاء التعليقات السخيفة حول طبيعة الأشعة المطلوبة والغرض منها، ولكن رؤيته ذلك التوتر الذي يكسو ملامح الحاضرين جعله يبتلع تلك الكلمات التي تقف في حلقه، ويرسم على وجهه ملامح الجدية، يتبادل معهم تحية بسيطة ثم يبادر بالحديث عن النتائج المرتقبة:

- هنبداً بنتيجة الأشعة اللي طلبتوها عن الفص الأمامي للمخ للتأكد من وجود أو عدم وجود أي مجموعات عصبية، الأشعة بتبين وجود الكتلة دي على الفص الأمامي..

يقطع حديثه ليرفع صورة الأشعة تحت الضوء مباشرة، وتبدو تلك الكتلة الداكنة التي يشير إليها واضحة لهم جميعاً..

- وده بالنسبة لمريض واحد بس من المرضى الخمسة، المريض اسمه..

يحاول التذكر للحظة ثم يستدرك:

- آه، أحمد الدالي.

تلاقت عيونهم وقد تولدت فيها قدرٌ من الحماسة وانتعش الأمل بنظراتهم من جديد، هذا المدعو (أحمد الدالي) قد ظهر اسمه حتى الآن ثلاث مرات، من الصعب أن يكون كل ذلك مجرد صدفة، هل من الممكن أن يكون هو المجرم المنشود؟ قليل من الارتباك يبدو على ملامح الدكتور أشرف، ويبدو وكأن هناك ما يشغل تفكيره ويجعله يبدو بهذا الاضطراب، يلاحظ الدكتور عمرو ذلك فيسأله بهدوء:

- فيه حاجة يا دكتور؟ شكلك عايز تقول حاجة.

وكان الدكتور أشرف قد تفاجأ بسؤال الدكتور عمرو، فأجفل للحظة وظل صامتًا، ثوانٍ معدودة حتى بدا وكأنه قد حسم أمره وقال:

- بصوا يا جماعة أنا معرفش بصراحة إيه الغرض من الأشعة اللي أنتم طالبينها دي، وميهمنيش أعرف، لكن فيه نقطة معينة حاسس إني لازم أقولها كنوع من الأمانة العلمية.

نظروا جميعًا إليه بتساؤل فازدادت تعبيرات التركيز والتصميم على وجهه ثم تابع:

- المجموعة العصبية اللي أظهرتها الأشعة في الفص الأمامي للمخ من الوارد جدا يكون سببها الحادثة الشنيعة اللي اتعرضلها المريض، أقصد إن المريض ده اتعرض لكسر في الجمجمة ونزيف بالمخ وده ممكن يكون عمل له بعض التليفات، يعني ممكن يكون التجمع العصبي دة من المضاعفات أو الآثار الجانبية الناتجة عن قوة الاصطدام، باختصار عايز أقول إن المجموعة العصبية دي من المحتمل إنها مكاتتش موجودة عند المريض قبل الحادثة.

ظهرت الحيرة على الوجوه مرة أخرى، وكان الدكتور عمرو أول من تكلم:

- يعني مفيش وسيلة معينة نقدر نعرف منها إذا كانت المجموعة العصبية دي كانت موجودة أساسًا عند المريض ولا لا؟

- للأسف حاليًا مفيش، مفيش غير إننا نستنى لحد ما المريض يتعافى تمامًا ونعملله أشعة تانية، أو لو كان هو بالصدفة عمل أشعة على المخ قبل ما يتعرض للحادثة، ساعتها هنقدر نعرف إذا كانت التجمعات العصبية دي موجودة بشكل دائم ولا بصورة عرضية.

بدت تلك الحلول بعيدة عن التطبيق في الواقع وغير حاسمة، الأمر الذي أعاد خيبة الأمل مرة أخرى إلى ملامح الحاضرين.

لحظات من الصمت تمر قبل أن يبادر الدكتور أشرف بالحديث:

- أكمل؟؟

رفع الدكتور عمرو بصره إليه ثم تمت بصوت منخفض وهو يومئ برأسه إيجابًا:

- اتفضل.

تنهد الدكتور أشرف بصوت مسموع ثم أردف:

- بالنسبة لأشعة الرنين المطلوبة، احنا عملناها للمرضى الخمسة، والأشعة أثبتت إن نشاط حويصلة (الأميغدالا) طبيعي لكل المرضى باستثناء (مجدي الهندي)، دة واحد من المرضى الي فقدوا الذاكرة في الحادثة، نشاط الحويصلة بالنسبة للمريض ده كان عالي جدًا لدرجة إنني شكيت إنه ممكن يكون

مريض صرع، لكن لما رجعت لملفه عرفت إنه مش بيعاني من أي نوبات صرعية أو تشنجات ومش بيتعالج من أي مرض من النوعية دي.

ينتهي الدكتور عمرو ورفاقه من تدوين ملاحظات الدكتور أشرف حول نتائج التحاليل، ثم يعاودون النظر إليه فيهبز كتفيه بحركة تعني أنه لم يعد هناك ما يقال.

عبارات الشكر المعتادة تُوجه للدكتور أشرف الذي يغادر الغرفة بهدوء، يتبع خروجه دخول مدير المستشفى بطريقته المميزة وحفاوته المبالغ فيها، يشعر الثلاثة بالضيق بسبب رغبتهم في مناقشة نتيجة التحاليل والأشعة على انفراد.

- أساتدتنا الكبار، منورين مرة ثانية.

لم يستطع أحمد أو ياسمين النفّوّه بأية عبارة من عبارات المجاملة، بينما رسم الدكتور عمرو على شفّتيه ابتسامة باهتة.

يوجه مدير المستشفى حديثه مباشرة للدكتور عمرو قائلاً:

- على فكرة احنا عملنا رسم المخ اللي حضرتك طلبته والنتيجة جاهزة، اتفضل.

يُخرج ذلك الملف الورقي من درج مكتبه ليناوله للدكتور عمرو الذي يخطفه بشيء من اللهفة ثم يفتحه ويتفحص ما فيه باهتمام بالغ، لحظات من الترقب تمر على ياسمين وأحمد وتتعلق نظراتهما بالدكتور عمرو الذي يبدو عليه التركيز الشديد، حتى ينتهي من قراءة التقرير فيغلق الملف ويضعه أمامه على المكتب وقد بدا في ملامحه قدر من الشرود والتشتت.

- معلش يا فندم لو فيها قلة ذوق، بس أنا محتاج أقعد مع فريقتي عشر دقائق على انفراد.

لم يبدُ على مدير المستشفى أنه قد شعر بالضيق أو الانزعاج إطلاقاً، بل رفع حاجبيه بصورة تلقائية وابتسم بمرونة ثم قال:

- طبعاً، مفيش أي مشكلة خالص.

ثم غادر الغرفة بخطوات ثابتة.

لم يطق أحمد صبراً فأسرع يسأل الدكتور عمرو بفضول عارم:

- إيه الأخبار؟

مطَّ الدكتور عمرو شفتيه ثم قال بفتور:

- ولا حاجة، الموجات ثيتا ودلتا موجودة فعلاً في الرسم، بس المشكلة

إنها ظهرت عند مشتبهِ فيه واحد هو (إبراهيم مغاوري)، كان عندي أمل ألقاها عند (محمدي) بعد ما ظهر عنده نشاط في إفراز الأميغدالا، ساعتها كان ممكن أحصر دائرة الاشتباه فيه بالإضافة لـ (أحمد الدالي) اللي اتكرر اسمه في أكثر من نتيجة إيجابية، لكن دلوقتي حاسس بالتشتت، إيه رأيكم؟

تنكس ياسمين رأسها للأسفل، ويبدو عليها الإحباط الشديد، تبدو الأعراض نفسها على أحمد، ولكنه لم يستطع -أدباً- أن يتجاهل سؤال الدكتور عمرو مما اضطره للرد:

- الحقيقة يا دكتور أنا مش شايف قدامنا دلوقتي غير حل واحد، إننا

نحاول نحدد أكثر صفة جسدية بتميز المجرمين عن غيرهم، يعني إيه هي الصفة اللي كان معدل تكرار ظهورها بين المجرمين هو الأعلى من بين كل

الصفات، وده من خلال دراسة التجارب اللي اتعملت في المجال دة بالتفصيل، والشخص اللي ظهرت عنده الصفة دي نحاول ندور وراه ونركز عليه أكثر، احنا كان عندنا أمل نلاقي كل خصائص المجرمين البيولوجية أو أغلبها عند شخص واحد، لكن مادام ده محصلش والفحوصات أثبتت إن كل واحد منهم عنده بيولوجيا صفة إجرامية واحدة تقريبا، يبقى المنطقي إننا نحدد وزن نسبي لكل صفة ونختار المشتبه فيه اللي عنده الصفة الأهم.

ظهر عدم الاقتناع على وجه الدكتور عمرو الذي بدا للحظة وكأنه يحاول أن يتقبل ذلك الاقتراح، ثم هز رأسه نفياً وقال:

- صعب جدا يا أحمد، المبادئ دي كلها قايمة على الملاحظة والتجربة مش على أساس علمي واضح، بالإضافة لأن التجارب دي اتعملت على عينات عشوائية من المجرمين والعينات دي عددها مكانش ثابت في كل تجربة، يعني لو فيه صفة ظهرت بنسبة 70٪ عند مجموعة معينة وصفة تانية ظهرت بنسبة 60٪ عند مجموعة تانية، فده مش معناه إن الصفة اللي نسبتها أعلى تعتبر منتشرة أكثر من غيرها، لأننا ببساطة معندناش معلومات مفصلة عن عدد المجرمين في كل عينة.

بادرت ياسمين بالحديث هذه المرة وهي تحاول أن تتغلب على إحساسها بالضيق:

- طيب إيه رأيكم يا جماعة نختار المشتبه فيه اللي ظهر عنده أكبر عدد من الصفات؟ يعني (أحمد الدالي) مثلا ظهر عنده 3 صفات؟

هز الدكتور عمرو رأسه نفياً مرة أخرى وبدأت علامات نفاد الصبر تبدو عليه ثم قال:

- برضو مش دليل كافي، أولاً فيه نتيجة من ال3 نتائج الإيجابية اللي ظهرت يعتبر مشكوك فيها وممكن جداً تكون ظهرت بصورة عرضية نتيجة للحادثة، يعني الشيء الموثوق منه إن المشتبه فيه عنده صفتين بس من أصل خمس صفات، ودي تعتبر نسبة مش كبيرة، ومقدرش أركز اهتمامي عليه أو اعتبره متهم تاني في القضية لأن فيه متهمين تانيين ظهرت عندهم صفتين برضو، إيه بقى اللي يميزه عنهم؟

حاولت ياسمين جاهدة أن تبحث عن رد ما فلم تستطع، كان حديث الدكتور عمرو منطقيًا إلى درجة كبيرة، مع العلم أنه أكثرهم رغبة في الوصول لحل بديل وعدم الاستسلام، ولكن ذلك لم يجعله يتخلى عن الحيادية والموضوعية في التفكير، فالتسرع لن يقوده سوى لحل خاطئ ولن يجني منه سوى مزيد من الإخفاق.

اللحظات تمر بطيئة، تبدو علامات الوجوم والحيرة على الوجوه، الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء لمعرفة أن المهمة قد باءت بالفشل، وأن كل المجهود المضني الذي قدموه لم يسفر عن أية نتيجة مرضية، مشاعر متضاربة تراودهم في التوقيت نفسه، أحمد وياسمين يشعران بالتقصير تجاه الدكتور عمرو وبأنهما السبب الرئيس فيما يشعر به الآن من خذلان، وبأنهما على الرغم من محاولتهما المستمرة لإيجاد طرف خيط إلا أنهما لم يكونا عند حسن ظنه في نهاية الأمر، الشعور نفسه يراود قائد المهمة، ولكن من وجهة نظره، يشعر بأنه لم يكن قائدًا

جيدًا للفريق، ولم يستطع أن يوظف إمكانيات أحمد وياسمين الكبيرة ولم يستفد منها بالشكل المطلوب، كذلك كان عليه ألا ينساق وراء فكرة ياسمين بتطبيق مبادئ النظرية البيولوجية، وهو يعلم تمامًا ما يحيط بها من انتقادات ولغط، هو يعرف جيدًا ما سيواجهه من توبيخ سيصل لحد الإهانة من العميد محسن، ولكن لم يكن ذلك ما يؤرقه، وإنما هو ذلك الشعور المرير بالفشل، ذلك الشعور الذي لم يتقبله طوال حياته، وكافح كثيرًا لكي يتجنب الشعور به ولو مرة واحدة، ها هو يعصف به الآن حاملاً مع مزيدٍ من مشاعر الندم ولوم الذات، لا شك أن الأيام القادمة لن تكون محتملة على الإطلاق بالنسبة له.

يغادر مبني المباحث في هدوء، مظهره الهادئ الرزين لا يعبر إطلاقاً عن ذلك البركان الثائر بداخله، كلمات العميد محسن القاسية الحادة ترن في أذنيه، يحاول أن يتجنب التفكير فيها أو تذكّرها، ولكنها تبدو كما لو كانت ملتصقة برأسه، يقود سيارته بعينين لا تريان، ويظهر في ملامحه قدر هائل من العبوس والتجهم، قدر يعبر عن حالته النفسية حالياً بكل وضوح، يحاول من آن لآخر أن يخرج من تلك الحالة، وأن يستمع لذلك الصوت الذي ينصحه بأن يهَوِّن على نفسه، وبأن الأمر لا يستدعي كل هذا القدر من الحزن وتأنيب الضمير، هي من الأساس قضية معقدة، ومن المستحيل تقريباً أن يتم حلها مع وجود كل تلك التفاصيل الدقيقة والتضاربات النادرة، تناسها إذن -هكذا حدث نفسه- ولا تتوقف عندها كثيراً، لأن الحياة لن تتوقف، ستمضي الأيام وتدور عجلة الحياة، وعليه أن يدور معها وأن يتحلَّى بشيء من المرونة.

على الرغم من أن ذلك الرأي هو رأي العقل والذي اعتاد أن ينحاز إليه دائماً، إلا أنه قد أخفق في ذلك هذه المرة وفشل في انتزاع نفسه من تلك الحالة البائسة، مازال عقله يبحث بدأب عن حل على الرغم من انعدام الرجاء، يسترجع اليوم الأول لقبوله العمل بتلك القضية، كافة المعلومات والخبايا وخطة العمل التي وضعها، يبحث بجنون عن آية ثغرة، آية نقطة ضعف، أي مخرج، فلا يجد أمامه سوى طرق ضيقة مسدودة، يعود لبحث من جديد مرات ومرات بدون كلل أو ملل حتى يشعر برأسه يكاد ينفجر، ولكن الغريب أن

ذلك المجهود العقلي هو الشيء الوحيد الذي يخفف من حدة المرارة التي يشعر بها، وكأن استغراقه الدائم في التفكير هو ما يُشعره بأن مازال هناك أمل وبأن الأمور لم تنتهِ بعد عند ذلك الحد.

صوت العقل بداخله ينخفض رويدًا رويدًا حتى يتلاشى تقريبًا، لا مجال للنسيان ولا يوجد أبدًا مبرر للفشل، لم يكن الأمر بإرادته في الواقع، ربما كان قدره أن يبحث دائمًا عن الحقيقة حتى لو كانت محتبئة في كومة من القش، فتكرار المحاولة أخف وطأه على نفسه من الاستسلام، وكل الأبواب الموصدة ستُفتح بالتأكيد في نهاية الأمر، عليه فقط ألا ييأس من الطُّرق.



تمر الأيام عليها ثقيلة متشابهة، أسبوع كامل قد مر منذ آخر لقاءاتها بأحمد والدكتور عمرو في المستشفى، ذلك اللقاء الذي أدركت فيه أنهم قد أخفقوا في حلّ القضية، ومنذ ذلك اليوم وهي تعاني من حالة إحباط شديد، وحالتها النفسية تسوء باستمرار، ما جدوى دراسة كل تلك النظريات الصِّماء مادامت لن تجني من ورائها نفعًا؟ وما فائدة كل ما تعلمته إذن إن لم تستطع تطبيقه على أرض الواقع، يزداد شعورها بالاختناق كلما تذكرت اقتراحها بتطبيق المبادئ البيولوجية، ذلك الاقتراح الذي لم يُسفر عن أي شيء سوى أنه جعلها تبدو حمقاء، هي تعلم جيدًا ما يشعر به الدكتور عمرو الآن من ندم لكونه قد وافق على هذا الاقتراح، تتذكر فجأة كلماته التشجيعية لها في بداية المهمة وثنائه الدائم

عليها فتتصاعد تلك الغصة إلى حلقها، هي لم تستحق إيمانه بها على الرغم من رغبته الحقيقية في المساعدة وحماسها الدائمة، شعور مقيت أن يكون أقصى ما لديك غير كافٍ.

هل ستُحل القضية؟ ربما، ربما تستطيع المباحث أن تصل للجاني وينتهي الأمر، حتى تلك الفكرة لم تمنحها ما تبحث عنه من راحة بال، في كل الأحوال هي لم تستطع أن تؤدي دورها بالشكل المطلوب، بل وخالفت ضميرها حين بحثت عن مجد علمي ونسيت أنها أمام جريمة حقيقية لا مجال فيها لإجراء التجارب، كيف سيمكنها المضي قدمًا في هذا المجال بعدما اهتزت ثقتها في نفسها إلى هذه الدرجة؟ وكيف ستستطيع أن تدرّس ذلك العلم وهي تدرك في قرارة نفسها أنها ليست متمكنة منه بالقدر الكافي؟

تسمع فجأة تلك النغمة المميزة لرنين هاتفها فتستفيق من شرودها، تُلقي نظرة سريعة على شاشة الهاتف فيتضاعف ما تشعر به من ضجر وتُشيع بوجهها، خطيبها يتصل مجددًا، ذلك الاتصال السخيف المعتاد الذي يكون سببه -غالبًا- هو السؤال عن أمور أسخف كتجهيزات شقة الزوجية والعرس وخلافه، لا تستطيع حقًا أن تفهم سبب اهتمامه بتلك الأمور السطحية وعدم اهتمامه بمشاعرها، تمر الأيام ويكاد صبرها ينفد، لماذا لا يتكلم؟ لماذا لا يداعب قلبها الذي انتظر تلك المداعبة طويلاً؟ ولماذا لا يلتفت لمحاولاتها المستمرة لجعل العلاقة أكثر حميمية؟ إن كان تجاهله مقصودًا فهي كارثة وإن لم يكن كذلك فهي كارثة أكبر، كيف لم يلحظ لهفتها وترقبها الدائم لأية لمحة رومنسية؟ الأمر لا يعدو مجرد كلمات، فلماذا يجعل الأمور تبدو صعبة بهذا

الشكل؟ التفسير الواحد أنه لا يشعر بتلك الأحاسيس، مجرد ارتباط روتيني والسلام، قد يبدو أقرب إلى الصداقة منه إلى الارتباط، حتى الصداقة لم تكن يوما بهذه الرتابة، هل هي حاملة أكثر من اللازم؟ ربما، الخلاصة أنها لم تجد نفسها حتى الآن في تلك العلاقة ولم تعد متأكدة من صحة تلك الخطوة التي قامت بها رغما عنها.

تقف الآن بين طريقتين، أحلاهما مُرٌّ، الأول أن تفسخ الخطبة بدون أن تُعلن عن السبب، وهو الطريق الذي سيجلب لها كثيرًا من التساؤلات والتلميحات من الأقارب بالإضافة لحزن وغضب والديها، والثاني هو أن تستمر في تلك العلاقة متناسية رغبتها الغريزية في الشعور بالحب وتلك الصورة الراسخة في ذهنها عن فارس الأحلام، طريق تبدو على جانبيه ملامح التعاسة ويظهر الفشل في نهايته ملوحًا بيديه.

تغمض عينيها في محاولة بائسة للانفصال عن الواقع، هاتفها يرن مرات ومرات ولا ترد، تشعر بأن هذه المرحلة هي أصعب مراحل حياتها، بكل ما مرّت به في الآونة الأخيرة من أحداث متلاحقة غير سعيدة، وبكل تلك الصدمات التي أطفأت روحها المتفائلة المقبلة على الحياة، تراودها رغبة عارمة في تغيير كل شيء، عملها الذي لم تعد تحمل تجاهه أي قدر من الشغف، وخطيئها الذي ستظلمه وتظلم نفسها معه إن لم تفسخ ارتباطها به، تشعر بأن قيود الواقع تكبلها وترغمها على ارتكاب أفعال تُخالف إرادتها، تنهمر دموعها في صمت، وتبدو تلك الدموع هي أبلغ تعبير عن تلك الضغوط التي تلاحقها والذي يبدو الفرار منها أصعب مما تظن.

رفع الدكتور أمجد، عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة، حاجبيه استنكاراً وتعجباً، وأخذ ينقل بصره للحظات بين أحمد الجالس أمامه وبين تلك الورقة التي وضعها الأخير أمامه..

- طلب نقل لجامعة عين شمس؟ ليه يا أحمد خير؟؟

قالها وارتسمت على وجهه علامات الاستفهام الممتزج بالجدية، نكس أحمد رأسه للأسفل ثم قال وهو يتحاشى تلك النظرات المتفحّصة الموجهة إليه:

- معلش يا فندم، ظروف شخصية.

ظهر قدر من عدم الاقتناع على وجه الدكتور أمجد، وبدأ أنه يود الاسترسال عن طبيعة تلك الظروف، ولكنه يخشى من أن يسبب لأحمد أي إزعاج.

تمرّ لحظات من الصمت المشوب بالحرج قبل أن يبادر الدكتور أمجد بالحديث بلهجة أبوية..

- بص يا أحمد، أنا لسة معرفكش بصفة شخصية، لكن سمعت عن اجتهداك وتفوقك، كل أساتذتك يقولوا إنك نابغ في مجالك وموهوب فيه، وأنا بصراحة محبش أفرط أبداً في حد بالمواصفات دي.

ابتسم أحمد ابتسامة تهكم مريرة ولم يرد، من المؤكد أن رأي الدكتور أمجد كان سيختلف تماماً إذا كان لديه علم بتلك المهمة وبأدائه المخيب فيها، ذلك

الأداء السلبي الباهت الذي لم يضيف شيئاً واحداً ذا قيمة، ولم يساهم في التحقيقات ولو بشقّ قمرة، أين ذهبت كل تلك العبقرية وكل ذلك النبوغ؟ كل تلك الإمكانيات التي يتحدث عنها الدكتور أمجد لم تسفر عن رأي راجح أو فكرة يتيمة صالحة للتطبيق، ربما أخفقت ياسمين حين اقترحت تطبيق النظرية البيولوجية، ولكنها في النهاية حاولت، أما هو لم يكن له أي دور يُذكر، واكتفى بدور المتفرج الصامت، تذكر فجأة المثل القائل (الصيت ولا الغنى) فشعر أنه ينطبق عليه تماماً في ذلك الموقف، يبدو أن كل ما يتلقاه من أساتذته من عبارات الثناء وكلمات الإعجاب قد ذهبت في النهاية للشخص الخطأ.

- أنا كل اللي بطلبه منك حاجة واحدة، لو عندك مشكلة معينة في شغلك أو مع حد من زمايك، صارحني، وصدقني هحاول أحلّها بأقلّ خسائر.

شرد أحمد ببصره مرة أخرى، ماذا يقول له؟ هو بالفعل لديه مشكلة مع زميلة له، ولكن يبدو أن أوان حلها قد فات، فلا داعي إذن لمزيد من التعلق بأوهام فارغة، هي تبدو سعيدة ومتناسكة على الرغم من كل شيء، الأيام تمر بدون أدنى تغيير يُذكر، مازالت مستمرة في الخطبة ومازال هو غير مرئي بالنسبة لها على الإطلاق، ماذا ينتظر إذن؟ أن يحضر عرسها ليكون أول المهنيين؟ سيكون من الصعب عليه أن يلعب دور الفارس النبيل مرة أخرى، لا مفر من الرحيل لبداية جديدة ونسيان قصة الحب الحاملة التي لم يعد يتبق منها سوى ذكريات ضبابية، سيشتاقها حتماً، سيشتاق لابتسامتها الصافية الرقراقة كماء البحر، أسلوبها المميز في الحديث وطريقتها الجذابة، روحها التي تفيض

مرحًا وعذوبةً، صوتها، تعبيرات وجهها وردود أفعالها في كل موقف، سيشتاق لنظرتها، وسيشتاق لتلك اللحظة التي تخطف قلبه فيها حين تلتقي عيناها بعينه، سيفتقدها ويفتقد تلك الحالة التي تسببت له فيها، أَسْتَخْبُو مشاعره تجاهها حقًا بالابتعاد أم أنها مجرد وسيلة بدائية لتضميد جرحه النازف؟ ربما ستحفظ تلك الوسيلة بعضًا من كبريائه وعِزَّة نفسه، لكن هل ستُنهي قصته المريرة بلا رجعة؟

- معلى يا فندم اعذرني، أنا أخذت القرار خلاص ويا ريت حضرتك تعفيني من ذكر الأسباب، بس أنا عايز حضرتك تتطمئن، أنا معنديش أي صعوبات في الشغل ومفيش بيني وبين زمالي غير كل خير.

ظهرت علامات الاستسلام على وجه الدكتور أمجد بعد تلك اللهجة الحاسمة التي تحدث بها أحمد، فهز كتفيه وقام بالتوقيع أسفل الطلب على الفور.

- خسارة، على العموم أنت لسة هتحتاج توقيع رئيس الجامعة، وهو حاليا برا مصر وهيرجع بعد خمس أيام، أتمنى تفكر كويس وهاكون سعيد جدًا لو غيرت رأيك.

ظهر الامتنان على وجه أحمد الذي نهض من مقعده ومدَّ يده مصافحًا الدكتور أمجد وعلى شفثيه شبح ابتسامة.

- شكرًا على وقت حضرتك.

- العفو، ربنا يوفقك.

لم يعد الأمر غريبًا بالنسبة له، فمنذ انتهت تلك المهمة وهو يعاني من ذلك الأرق المستمر، على الرغم من تعمله عدم النوم إطلاقًا طوال النهار لكي يخلد للنوم ليلاً بسهولة، وعلى الرغم من محاولاته المستمرة للاندماج في العمل والبقاء في الكلية لأطول فترة ممكنة، يظل ذلك الأرق الغريب يلزمه يوميًا ليضعف شعوره بالإجهاد، والسيناريو الكئيب نفسه يستمر بعدما تنطفئ الأنوار ويخلد جميع من في البيت للنوم ويبقى وحيداً، تستيقظ كافة حواسه فجأة ويرأوده إحساس عارم بالانتباه، حتى بعدما انتهى دوره في القضية منذ أكثر من أسبوع، لم يستطع أن يتقبل بعد فكرة الفشل أو أن يعود لحالته الطبيعية، لماذا أثرت فيه تلك القضية بهذا الشكل؟ ربما يكون قد تعرض لمواقف أصعب خلال حياته واستطاع أن يتجاوزها، لماذا تعطلت قدرته الطبيعية على النسيان في هذه الحالة بالذات؟

كعادة كل المصابين بالأرق، يداهم النوم فجأة بدون أيّة مقدمات أو إنذارات مسبقة، تنتظم أنفاسه أخيراً ويسترخي جسده، مجرد نوم (فسيولوجي) إن صح التعبير، ذلك العقل المجهّد وتلك الحواس التي نفذ وقودها لم تعد تستطيع الاستمرار بدون أخذ قسطٍ من الراحة، وحن الوقت لكي تسلك مسارها الطبيعي الذي وضعه لها الخالق عز وجل، ولكن يبقى ذلك الإحساس بالصفاء وراحة البال غائب دائماً ويظهر تأثير غيابه عند الاستيقاظ صباحاً، عندما يبدو عليه الإرهاق الشديد ويتصرف أحياناً بعصبية بسبب ذلك الصداق المرير الذي يكاد يفتك به، وكأن خلايا عقله قد حصلت

على هدنة سريعة لكي تعود بصورة مباغثة إلى عملها بدون أن تستريح أو تتجدد.

تراوده أضغاث الأحلام مجدّاء، تلك الهالوس التي لم يعتد أن يُلقى لها بالاً، والتي تميز ذلك النوع من النوم غير المستقر، فيرى مواقف غريبة حدثت في الماضي السحيق، ممتزجة بمشاهد ليس لها معنى مختزنة في ذاكرته، أشخاص وأحداث لا تجمعهم أيّة علاقة ولا تربط بينهم أيّة صلة سوى وجودهم في الجزء المظلم نفسه من عقله الباطن، الرؤى الغريبة نفسها تتكرر بصفة يومية تقريباً؛ حتى اعتادها وأصبح يتوقع ما سوف يراه، خيالات متلاحقة مربكة تعصف بذهنه فتصيبه بمزيد من الإرهاق، ولكن في ذلك اليوم بالذات، كان ما رآه في أحلامه غير مألوف بالمرّة.

يرى المشتبه فيهم الخمسة واقفين أمامه بلا حراك، متجاورين في صف واحد، لا تبدو على وجوههم أي تعبيرات أو انفعالات، عيونهم مفتوحة وملامحهم جامدة صامتة وكأنها تماثيل من الشمع، تراوده رغبة في الاقتراب منهم أكثر فأكثر، رغبة غير مبررة، لكنه ينساق وراءها على أيّة حال، يقترب جداً حتى يكاد يلامسهم، برفق شديد يضع يدا على وجه المشتبه فيه الأول ويراقب انفعالاته بحذر، فلا يبدو على الأخير أنه يشعر أساساً بتلك اليد التي تتحسس وجهه، يكرر ما فعله بالبقية، يمرر يديه على وجوههم بالأسلوب نفسه الذي يتبعه الكفيف لتمييز الوجوه، ثم يتعد عنهم فجأة ليرجع عدة خطوات للوراء، يحول بصره بين الوجوه مرّاتٍ ومرّاتٍ، يتأملهم بتفحص وكأنه يبحث عن شيء ما، يركز بصره على عيونهم، شكلها ولونها ومدى

اتساعها، حجم أنوفهم وشفاههم وشكل الوجه نفسه، شكل الوجنتين والذقن وعرض الجبهة ومدى بروزها، يحول بصره تجاه أجسادهم ليلقي نظرة عامة، يقارن بينهم من حيث الطول والقصر، حجم الأذرع مقارنة بباقي الجسم، المظهر العام للكتف والصدر وحجم الرأس، يعود ليتأملهم مرة أخرى بدقة أكبر، يدور حولهم عدة مرات لكي يعرف كل تفصيلة صغيرة في مظهرهم، يستمر بالدوران حولهم بدون توقف، وعيناه ملتصقتان بوجوههم وأجسامهم، يصيبه الدوار فيغمض عينيه، يشعر وكأنه يهوي سريعا في بئر عميقة مظلمة، فيستيقظ أخيرًا.

تمر ثوانٍ معدودة يستعيد فيها إدراكه للمكان والزمان، ويستعيد مرة أخرى تفاصيل ذلك الحلم شديد الغرابة، التساؤل يملأ نفسه عن مغزى ذلك الحلم، أهى مجرد خيالات زائفة أم أن هذا الحلم بالتحديد له دلالة ما؟ تراوده الرغبة في التفكير، ولكن لا يجد في نفسه القدرة لذلك، يغمض عينيه مرة أخرى على أمل العودة للنوم فيشعر باستحالة ذلك مع كل ما يعاينه من توتر، يبدو أن فرصته الوحيدة للتغلب على أرقه قد انتهت، وعليه الآن أن يكمل ما تبقى من سواد الليل بعينين مفتوحتين.

لليوم الخامس على التوالي يتكرر الحلم العجيب نفسه بتفاصيله نفسها، الوجوه المعتادة نفسها تقف متجاورة بدون أن يظهر عليها أي تعبيرات، النظرات التفصيلية المتفحصنة نفسها، يرمقهم بها بجدية ودأب وكأنه يبحث عن علامة مميزة، المقارنة المعتادة بين العيون والأنوف وباقي تفاصيل الوجه تتكرر بحذافيرها، ويعود ليدقق في شكل أجسامهم ويدور حولهم وكأنه يشتري عبيدًا من سوق النخاسة، إلامَ يرمي عقله الباطن بكل تلك الهواجس الضبابية؟ وما السر وراء ذلك التقليد الغريب الذي لم يعد يفارقه مؤخرًا؟

يستيقظ مرة أخرى وسط سكون الليل، الثانية المعهودة تمر ويدرك خلالها أبعاد الزمان والمكان فيتندد بمزيج من الضيق وقلة الخيلة، لا مفر من ذلك الأرق اللعين إذن، ولا مهرب من تلك الرؤى عديمة المضمون والتي ستصيبه بالجنون يوما ما، يسترق النظر إلى ذلك المنبه الصغير الكئيب، رفيقه الوحيد في محنته الليلية، الساعة لا تزال الثالثة والنصف فجرًا، ولا تزال أمامه أربع ساعات كاملة حتى يحين موعد الذهاب للعمل، لابد أن ينام بأيّة طريقة، يريح رأسه على الوسادة الإسفنجية الوثيرة ويغمض عينيه للحظات متظاهراً بالاسترخاء.

محاولة فاشلة أخرى، يأبى عقله أن يتقبل فكرة السكون على الرغم من توافر كل المقومات، من الممكن أن يكون لذلك الهدوء القاتل تأثير عكسي، فأصوات أفكاره تعلو حتى يكاد يسمعها، والأحداث تتزاحم في رأسه بصورة

مشوشة، يحاول أن يركز في أي شيء ليسلي نفسه، فيذهب عقله لا شعوريًا إلى ذلك الحلم الغريب دائم التكرار، لماذا تظهر تلك الوجوه أمامه بهذا الوضوح؟ وما معنى ذلك التدقيق المحكم في كل تفاصيلها، هل توجد آية علامة مميزة من الممكن أن ترشده إلى شيء ما؟ هي مجرد وجوه عادية لا يوجد بها شيء واحد غير مألوف، وجوه طبيعية يرى مثلها يوميًا عشرات المرات، هل يوجد أي منها يحمل علامة أو أكثر من العلامات المميزة لوجوه المجرمين؟ جروح قطعية مثلاً أو خياطة ما؟ لا يوجد ذلك على الإطلاق، وحتى لو.. قد يكون ذلك بسبب حادثة عرضية أو إصابة عابرة، وليس شرطاً أن تدلّ تلك الأمور الظاهرية على وجود شبهة جنائية أو سوابق إجرامية، ما علاقة الوجه أساساً بالإجرام؟؟ وما..

خطرت له فكرة مفاجئة أصابته بما يشبه الصدمة الكهربائية، وتوقف عقله تماماً عن التفكير في أي شيء سواها، لحظات تمر بدون أن يستوعب تلك الخاطرة التي داهمته فجأة بدون سابق إنذار، تتوقف جميع حواسه باستثناء حاسة التنفّس، ويمر وقت طويل بدون أن ترمش عيناه أو أن يتحرك من مكانه قيد أنملة، الفكرة المجنونة تستحوذ عليه أكثر فأكثر وينساق وراءها بدون أدنى مقاومة، وكأنها قبس من نور يلوّح له من بعيد وسط كل ما يحيط به من ظلمات كالحية، فلا يملك من أمره شيئاً سوى أن يتبعها مسلوب الإرادة. ينهض من سريره بسرعة حتى يكاد يوقظ زوجته، يهرول إلى حجرة المكتب حافياً غير مهتم بظلمة الصالة، تصطدم قدماه بعشرات الأشياء محدثة ضجة لا بأس بها ولا يؤثر ذلك على حماسه أو على سرعته مثقال ذرة، يصل

أخيرًا إلى حجرة المكتب المفتوحة فيفتح (الأباجورة) الصغيرة سريعاً، ثم يفتح درج مكتبه الأخير ليخرج منه ملف القضية، يقلب أوراقه على عجل حتى يصل لبيانات المشتبه فيهم، خمس ورقات كل ورقة تحوي بيانات مفصلة عن المشتبه فيهم وصورة واضحة، يقوم بفرد الأوراق الخمس أمامه على المكتب، وبالطريقة نفسها التي يرى بها الوجوه في ذلك الحلم، ثم يتجه نحو مكتبته البسيطة المكونة من خمسة أرفف خشبية مثبتة على الحائط، يبحث فيها بدأب بين الكتب والمراجع والمجلات والأبحاث العلمية ورسائل الماجستير والدكتوراة، بحث مضني عن كتاب معين لم يظن يوماً أنه سيحتاجه، يصل إلى مبتغاه فيشدّه شدًّا من بين الكتب ولا يبالي بما سقط منها على الأرض، يرمق ذلك الغلاف العتيق بارتياح وعلى شفثيه تعلو ابتسامة انتصار.

يفتح ذلك الكتاب حتى يصل للصفحة التي يبحث عنها، ينقل بصره بين ما هو مكتوب في تلك الصفحة وبين الصور المعروضة أمامه، يبحث بين الصور الخمس عن شيء ما فلا يجد نتيجة، يعود لبحث مرة أخرى عن شيء آخر، ومرات ومرات عن أشياء أخرى، فيجد ضالته أحياناً وأحياناً أخرى يعود بخفي حنين، الفحص يحتاج قدرًا هائلًا من التركيز ودرجة عالية من اليقظة، يدوّن كل ما يراه على ورقة بيضاء لكي ينظم أفكاره، حتى ينتهي من عملية التدقيق فيغلق الكتاب ويطلع ما دوّنه على الورقة، لا يمر وقت طويل حتى يستطيع أن يصل إلى استنتاج ما، استنتاج يبدو غريباً لدرجة تجعل من الصعب تصديقه، وعلى الرغم من ذلك فهو لا يرى أمامه سوى ذلك الطريق وعليه أن يسلكه مهما حدث، بقلمه الأحمر يضع دائرة على وجه أحد المشتبه

فيهم ويطيل النظر إلى صورته، الأمر يتطلب مجازفة بلا شك، ومادامت بارقة الأمل قد ظهرت في الأفق فسيتبعها مهما كانت بعيدة، وسيسير وحيداً وراء هدفه مهما كلفه ذلك من خسائر أو استنكارات.

أمام باب الشقة الخشبي العتيق وقف متردداً، لماذا جاء إلى هنا وعن أي شيء يبحث؟ كيف وافته الجرة للقيام بتلك الخطوة؟ هو ليس شرطياً أو وكيل نيابة، ولن يكون أبداً، فلماذا يتقمص ذلك الدور الآن؟ بالإضافة لكونه لا يملك خطة محددة ومن الوارد أن تفشل تلك اللعبة الخطرة التي ينوي الخوض فيها، من الأفضل حقاً أن يعود أدراجه لكيلا تسوء الأمور، شعر بالاطمئنان لتلك الفكرة خاصة مع ما يشعر به من خوف واضطراب، وهمّ بنزول أدراج السلم والعودة لسيارته مرة أخرى، لولا أنه تذكر أن كل الأبواب أصبحت موصدة أمامه باستثناء ذلك الباب، وأن فكرة الإستعانة بأي شخص الآن تبدو مرفوضة ومستبعدة، لا مفرّ إذن من أن يُقدم على تلك الخطوة وأن يتحلى ببعض الجسارة، حسم أمره سريعاً وضغط الجرس ثم وقف يراقب ما سيحدث بوجل، مستوى الأدرينالين في دمه يتضاعف ويشعر بضغط دمه يرتفع لمستويات قياسية، يفتح الباب لتظهر سيدة نحيلة في أوائل الأربعينيات ترتدي السواد، ويبدو في ملامحها المنكسرة قدر من التساؤل الممتزج بالتحفظ:

- صباح الخير.

- صباح النور.
- ترد التحية ونظرة التساؤل في عينها تزداد وضوحا.
- دي شقة الأستاذ محمد ناجح؟
- أيوة.. خير؟
- تزداد نظراتها حدة ولهجتها صراحة، عليه الآن أن يجد حلاً سريعاً لهذا الموقف لكيلا تتطور الأمور للأسوأ.
- آآآ.. أنا إبراهيم محسن، زميله في البنك.
- أهلا وسهلا.
- في الحقيقة أنا كنت مستلف منه مبلغ كده وعازيز أرجّعه، أنا قلت إنك ممكن تكوني محتاجاه في الظروف اللي زي دي.
- هدأت ملامحها قليلا وظهر عليها قدر من الارتياح، ثم فتحت باب الشقة بترحاب وأشارت إليه بالدخول:
- طيب اتفضل.
- شكراً.
- بدا عليه قدر من الحرج، ولكنه كان سعيداً في قرارة نفسه لكون مخطئه يسير كما رسم له.

جلس على استحياء على تلك الأريكة الأنيقة رمادية اللون وجلست قبالة، لاحظ أنها تركت الباب مفتوحاً مما يعني أنها وحيدة بالشقة، من المؤكد أن الابنة الوحيدة بالمدرسة في هذا التوقيت، ومن المؤكد أيضاً أن هذه الزيارة لا يمكن أن تطول كثيراً، عليه إذن أن يبادر بالحديث بسرعة..

- إزي الأستاذ محمد دلوقتي؟ أخبار صحته إيه؟

شردت نظراتها وظهر على وجهها ملامح الأسى، تجمعت الدموع في مقلتيها ثم أردفت بصوت منكسر:

- الحمد لله، مفيش جديد، الغيبوبة لسة مستمرة.

- ربنا يشفيه ويقومه بالسلامة.

- آمين.

- بس أنا كنت ملاحظ إن الأستاذ محمد بقاله فترة كدة متغير من قبل الحادثة.

رفعت وجهها نحوه وقطبت حاجيها متسائلة، فابتلع ريقه ثم تابع:

- مش عارف، كنت حاسس كدة إن فيه حاجة مضايقه أو شاغلاه.

لم يكن أداؤه مقنعاً إلى حد كبير، لكنها محاولة لجس النبض لابد من القيام بها لحثها على الاسترسال في الحديث.

ظلت صامتة للحظات وبدأت وكأنها تفكر بعمق وتسترجع عديداً من المواقف، لحظات مرت ثقيلة عليه إلى حد لا يوصف، فهذه النقطة تحديداً قد تفتح مجالات للحوار إذا كان ما يقوله صحيحاً.

- بصراحة أنا حسيت بكدة برضو، من فترة بدأت أحسن إنه علطول ساكت وسرحان ومكشر، وكأنه يفكر في حاجة معينة بشكل مستمر، بس الكلام دة بقاله أكثر من 3 شهور، من يوم ما انتقل فرع إسكندرية وساب الفرع الي كان شغال فيه طول عمره، هو كان عنده أي مشاكل مع زميله؟ ظهرت الصدمة على وجه الدكتور عمرو، هذه المعلومة جديدة لديه تمامًا، لماذا انتقل لهذا الفرع قبل ثلاثة أشهر من حدوث الجريمة؟ وما سبب الانتقال؟ تذكر فجأة ذلك السؤال الذي وجهته إليه، فاستفاق من شروده وهز رأسه نفيًا بشدة ثم قال:

- لا لا إطلاقًا، أستاذ محمد كان محبوب من الكل.
- أmaal إيه بقى؟ يمكن كان عنده مشاكل في طبيعة الشغل نفسه.
- وأنتِ محاولتيش تسأليه؟
- حاولت كذا مرة وكل مرة يقول لي مفيش حاجة، دي مشاكل الشغل العادية، بس بصراحة مكنتش مصدقة، لأنه طول عمره بيقدر يفصل بين مشاكل الشغل والبيت وعمره ما مر بالحالة الغريبة دي.
- هوه ليه انتقل أصلا من الفرع القديم؟
- يا ريته ما انتقل والله، كانت خطوة مش محسوبة خالص، مع إنه كان مرتاح جدًّا في المكان الأولاني وكانت الأمور مستقرة، كانت مبرراته غريبة، كان بيتحجج بإنه مجرد موظف ائتمان في الفرع القديم، لكن لما يتنقل هيبقى رئيس قسم ومرتبه هيزيد، بس الحقيقة إن الزيادة دي مكانتش مكفيّة مصاريف السفر ولا كانت مستاهلة تعبته، كمان كان بيقول إنه محتاج بيئة شغل

جديدة لأنه زهق من الشغل في نفس المكان فترة طويلة، كلامه بصراحة
مكانش مقنع بس أنا مرضيتش أعارضه، قلت هو أدرى بنفسه.

تجمعت الدموع في عينها مرة أخرى وتهدّج صوتها في نهاية الحديث، نظر
الدكتور عمرو إليها بشيء من الشفقة، هي في وضع لا تحسد عليه بطبيعة
الحال.

بدا أنها تحاول تغيير دفة الحديث فجأة، فابتسمت ابتسامة مفتعلة ثم
قالت:

- وحضرتك بتشتغل في قسم إيه بقى؟

- خدمة العملاء

كان هذا الخيار الوحيد الذي تبادر لذهنه.

- وإيه موضوع الفلوس دي؟ محمد مقاليش أبدا إنه مسلف حد من
زمايله.

قالتها بلهجة مرحة إلى حد ما.

- آآآ لا دي كانت مرة واحدة بس، أصل آآآ عربيتي لما خرجت من
البنك لقيتها عطلانة ومكانش معايا فلوس ساعتها، هو شاف الموقف بالصدفة
وعرض عليا المساعدة، وأنا بصراحة مكانش قدامي اختيار ثاني.

أومات برأسها إيجابا بتفهم ثم عادت للصمت، عقله يعمل بسرعة
الصاروخ للبحث عن الأسئلة التي قد تُفيده، يتبادر إلى ذهنه أن يحاول
استكشاف أمر ما، مديده في جيبه وأخرج مبلغا من المال ثم وضعه أمامها على
المنضدة وقال:

- دول ال600 جنيه الى كنت استلفتهم، أنا عارف إن المصاريف كثير ربنا يكون في عونك.
- ربنا يكرمك يا رب.
- أنا ولادي برضو في التعليم وعارف الظروف، مبقاش فيه حاجة مكفية.
- توقف عن الكلام منتظرًا ردها ولكنها ظلت صامتة، فحاول مرة أخرى أن يدفعها للحديث في هذا الاتجاه.
- أكيد أنتم زي حالاتي يعني.
- هزت كتفها هزة بسيطة ومطت شفيتها ثم أردفت:
- لا عادي والله، الحمد لله على كل حال، مع إني مبشتغلش، لكن مرتب محمد كان بيكفيننا ويفيض، مرتبات البنوك برضو معقولة، ده أنا حتى كنت بقوله يدخل جمعية كل شهر بالجزء اللي بيتبقى من المرتب بدل ما بنضيعه في الفسح والأكل من المطاعم.
- بدا واضحًا جدًا أن الأحوال المادية على ما يرام، نقطة مهمة لابد أن يضعها في حسابه.
- الصمت يسود مرة أخرى، يشعر وكأنها لم تعد تجد شيئًا لتقوله ويرأوده الشعور نفسه، فَهَمَّ واقفا بشيء من الحرج استعدادا للانصراف، ليقع بصره على ذلك العطر الرجالي المميز باهظ الثمن الموضوع على البوفيه.
- ده البرفان بتاع محمد مش كدة؟

- مم آه، كان أخوه جايبهوله من السعودية وكان غالي أوي، كان بيحط منه كل يوم.
- كان عندي نفس النوع، ريجته جميلة فعلا.
- ابتسمت في وجهه ابتسامة قصيرة ثم وقفت استعدادا لتوديعه..
- طيب أنا هامشي بقى، حضرتك مش محتاجة حاجة؟
- ألف شكر، دعواتك لمحمد.
- رمقها بنظرة شاردة بعد سماع الجملة الأخيرة ثم تمتم..
- ربنا معاه.

وقف يتأمل نفسه في المرآة بشرود قبل أن يبدل ملابسه، حالة غريبة من التششت والتخبط يمر بها بعد تلك المقابلة، المعلومة الأكثر أهمية بالنسبة له هي انتقال المشتبه فيه للعمل بفرع الإسكندرية منذ ثلاثة أشهر فقط، وتلك التغيرات السلوكية التي ظهرت عليه منذ ذلك الحين، هناك سر ما وراء تلك الخطوة بلا شك، ما الذي دفعه لتغيير بيئة عمله ذلك التغيير الجذري بدون مبررات مقنعة؟ وهل هناك علاقة ما بين القتيلة وبين كل تلك التفاصيل؟ كيف يمكن إيجاد الدليل على ذلك؟ يسترجع تلك المعلومة التي قرأها بملف القضية من قبل عن تاريخ التحاق القتيلة بالعمل، والتي تفيد بأنها قد بدأت العمل بالبنك من حوالي سبعة أشهر، أي قبل انتقال المشتبه فيه بأربعة أشهر، هل لتلك المعلومات أية دلالة؟؟

خيوط القضية تبدو متباعدة تفتقر حلقة وصل، يعود ليسترجع باقي تفاصيل حديث الزوجة، والذي فهم منه أن المشتبه فيه لا يمر بأية ضوابط مالية، مما قد يُبعد بعض الأفكار التي تتعلق أحياناً بجرائم القتل مثل الابتزاز أو الاختلاس، كذلك فإن حزن الزوجة وطريقة حديثها عن زوجها تدل على أن علاقتها طبيعية ولا توجد خلافات جوهرية أو مشكلات مستديمة، الأمر الذي قد يصعب من فكرة ارتباطه بامرأة أخرى أو وجود أية علاقة نسائية في حياته، هل من الممكن حقاً أن تكون هناك علاقة خفية تربطه بالقتيلة، وتلك العلاقة هي السبب في حالة الشرود والتجهم الدائم التي ظهرت عليه؟ ربما كان يعاني من تأنيب الضمير المستمر مثلاً، كلها تخمينات لا ترقى أبداً لمرتبة الحقائق وقد لا يكون لها أي أساس من الصحة، مجرد أفكار هوائية يحاول أن يستعرضها لكي يقنع نفسه بأن القضية لم تنتهِ وأن الأمل مازال قائماً، ولكنه يدرك جيداً في قرارة نفسه بأن الأمور أصعب مما يظن بكثير.

يراوده خاطر مفاجئ يجبره على الابتسام، آه لو عرف العميد محسن بتلك الخطوة التي اتخذها ونفذها بنفسه بالذهاب لزوجة المشتبه فيه، واقتعال ذلك الموقف للحصول منها على أية معلومات، ناهيك عن السبب الواهي جداً الذي دفعه للاشتباه في ذلك الشخص من الأساس، ليس من المستبعد أن يظن أنه يعاني من خللٍ عقليٍّ ما، ويأمر بإيداعه إحدى مصحات الأمراض النفسية والعصبية، تتلاشى الابتسامة المرسومة على وجهه سريعاً، ويعود ليفكر في الأمر بواقعية، فعلى الرغم من أسلوب العميد محسن التقليدي الصارم، إلا أن هذا الأسلوب يبدو ملائماً لهذا المجال، لا يمكن إلقاء الاتهامات إلا بناءً على

دليل مادي ملموس، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بجريمة قتل، وتبقى كل التحليلات النفسية والاحتمالات النظرية مجرد علامات قد تساعد في الوصول للحل، ولكن يستحيل الاعتماد عليها بصورة نهائية.

وقع بصره فجأة على زجاجة العطر السوداء الأنيقة الفارغة الملقاة بدون اهتمام أمام المرأة، العطر نفسه الذي رآه مؤخرًا في شقة المشتبه فيه، مصادفة غريبة حقًا، والأغرب أن زوجته لم تتخلص من تلك الزجاجة بعد على الرغم من حرصها الدائم على نظافة هذا المكان بالذات، التقط تلك الزجاجة المكسوة بطبقة من التراب وأخذ يتأملها للحظات، كان عطرًا جميلًا بحق، من أجل العطور التي اقتناها وأكثرها ثباتًا وتأثيرًا برائحته النفاذة المميزة، ليس مستغربا أن يكون كذلك، خاصة مع كونه باهظ الثمن، أخذ يقلبه بين يديه بلا هدف محدد، الأناقة الفرنسية تبدو واضحة في شكل الزجاجة وطريقة تصميمها الانسيابية وفي جودة ودقة الكتابة المحفورة عليها، حتى مكونات العطر المكتوبة على الوجه الخلفي للزجاجة بخط متناهي الصغر تبدو واضحة ومفهومة، وكأن هناك من يهتم بتلك المكونات أو يلاحظ وجودها أصلا.

تصلبت عيناه على تلك الكلمات الدقيقة فجأة، هل من الممكن أن يكون ذلك صحيحًا؟ أن تكون تلك الفكرة قابلة للتطبيق في الواقع بحق؟ أو أن يقوده ذلك الطريق إلى شيء ما؟ تلك الفكرة التي راودته على الرغم من غرابتها إلا أنها تبدو عبقرية، بل وملائمة للظروف تمامًا، بل إنها أكثر الأفكار منطقية وإقناعا في الوقت الحالي، من المؤكد أن كل تلك الدلائل والعلامات التي اجتمعت لترشده إلى ذلك الطريق لم تكن مصادفة، بدءًا بتلك الأحلام

الغامضة المتكررة، وانتهاءً بتلك اللحظة التي يمر بها الآن والتي يشعر فيها بتفاؤل حقيقي، وبأن الطريق لم يعد شاقاً كما كان في السابق، عى الرغم من أن الأمور لم تتغير ولم يحدث أي تقدم إيجابي فعلاً في القضية، إلا أن ذلك الشعور العام بالنشوة يتمكن منه رغماً عن إرادته ويدب الحياة في كافة حواسه.

تبدو الخطوة التالية واضحة وضوح الشمس، لكنه لن يستطيع القيام بها بمفرده هذه المرة، الأمر أكبر منه، ولا بد من اللجوء لذلك الشخص الذي سيفتح أمامه كل الطرق الموصدة، ولكن هل لا يزال ذلك الشخص يثق به أو يؤمن بقدراته؟ وهل لا يزال يملك الرغبة لمساعدته بعد كل تلك الإخفاقات؟ من المؤكد أن إقناعه لن يكون سهلاً، ولكنه سيوافق في النهاية لا محالة، فكرة وجود دليل مادي ستثير فضوله، ولن يضيع تلك الفرصة من بين يديه أبداً، الأمر لا يحتاج سوى مزيد من الصبر وإعادة المحاولة مراراً وتكراراً والنتيجة ستكون مضمونة بلا شك، حسم أمره وأخرج هاتفه المحمول من جيب بنطاله سريعاً، ليطلب ذلك الرقم المميز بحماسة ويضع السماعة على أذنه، يأتيه الرد سريعاً فيتنحنح للحظة قبل أن يردف:

- أكلّم العميد محسن لو سمحت؟

شعرت ياسمين بمزيج من التوتر والانفعال في أثناء انتظارها الدكتور عمرو في تلك الكافتيريا، ثلاثة أسابيع كاملة قد مرت منذ ذلك اللقاء الأخير الذي جمعها به وبأحمد، والذي لم يسفر عن الوصول لأي حل مقبول للقضية، كانت تظن طوال تلك الفترة أن المهمة قد باءت بالفشل وانتهى الأمر، وكانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لها عندما وصلتها تلك الرسالة من الدكتور عمرو، والتي يطلب فيها أن يقابلها في المكان نفسه، أمِنَ الممكن حقا أن يكون هناك أي مستجدات في القضية أم أن للمقابلة هدفًا آخر، تلك القضية كانت تعني كثيرًا بالنسبة لها، وشعرت بمرارة كبيرة عندما فشلت فيها، أستطاع الدكتور عمرو أن يصل لطرف خيط أم أنه مازال يبحث عن أفكار جديدة؟ هل استطاعت المباحث أن تصل للجاني؟ والسؤال الأهم.. هل استفادت المباحث من كل ذلك المجهود المضني الذي بذلوه في الفترة الماضية؟ أسئلة كثيرة تتتابع على رأسها منذ ليلة أمس لدرجة أنها بقيت مستيقظة طوال الليل من فرط التوتر، ودفعها ذلك التوتر إلى الحضور قبل الموعد المنشود بساعة كاملة.

استرقت النظر بغيظ إلى أحمد الجالس صامتًا أمامها على الطاولة نفسها، من الواضح أنه تلقى رسالة مماثلة من الدكتور عمرو، وعلى الرغم من ذلك لا تبدو عليه أية حماسة للأحداث، بل يبدو متجهّمًا مكتئبًا، لا تدري حقا ماذا دهاه! ذلك الشاب لم يكن كذلك فيما مضى بل كان كتلة من الذكاء والنشاط والحيوية، لماذا أصبح منزويًا منطويًا طوال الوقت وما سر ذلك التغيير؟ كانت

قد سمعت منذ عدة أيام أنه قد تقدم بطلب للانتقال إلى جامعة أخرى، يبدو فعلاً أنه يعاني من مشكلة ما ويحتاج للمساعدة، ولكن كيف ستساعده وهو يبدو منغلّقاً بهذا الشكل، بالإضافة لما رأيته منه مؤخراً من التعامل بأسلوب جاف تشوبه بعض العصبية غير المبررة، عليها إذن أن تبقى صامتة خوفاً من أن تسمع كلاماً يؤذيها، على الرغم مما تشعر به من رغبة صادقة في مساعدته على تخطي تلك الأزمة التي يمر بها.

قطع حبل أفكارها وصول الدكتور عمرو، أخذت تتأمل للحظة تأنقه المبالغ فيه وابتسامته العريضة غير المعتادة وخطواته السريعة المتحمسة، شعرت بأن هناك خطباً ما..

- مساء الخير.

قالها بصوت مرتفع قليلاً وبلهجة مرحة، ثم مد يده مصافحاً أحمد الذي لم يُبدِ القدر من الحماسة نفسها، والذي بدا عليه التعجب عندما شدّه الدكتور عمرو شدّاً من يده الممدودة وعانقه، ثم أبعده عنه وأردف وهو يتأمل به باعتزاز..

- أبو حميد، تلميذي النجيب، خيلفتني في الملاعب.

لم يرد أحمد، ولكن كانت نظراته كافية جداً للتعبير عما يدور في ذهنه من تساؤلات، يمد الدكتور عمرو يده إلى ياسمين ليصافحها بحرارة ثم يتابع:

- ياسمين الجميلة، بنتي، والي بتمنى أشوف بناتي زيّها.

تورّد الدم في وجهها خجلاً، وحاولت أن ترد التحية ولكن الدكتور عمرو لم يعطيها الفرصة، حيث أسرع يجذب أحد الكراسي من إحدى

الطاولات المجاورة ويجلس عليه بعفوية، الابتسامة الواسعة لا تفارق وجهه، ابتسامة توشي بالأمل بلا شك.

- مبدئيًا يا جماعة أنا حابب أشكركم على مجهودكم معايا طول الفترة الي فاتت، أنتم فعلا كنتم عند حسن ظني بكم، وعملتوا كل الي تقدرو عليه، أنتم ممكن تفتكروا إني بجاملكم وخلاص ودي مش حقيقة، أنتو اشتغلتموا بأسلوب علمي منظم ومرتب، ولولا اقتراحاتكم ومساعدتكم ليا مكنتش هاوصل أبدا لأي حاجة.

بدت الحيرة على وجه ياسمين ولم يكن أحمد أفضل حالًا، لحظات بسيطة تمر قبل أن يُلقِي الدكتور عمرو وقبلته المدوية:

- ألف مبروك يا جماعة، القضية خلاص اتحلّت.

هَبَّت ياسمين واقفة وبعينها نظرة غير مصدقة، ملامح الدهول تبدو على وجه أحمد الذي تخلّى عن تجهمه مؤقتًا، لحظات تمر دون أن ينطق أحدهم ببنت شفة ثم تظهر سعادة طاغية على ملامحهم أخيرًا، تلك السعادة التي طال انتظارها والتي كانت تبدو بعيدة المنال إلى أقصى حد، من كان يتوقع أن تحدث تلك المفاجأة السارة بدون أيّة مقدمات؟

حاول أحمد الحفاظ على هدوئه بينما تخلّت ياسمين بسرعة عن وقارها وبدأت غير قادرة على السيطرة على انفعالاتها، وأخذت تتبادل نظرات الانتصار مع أحمد، نظرات ذات معنى تبدو فيها فرحة النجاح واضحة وضوح الشمس.

تهز ياسمين رأسها بتساؤل وقد بدا أن الفضول سيفقدوها صوابها:
- طب ازاى؟ دي السكك كلها كانت متقفلة، معقول يكون فيه نقطة معينة نسيناها؟

هز الدكتور عمرو رأسه نفياً والابتسامة لاتزال على وجهه، ثم استنشق نفساً عميقاً قبل أن يقول:

- إزاى دي بقى، هحكىها لكم بالتفصيل الممل.

تركزت نظرات ياسمين وأحمد على وجهه فتابع سريعاً:

- طبعا أنتم عارفين إننا مقدرناش نوصل لحاجة لما فكرنا نطبق مبادئ النظرية البيولوجية، ودي كانت آخر أمل لينا، بصراحة الفشل في المهمة دي كان شيء صعب جداً بالنسبالي ومُحِيط لأقصى درجة، ومتهيألي أنتم كمان حسيتوا بنفس الإحساس ده.

أوماً الاثنان برأسيهما إيجاباً في وقت واحد، فاستكمل الدكتور عمرو حديثه:

- كان فيه شيء جوايا مش قادر يتقبَّل الفشل ده، لدرجة إني حسيت إن عقلي مش عارف يبطل تفكير في القضية وفي كل تفاصيلها، كنت حاسس إن لسة فيه أمل، وإني ممكن أوصل لحل فعلاً، القضية استحوذت تقريباً على كل دقيقة من وقتي، بقيت بفكر فيها في البيت، في الشغل، وأنا قاعد مع أصحابي أو أسرتي، ومش هتصدقوا لو قلت لكم.. وأنا نايم.

ظهرت علامات الاستفهام على الوجوه فأردف:

- الموضوع بدأ بحلم، حلم غريب مقدرتش أفسره في البداية، وكنت فاكّر إنها مجرد هلاوس أو تهيّؤات، لكن لما اتكرر كذا مرة حسيت إن ربنا بيعت لي رسالة معينة وعازيني أترجمها، خصوصاً وإن الحلم ده مرتبط بالقضية بشكل واضح جداً.

- وحضرتك شفت إيه في الحلم ده؟

قالتها ياسمين بفضول.

- شفت المشتبه فيهم واقفين صف واحد جيب بعض، من غير ما يتكلموا أو يتحركوا، وأنا عمال أبص على كل تفصيلة صغيرة في ملاحظهم، وأدقق في وشوشهم كأنني بدور على حاجة معينة، أفضل طول الحلم أتأمل فيهم بكل صبر وتركيز وأدور حوالِيهم، الحلم ده اتكرر يومياً لمدة خمس أيام بنفس تفاصيله كأنه بيتعاد بحذافيره، وكل ما أصحى منه أفضل أسأل نفسي سؤال واحد مبتغيش، إيه علاقة وشوش المشتبه فيهم بالقضية نفسها؟ وإيه الحقيقة اللي ممكن أوصل لها من خلال الوشوش دي؟ ساعتها خطرت لي فكرة تعتبر غريبة جداً، ومستبعدة في الأحوال العادية، لكن في الظروف دي تعتبر هي الفكرة الوحيدة اللي ممكن أعتبرها مقبولة ومرضية، خصوصاً إن ليها علاقة بالأسلوب البيولوجي اللي استخدمناه في تحليل شخصية المشتبه فيهم..

لمعت عينا ياسمين وبدت وكأنها قد فهمت ما يرمي إليه الدكتور عمرو، بينما ظهرت علامات الحيرة على وجه أحمد بوضوح..

ضرب الدكتور عمرو فجأة بكلتا يديه على الطاولة، ثم صاح بصوت مرتفع وبلهجة منتشبة:

- لومبروزو يا جماعة، لومبروزو، حد ميعرفش لومبروزو برضو؟! أول واحد فكر في علاقة ملامح الوجه بالإجرام، واللي ابتكر نظرية (الإنسان المجرم) اللي مضمونها إن المجرم يتميزه عن غيره علامات جسدية واضحة وصريحة أغلبها في الوجه، أي نعم، معظم العلماء قالوا عنها نظرية تافهة وسطحية ده غير إنهم اتهموه بالجنون، وده بسبب إن النظرية ملهاش أي أساس علمي واضح، وإنها معتمدة على مشاهدات نظرية لعينات من المجرمين، لكن إيه المانع من التجربة طالما كل الطرق مسدودة؟ وإيه اللي هيضرنا لو مشينا ورا كلام الأخ لومبروزو وحاولنا نطبق نظريته على أرض الواقع؟ خصوصاً بعد ما وافقنا بالإجماع على فكرة تطبيق المبادئ البيولوجية، النظرية بالرغم من إنها بدائية وغير منطقية لكنها تعتبر أولى نظريات المذهب البيولوجي، ومكانش ينفع تمر علينا مرور الكرام أبداً.

سكت الدكتور عمرو ليبتلع ريقه، بينما ظهر على وجهي ياسمين وأحمد مزيج غريب من الإعجاب وعدم التصديق.

- بدأت أنفذ كلام (لومبروزو) بالحرف الواحد، حطيت صور المشتبه فيهم الخمسة قدامي وبدأت أدور على صفات معينة في شكل وشوشهم وجسمهم، صفات زي كبر حجم الأذن، بروز عظام الوجه والجبهة، الشفايف المتنفخة الغليظة، الأنف الطويل بدرجة واضحة، شكل الجبهة ودرجة انحدارها، طول الذراعين مقارنة بحجم الجسم، وغيرها من الصفات، الحقيقة

إنها كانت عملية صعبة ومعقدة جدًا لأنني كنت بدور على المشتبه فيه الي عندہ أكبر عدد من صفات المجرمين الشكلية الي أقرها لومبروزو في نظريته، والي بيوصل عددها لأكثر من عشرين صفة، ما بين صفات في شكل الوجه أو في المظهر العام للجسم، ومن بين المشتبه فيهم الخمسة كان الموظف الي اسمه (محمد ناجح) هو أكثر واحد ظهرت عنده الصفات دي، الحقيقة أنا اترددت في استكمال المهمة خصوصًا إن الدليل الي قدامي يعتبر ضعيف جدًا ومحدث هيصدقہ، لكن في النهاية قررت أكمل الي بدأته برغم إني عارف إني هاكون لوحدی.

للمرة الأولى يتحدث أحمد منذ بدأ الحوار فيقول:

- طيب يا دكتور حتى بعد ما وصلت للشخص ده، إيه الي ممكن عمله عشان تثبت إنه الجاني فعلا؟ أنت أكيد كنت محتاج مساعدة المباحث برضو.

- والله يا أحمد أنا مكانش عندي خطة محددة، فكرة الاستعانة بالمباحث بالنسبالي كانت مستبعدة تماما، لأنني كنت متأكد مليون في المية إن محدش هيصدقني ولا هيوافق إنه يساعدي، وبصراحة معاهم حق، الفكرة غريبة بالنسبالنا واحنا متخصصين في المجال ده فما بالك بالناس العادية.

- أمال حضرتك عملت إيه؟؟

- زي ما قلت لك، اشتغلت لوحدی، فكرت أروح لزوجة المشتبه فيه وأحاول أجمع أي معلومات منها.

ظهرت الدهشة على وجهي ياسمين وأحمد جليّة، وسادت لحظات من الصمت قبل أن تقول ياسمين بشيء من الانبهار:

- وحضرتك عملت كدة فعلا؟

ابتسم الدكتور عمرو ابتسامة قصيرة ثم تابع:

- كانت خطوة مش سهلة أبداً ومحتاجة حذر كبير، المهم وصلت لها في النهاية وأقنعتها إني زميل جوزها في البنك، واتكلمت معاها فترة بسيطة جداً عن المشتبه فيه، وعرفت منها إنه غير مكان شغله وانتقل من الفرع الي كان يشتغل فيه من سنين عشان يروح الفرع الي فيه القتيلة، ودي كانت بالنسبالها خطوة غير مفهومة، وإنه من يوم ما اشتغل في الفرع الجديد وهو أحواله متغيرة بدون سبب محدد، علطول منطوي ومكتئب وشايل الهم، دي أهم نقطة طلعت بيها من الحوار معاها، ولما خلصت كلامي وقمت عشان أمشي لمحت حاجة غريبة شوية، حاجة مكتتش مديها اهتمام ولا معتقد إن وجودها له أي معنى، وعمرى ما كنت أتخيل إن الحاجة البسيطة دي هتكون مفتاح لحل لغز الجريمة الي تعتبر من أغرب الجرائم في تاريخ مصر.

وصل تركيز ياسمين وأحمد إلى ذروته وبدا عليها الاهتمام والإنصات التام، فأردف الدكتور عمرو وهو يضغط على حروفه ليوحى بأهمية ما يقول:

- المشتبه فيه كان بيستعمل برفان اسمه (NIGHTS)، برفان مشهور وغالي جداً، الصدفة العجيبة إني كان عندي نفس البرفان ده وخلص من فترة، لحسن الحظ كانت لسة عندي إزازة البرفان ومكتتش رميتها، والإزازة دي مكتوب على ضهرها كل المكونات الي اتصنع منها البرفان بالتفصيل، المكونات دي كان منها مكونات طبيعية زي الزيوت المستخرجة من الزهور وأخشاب الصندل، بالإضافة لمركبات كيميائية مضافة على المكونات الطبيعية

دي زي حمض الكربوليك والإندول، طبعاً أنا معنديش أي خلفية عن طبيعة المكونات الكيميائية أو طرق اكتشافها، لكن خطر ببالي إنه ممكن يتم الاستعانة بخبراء كيميائيين عشان يفحصوا ملابس القتيلة ويتأكدوا من وجود أو عدم وجود المواد دي فيها، الخطوة دي ممكنتش أقدر أعملها بنفسي فقررت إني أكلّم العميد محسن وأفاتحه في الموضوع، الراجل بصراحة كان متعاون جداً برغم إني خذلته قبل كدة وقرر يعمل التحليل فوراً، والنتائج كانت مثالية.

سكت للحظة ليرى تأثير كلماته على مستمعيه الذي بدا عليها الاهتمام البالغ والتركب، ثم تابع:

- الفحص الي اتعمل على ملابس الضحية المتحفظ عليها أثبت وجود بقايا من مادة الإندول وحمض الكربوليك على جزء كبير منها وبالذات في منطقة الضهر، وده بيثبت إن المتهم اتعرض للضحية من الخلف وكتّم نفسها قبل ما يقوم بعملية الدبح، ود الي خلاها لزقت فيه بالشكل ده، طبعاً التفسير ده كان غير كافي، لأنها ممكن تكون احتكت بيه بصورة غير مباشرة أو بدون قصد، عشان كدة طلبنا من الأطباء الشرعيين عمل نفس التحليلات على منطقة الجرح، لحسن الحظ الجثة كانت لسة محفوظة في تلاجة المشرحة، وكانت النتيجة هيه وجود نفس المواد دي على رقبة الضحية بصورة واضحة، المتهم كان متعود يحط البرفان ده كل يوم (حسب أقوال مراته)، وواضح إنه كان بيحط منه على هدومه وعلى إيده كمان، وبرغم إن مفيش أي بصمات على جسم الضحية أو في مسرح الجريمة، والي من الواضح جداً إن المتهم قدر يخفيها ببراعة، لكنه مقدرش يخفي آثار البرفان الي انتقلت من ظهر إيده لمكان

الجرح، وطبعاً لأن العطر أصلي ومركز جداً؛ فضلت آثاره على جسم الضحية وهدومها كل الفترة دي، كدة بقى قدامنا دليل مادي أخيراً، وبناءً عليه أصدرت النيابة الأمر بالقبض على المتهم، طبعاً بعد ما يفوق من الغيوبة اللي هو فيها.

ركزت ياسمين بصرها على وجه الدكتور عمرو بإعجاب، كان ما فعله يبدو لها عملاً بطولياً يُحتذى به، بينما بدا أن أحمد يحتاج لبعض التفسيرات، فبادر بسؤال الدكتور عمرو بشك:

- طيب وإيه الدافع يا دكتور؟ قدرت تعرفه؟؟
- بصراحة أنا مكانش ليا أي دور في الموضوع ده، لكن المباحث بعد ما اتأكدت من هوية الجاني شككت فريق كامل لبحث النقطة دي بالذات، الفريق ده فشل تماماً في إيجاد أي دليل ممكن يوضح الدافع الحقيقي للجريمة، زي سجلات مكالماته مثلاً أو رسايله على الموبايل أو حتى حسابه على الفيسبوك، بالإضافة لأن الاستجواب المفصل اللي عملته المباحث لزوجته المتهم ولزمايله في الشغل ما أسفرش عن أي نتيجة إيجابية، وده اللي خلاهم بعد فترة يوصلوا لحالة من اليأس وفقدان الأمل، لدرجة إنهم استقروا على توجيه الاتهامات للجاني بناءً على الأدلة المادية اللي بين أيديهم بغض النظر عن فكرة الدافع، وكانت القضية ماشية في الطريق ده فعلاً لكن فجأة حصل تطور مفاجئ للأحداث.

عاد الانتباه والترقب مرة أخرى إلى وجوه المستمعين، فأكمل الدكتور عمرو حديثه:

- والد القتيلة بما إنه مساعد أول لوزير الداخلية، وقبل كدة كان ظابط شرطة، كان عنده شك كبير إن الجريمة دي هدفها الحقيقي هو الانتقام منه، أكيد حد زيه له أعداء كتير ودي حاجة مش غريبة على المهنة دي، السيد مساعد الوزير بنفسه أمر بعمل بحث مفصل عن تاريخ عيلة الجاني وقرايبه لحد الدرجة الرابعة، طبعا دي كانت حاجة سهلة جدا والبيان المطلوب كان جاهز بعد ساعة بالظبط من طلبه، المفاجأة كانت إن عم المتهم هو (إبراهيم ناجح)، الإرهابي اللي اتقبض عليه من أكثر من عشرين سنة بتهمة الانضمام لجماعة إرهابية وارتكاب أعمال عنف وجرائم قتل لعدد كبير من أهم الشخصيات في البلد، أنتم كدة مش محتاجين أقول لكم إن والد الضحية هو الظابط اللي قبض على (إبراهيم) وكان السبب في وصوله لحبل الشنقة، من الواضح جدا إن (محمد ناجح) كان على صلة وثيقة بعمه وإنه قدر يفهمه إنه برئ وإن كل التهم دي اتلقت له ظلم، وفضلت الأفكار دي موجودة في عقل (محمد) ومقدرش يتخلص منها بعد كل السنين دي، لحد ما اكتشف بالصدفة إن فيه موظفة جديدة في فرع تاني اسمها مش غريب عليه، وكان سهل جدًا إنه يعمل تحريات عنها من أي موظف في الفرع ده عشان يعرف إن والدها رتبة كبيرة في الداخلية، ساعتهما اتأكدت شكوكه وقرر إنه لازم ياخذ بتاره، وبدأ أول خطوة في خطته لما انتقل للفرع اللي فيه القتيلة عشان يبقى قريب منها ويقدر يعرف تحركاتها بالتفصيل، لحد ما انتهز الفرصة المناسبة وضرب ضربته. تعبيرات غريبة كانت مرسومة على وجهي ياسمين وأحمد، مزيج غريب من الإعجاب والسعادة والصدمة، الإعجاب بجرأة الدكتور عمرو وإقدامه

وتصميمه، والسعادة لحل تلك الجريمة التي كانت سبباً في حيرتهم لفترة طويلة، والصدمة من كمية الحقد والكراهية لدى الجاني والتي تسببت في ضياع فتاة بريئة ليس لها أي ذنب، وضياعه هو وأسرته للأبد كذلك.

لحظات من الصمت الواجم تمرُّ، يقطعها صوت الدكتور عمرو المرح:

- المهم بقى، الداخلية عاملة لنا حفلة تكريم يوم الخميس الجاي كنوع من الشكر على مجهودنا، وهتكلم فيها عن الشغل الي عملناه في القضية بالتفصيل، حاجة زي ندوة كدة، أنا شايف إنها فرصة كويسة عشان نوثق الي حصل ده، والتوثيق ده ممكن يفيد في حل أي جريمة تحصل بعد كدة ويكون ليها نفس المعطيات.

أوماً أحمد برأسه متفهماً، بينما لم تستطع ياسمين أن تسيطر على سعادتها التي طغت على كل خلجة من خلجاتها ورسمت على شفيتها ابتسامة عذبة واسعة.

نظرة الامتنان في عين الدكتور عمرو تظهر مرة أخرى قبل أن يقول:

- أنا اتشرفت بالشغل معاكم يا جماعة، أنا عمري في حياتي ما افتخرت بأي إنجاز حققته، لكن أنا دلوقتي بفخر إنكم تلامذتي، وأكيد لولا مساعدتكم ليا طول الفترة الي فاتت مكانش ممكن أوصل لأي نتيجة، والنجاح الي أنا حققته ده أنتم مشتركين معايا فيه بنفس النسبة.

تمر لحظات من الصمت والابتسامات على الوجوه تتسع أكثر فأكثر، فيردف:

- هستناكم الخميس الجاي إن شاء الله.

تابع أحمد قيادة سيارته بعينين خاويتين شاردتين غير مبالٍ بالطريق المزدهم أمامه، مشاعر متضاربة تعصف به وتجعله يستغرق في تفكير عميق، إحساس عارم بالإعجاب بما فعله الدكتور عمرو واستطاع من خلاله أن يصل لحل هذه القضية المعقدة، كان ذلك مذهلاً بحق، كل ذلك الإصرار والتركيز على تحقيق الهدف على الرغم من استحالة المهمة واندثار الأمل، وكل تلك المثابرة والقدرة المستمرة على إيجاد الحلول وعدم الاستسلام لليأس، كان من الطبيعي جداً أن يكون النجاح حليفه لأنه سعى إليه بصدق ولم يعجز، على الرغم من عدم وجود أي ضغوط ترغمه على الاستمرار في التحقيق وحيداً وتحمل المخاطرة، ولكنها تلك الرغبة الداخلية التي ترفض أن تنساق وراء مشاعر الإحباط والتخاذل، من المؤكد أنه أكثر الناس سعادة بالوصول لتلك النتيجة المبهرة، وحتى لو لم يحصل على التكريم المناسب، تكفيه لذة الانتصار التي يشعر بها الآن عن أي تكريم.

على الجانب الآخر، يقف هو أمام أحلامه كلها مكتوف الأيدي قليل الحيلة، بدون أن يقوى على تحقيقها أو ينال حتى شرف المحاولة، كل ما استطاع فعله هو الهرب، وسيلة الضعفاء الجبناء الذين لم يعتادوا على المواجهة، ولا يمتلكون أي قدر من الثقة بالنفس، على الرغم من أن ذلك الحلم هو كل ما تمنّاه يوماً، ولكن لم يكن نيل المطالب بالتمني مع الأسف، هو لم يبذل أي

مجهود يذكر لتحقيق آماله، على الرغم من اقترابها الشديد منه واكتفى بالمواجهة صامتاً، فكانت النتيجة الحتمية هي أن يراقبها وهي تضع من بين يديه للأبد. ها هي أحلامه كلها تجلس بجانبه بعدما طلب منه الدكتور عمرو أن يقلّها للمنزل، على بعد ستيمترات معدودة ليس إلا، من المؤلم حقاً أن تكون أحلامك بهذا القرب ولا تستطيع أن تلمسها حتى، ما حجة الصمت الآن؟ الخجل؟ لم يعد يشعر به إطلاقاً، وحلّت محله تلك الغصة الخانقة في حلقه، الخوف؟؟ من أي شيء وعلى أي شيء؟ هي لم تعد زميلته بعد الآن، أيام معدودة وسيختفي من حياتها للأبد فما الضير إذن من محاولة أخيرة، على أسوأ الظروف ستقوم بصدّه أو توجيه بعض العبارات الجارحة له، لن يكون ذلك أقسى عليه مما يشعر به الآن.

يسمع فجأة تلك الموسيقى المميزة تصدر من مذياع السيارة، للمرة الأولى منذ بدأ القيادة ينتبه إلى أن المذياع يعمل بكفاءة بعكس عادته، ثم ينبعث فجأة ذلك الصوت الحالم شديد العذوبة:

..... طير بينا يا قلبي ولا تقوليش.. السكة منين..

تداعب الأغنية مشاعره الجارفة الدفينة، بينما تظهر ابتسامة سخرية على وجه ياسمين تتبعها ضحكة تهكم قصيرة:

- فيه حاجة؟

يسألها بصوت خفيض.

- لا أبدا، بس أغنية مش مناسبة للموقف أبدا.

ترد بشيء من العفوية والمرح، يراوده فجأة إحساس عارم بالغضب، ما يحدث ليس عادلا على الإطلاق، ذلك الطوفان الهائج بداخله وتلك اللامبالاة التي تبدو عليها، الأمر لم يعد يحتمل مزيداً من السكوت:

- مين الي قال كدة؟

يرد عليها فجأة بلهجة ثابتة وبصوت غريب قليلاً، وبدون أن يحول بصره إليها، تتلاشى ابتسامتها رويداً رويداً ثم ترمقه بنظرة متسائلة، فيتابع الحديث وهو على الوضعية نفسها:

- قولي لي يا ياسمين، عمرك حسيّت إن فيه حد معين بتفكري فيه علطول؟ بتقضي الساعات وأنتِ بتحاولي تفكري كل الكلام الي قاله وقاله ازاى؟ تعبيرات وشه لما بيضحك أو يزعل أو يتضايق؟ قلبك بيرفرف لمجرد إنك تشوفيه برغم إنه مش حاسس بوجودك أصلاً؟ بتستني اللحظة الي تتكلمي معاه فيها وتبصي في عنيه، وتبقى اللحظة دي هي أهم حاجة حصلت لك طول اليوم؟

ملاح الصدمة والحيرة تبدو على وجه ياسمين التي تبتلع ريقها بصوت مسموع..

... روعي الي تايمه شفتها.. إجري يا دنيا وقربي.

- عمرك حسيّت إن فيه حد معين هو مصدر الفرحه في حياتك؟ برغم إنه مش بيعمل أي حاجة في حياتك غير إنه موجود فيها؟ عمرك حسيّت إن فيه حد بيوحشك برغم إنك شايفاه؟ حد مجرد إنك تسمعي اسمه بيخليك تنسي أي حاجة تانية؟ وتبتسمي لمجرد إن سيرته بتيجي قدامك؟ وتستني أي

حاجة من ريمته عشان تفكر ك بيه؟ حد تحسي إن روحك عايزة تسبك وتروح
له؟ حد بتتمني إنه يفضل جمبك طول الوقت وبتحسي إنك غريبة من غيره؟
... قابلتها.. كلمتها.. مين كان يصدق والنبي؟؟!!

تهم ياسمين بالتحدث بشيء من التردد فيقاطعها بلهجة حاسمة:

- عمرك حسيتي إن كل المشاعر الحلوة الي جواك بقت ملك شخص
واحد بس؟ وإنه مهما بعد عنك بتحسي بوجوده في كل حاجة حواليك؟ عمرك
حبيت حد لدرجة إنك تنسي كل همومك أول ما تشوفيه بيضحك؟ وإنك
متبقيش عايزة أي حاجة من الدنيا غير إنك تفضلي تحبيه لأن دي الحاجة الي
مخلياك عايشة؟ عمرك بصيتي لحد كثير وهو مش واخد باله لأنه واحشك
أوي، ومفيش أي حاجة تقدري عملها؟ وفضلتي تدققي في ملامحه كويس
عشان تعرفي تفكرها وأنت لوحدة؟ عمرك حبيت حد الحب ده؟
تطرق ياسمين برأسها ويظهر الوجوم على ملامحها، وجهها يبدو كثرة
طماطم من فرط الخجل والانفعال.

... من يوم ورايح حبا.. عمره ما هيغيب عنا.

يلتفت إليها للمرة الأولى وينظر في عينيها مباشرة ليرد:

- أنا بقى حبيت يا ياسمين، حبيتك، حبيت كل ثانية بشوفك فيها،
حبيت نسمة الهوا الي بتعدي من جمبك، حبيت الكلمة الي بتقولها وتنسيها،
حبيت ضحكك الي بتنور قلبي، حبيت كل تفصيلة صغيرة من تفاصيلك،
لبسك، طريقتك في الكلام، صوتك، نظرة عينك، حبيتك وفضلت كثير مخبي
لكن خلاص مبقيتش قادر أعمل كدة، وصدقيني أنا مش عايز منك أي

حاجة، أنا عارف إنك مرتبطة وآسف لو كنت ضايقتك، بس أنا بجد كنت هتجنن لو مكتتش اتكلمت، أنا عايزك بس تعرفي إن دي حاجة مش بإيدي، وإنك حتى لو مش هتبقي من نصيبي، هيفضل وجودك في حياتي هو الفرحة الوحيدة اللي فرحتها من قلبي بجد، وهتفضلي أنتِ يا ياسمين، الوردة اللي بحضنها كل يوم قبل ما أنام.

لحظات ثقيلة من الصمت تمر، يراوده شعور عارم بالراحة على الرغم من كل شيء، ذلك الحمل الثقيل انزاح من على صدره أخيراً، ولا يهم ما سيحدث الآن، على أية حال، هو لا ينتظر الرد.

أهو يحلم حقا أم أنها تحرك يديها الرقيقتين تجاه يده الممسكة بالمقود؟ جزء من الثانية يمر وكأنه دهر، تلك اللحظة التاريخية يبدو فعلا أن الزمن قد توقف عندها، تضع يدها بالفعل على يده ثم تمسكها بقوة، وكأنها تتشبث بها، تركز نظراته على يدها الممسكة بيده، وكأنه لا يصدق ما يرى، ثم ينظر إليها فيرى تلك الدموع تترقرق في عينيها كحبات اللؤلؤ، هل شعرت به أخيراً؟ كل الشواهد تؤكد ذلك، تلك الابتسامة الواسعة على شفثتها وتلك النظرة التي لا يستطيع وصفها، يقبض على يدها بدوره وبقوة مبالغ فيها، وكأنه ينفث بتلك الحركة عن كل ما مر به في الماضي من آلام.

... ومن النهاردة لميت سنة.. أنت الحبيب والروح أنا.

يتوقف الطريق لحسن الحظ فيطلق العنان لنظراته، يشعر وكأنه يرى ذلك الوجه للمرة الأولى، الوجه لم يتغير ولكنه لم يعد كما كان بالنسبة له، صار قريباً إلى الدرجة التي طالما تمنّاها، وصارت هناك رابطة تجمعهم بصاحبة الوجه التي

سكنت روحه، يتأملها كثيرا وكأنه يروي ظمأه من تلك الملامح، ثم يحرك يده
الممسكة بيدها ليضعها على قلبه، يغلق عينيه وبدخله إحساس عارم
بالاطمئنان والسكينة، إحساس كان يظن فيها مضى أنه لن يتذوقه أبداً، يتسم
في وجهها بعدوبة ثم يردف:

- بحبك يا ياسمين، بحبك، مش عايز أبطل أقولها.

... طير بينا يا قلبي ولا تقوليش.. السكة منين.

يتحول لون الإشارة أخيراً إلى اللون الأخضر، فتسارع كل السيارات
بالسير باستثناء واحدة، لم يعد يبالي من فيها بالمكان أو الوقت، وأصبح كل
منهما منشغلاً بتلك الابتسامة التي يراها على وجه الآخر وبنظرات الحب المطلّة
من عينيه، لحظات أصبح الحديث خلالها بلا معنى، وبلا قدرة حقيقية على
التعبير، وبدأ فيها ذلك الإحساس الطاعني بالقلوب أفصح من أي عبارات
تُلقى أو كلمات تقال.

... ده حبيبي معايا متسألنيش.. رايحين على فين..

انتهت مراسم التكريم بذلك الحفل البسيط الذي أقامته وزارة الداخلية تقديرًا لجهود الدكتور عمرو ورفاقه في حل القضية، حملوا جميعًا شهادات التقدير الموقعة من الوزير نفسه واتجهوا لتعزية السيد مساعد الوزير الذي أبدى لهم كثيرًا من الامتنان على ما قدموه، ثم وقفوا لتبادل الحديث للحظات، قبل أن تبدأ فعاليات تلك الندوة التي سيحاضر فيها الدكتور عمرو، والتي سيقوم خلالها بشرح أهم مبادئ علم النفس الجنائي التي استعان بها مع فريقه للوصول للجاني.

كان أحمد أول من تكلم وعلى وجهه علت ابتسامة رضا واسعة:

- الحمد لله، أكثر حاجة فرحت بيها لما حسيت إن والد المجني عليها ارتاح بعد ما القاتل اتعرف، متهيأ لي دي الحاجة الوحيدة الي ممكن تعوضه.
- أوما الدكتور عمرو برأسه موافقا ثم قال:
- فعلا، إحنا كنا مشغولين بالقضية جدًّا وفضلنا كثير ندور على حل، لكن في نفس الوقت احنا مش طرف في الجريمة، وأكد عمرنا ما هنقدر نحس بالألم الي هو حس بيه، ربنا يصبره.

تدخلت ياسمين في الحوار بحماسة موجهة حديثها للدكتور عمرو:

- هي الندوة هتبدأ إمتى يا دكتور؟ أنا مستنية الناس كلها تعرف الشغل الي عملناه، شايف عدد الصحفيين قد إيه؟ واضح إنها هتكون قضية الموسم.

هز الدكتور عمرو كتفيه بمرح ثم أردف:

- الشهرة عاوزة مننا إيه بس!

أطلقت ياسمين ضحكة عالية وارتسمت ابتسامة واسعة على شفتي أحمد،
فهُمَا لم يعتادا من الدكتور عمرو ذلك الأسلوب المستحدث في الدعاية،

حاول أحمد أن يتحدث بقليل من الجدية:

- أظن حضرتك يا دكتور مش هتتكلم غير عن لومبروزو بس،

وهتحاول تقنع الناس بإن نظريته سليمة!

سكت الدكتور عمرو للحظة بدا خلالها أنه يفكر بعمق، ثم هز رأسه نفيا

وقال:

- لا خالص يا أحمد على فكرة، مش معنى إن نظرية لومبروزو نجحت

وإننا قدرنا نوصل من خلالها للجاني إني مؤمن بصحتها، أنا لسة جوايا اعتقاد

كامل بإن النظرية بدائية وصعب تعميمها، لكن الحكمة اللي قدرت أوصل لها

من كل اللي حصل إنك لازم تحاول لآخر نفس ومتفقدش الأمل أبداً، حتى لو

الطريق قدامك صعب ومليان مخاطر وكل اللي حواليك هيعتبروك مجنون لو

مشيت فيه، طالما ظهر الطريق يبقى لازم تمشي وتجرب ومتخافش، ونظرية

لومبروزو بالنسبالي كانت الفرصة الأخيرة وقررت أستغلها، وتوفيق ربنا طبعاً

فوق كل شيء.

- ونعم بالله.

لحظات من السكون تمر قبل أن يتكلم أحمد مرة أخرى وهو يتابع تأثير حديثه على ملامح ياسمين:

- على فكرة يا جماعة، أنا سحبت طلب النقل الي كنت قدمته لجامعة عين شمس، أنا شايف إني مستقر في مكاني ومفيش داعي للتغيير. ظهرت السعادة واضحة على وجه ياسمين على الرغم من كل محاولاتها لإخفائها، وظهرت بدورها على وجه الدكتور عمرو الذي ربّت على كتف أحمد باعتزاز وقال:

- أيوة كدة، فرحتني والله، الموضوع ده كان مضايقني بس مكنتش حابب أندخل لأنها حاجة تخصك أولاً وأخيراً، بالتوفيق يا بطل.

- شكرا يا دكتور.

ردّ أحمد وأطرق برأسه بشيء من الخجل.

تتسع ابتسامة ياسمين أكثر فأكثر ثم تقول:

- خبر حلو فعلا يا أحمد، بس أنا عندي خبر أحلى.

يحدّق أحمد في وجهها بتساؤل، ويلتفت إليها الدكتور عمرو وعلى وجهه تظهر التعبيرات نفسها، فتتابع:

- أنا فسخت خطوبتي امبارح.

تتلاشى ابتسامة الدكتور عمرو سريعا وتظهر على وجهه علامات الانزعاج الشديد، ثم يوجه حديثه لياسمين بجزع:

- ليه كدة بس؟ إيه اللي حصل؟ ده أنتم لسة في البداية، هو عمل..

لم يستكمل حديثه، فقد لفتت نظره تلك النظرة التي لمحها في عين ياسمين المثبتة على وجه أحمد، نظرة الحب الحاملة الواضحة وضوح الشمس، يلتفت إلى أحمد ليجد النظرة نفسها بحذافيرها في عينيه، وكأن كل منهما يقف أمام مرآة عاكسة، نظرة الهَيَام الصامته في عيونهما تُثير دهشة الدكتور عمرو لبضع ثوانٍ، بضع ثوانٍ كانت كافية جدا بالنسبة له لكي يفهم حقيقة الأمر.

ابتسامة أبوية عذبة ترسم على شفثيه، ثم يضع يداً فوق كتف أحمد والأخرى على كتف ياسمين ويقول:

- يعني معقولة الواحد يكون بيدرس علم نفس بقاله أكثر من خمسة وعشرين سنة، وعارف تقريبا كل النظريات العلمية في التحليل النفسي، ووزارة الداخلية نفسها بتستعين بيه عشان يحلل شخصية الشهود والمشتبه فيهم في أهم قضية موجودة على الساحة، وبعد كل دة يطلع معندوش فكرة عن نفسية الناس اللي بيشتغل معاهم، بدمتكم ينفع كدة؟؟

ضحك أحمد ضحكة قصيرة وخفضت ياسمين بصرها بخجل، ربّت الدكتور عمرو على كتفيهما ثم تابع بحب:

- ربنا يوفقكم.

مد أحمد يده ليُرَبِّت على ظهر الدكتور عمرو بامتنان واعتزاز، بينما اكتفت ياسمين بتلك الابتسامة الحُجلى التي زادت وجهها جمالاً وإشراقاً.

ينادي منظم الندوة فجأة على الدكتور عمرو فيجيبه الأخير فوراً ثم يصعد للمنصة على عجل استعداداً لبدء الحديث، يتتابع حلوس الحاضرين في أماكنهم، ويبدأ منظم الندوة إلقاء كلمة المقدمة، يستعدون جميعاً بحماسة

للاستماع لتفاصيل أهم قضية في تاريخ علم النفس الجنائي، تلك القضية التي ستأخذ بذلك العلم إلى مكان آخر وستجعله عاملاً مشتركاً في حلّ كل القضايا الغامضة المستعصية فيما بعد، يتابع أحمد وياسمين الحديث، وكلُّ منهما يمسك يد الآخر، منتظرا ذلك المستقبل السعيد الذي سيجمعه قريباً بمن يحب، آملاً أن يحل محل أستاذه في المستقبل وأن يصل يوماً ما لتلك المكانة.

- تمت -



رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسخ مبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

